أبو بكر القادري
عضو أكاديمية المملكة المغربية

مذكراتي
في الحركة الوطنية المغربية

- الجـزء السادس -

القسم الأول

رسائل وأحاديث صحافية
تتعلق بفترات من نشاطي الوطني
ابتداء من 1982

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

عندما أخذت أكتب مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، حرصت على أن أتتبع بعض الأحداث التي عشتها. والمواقف التي وقفتها الحركة الوطنية، والاهتمامات التي كنا نهتم بها حسب الظروف الوقتية التي كنا نعيشها، ولقد لاحظت بعد صدور خمسة أجزاء من مذكراتي، أن الفترة بين صدور الظهير البربري، الصادر في 16 ماي 1930، وبين تقديمنا لمطالب الشعب المغربي في دجنبر 1934، لم يتحدث عنها المؤرخون للحركة الوطنية إلا قليلا، وقليلا جدا، فتساءلت مع نفسي، هل هذه الفترة لم تقع فيها أحداث، ولم تقم فيها تحركات.

لقد نتج عن حركة مقاومة الظهير البربري عام 1930 الذي كان يسمى عام اللطيف، حيث كان اسم الله اللطيف الذي كان يقرأ في المساجد، هوالرمز الذي يرمز إلى مقاومة السياسة البربرية. حيث هرع المواطنون إلى المساجد، يرفعون أصواتهم مرددين الدعاء التالي : (اللَّهُمَّ يا لطيفُ نسألُك اللُّطفَ فيمَا جَرَتْ به المقَادِير، ولا تفرّقْ بينَنا وبين إخْواننا البَرابر) هذا الدعاء كان يهزُّ النفوس، ويحرّك الضمائر، وفي الوقت نفسه، صار يُرعب الأعداء المتجبرين المتآمرين على الوحدة المغربية. والعقيدة الإسلامية والذي جعل الشعب المغربي عربه وبربره، يدرك ما يهدد مستقبله الوطني والديني، واللغوي، فقام قومته القوية، التي ابتدأت بالشباب، ولم تمض إلا مدة يسيرة، حتى صارت قومة الشعب كله، شبابه وكهوله وشيوخه، بل حتى نسائه وفتياته.

لقد قاوم الفرنسيون هذه الحركة اللطيفية، فسجنوا المتزعمين لها، من شباب وكهول، ونفوا زعماءها مدة تزيد على السنتين. ولم يطلق سراح بعض الزعماء إلا بعد قضائهم ما يقرب من ثلاث سنوات.

ولكن هذا النفي والإبعاد، لم ينس الشباب الوطني واجبه، ولم يضعف عزيمته، فبقى يتابع التطورات التي تحدث، وبقيت ذكرى 16 ماي، ثابتة في الأذهان، وكان يوم 16 ماي في كل سنة، يوم التجمعات وقراءة اللطيف، وتوزيع المنشورات المنددة بالسياسة البربرية، المفرقة والمهددة لمستقبل الشعب المغربي.

لم تكن الحركة الوطنية إذ ذاك منظمة التنظيم الكافي، ولم يكن لها برنامج واضح المعالم، ولم يكن الشباب الوطني في مختلف المدن والجهات المغربية، منخرطا في حزب، أو في منظمة موحدة، وإنما كانت اتصالات بين بعض النابهين من الشباب، في بعض المدن المغربية، مثل فاس والرباط وسلا وتطوان، وكانت هذه الاتصالات، يغلب عليها المناقشات والمذاكرات، وتبادل الرأي في بعض القضايا الوطنية، وكتابة بعض المقالات في بعض الصحف الصادرة في تونس، والجزائر، وبعض البلدان العربية، في طلعتها مصر، وبغداد، وفلسطين. وكان بعض الطلبة المغاربة الذين أتيحت لهم الدراسة في باريس، ومصر، وفلسطين، وسوريا، يولون اهتماما لقضايا بلادهم، ويتتبعون حسب إمكانياتهم ما يقع فيها، ويراسلون بعض الصحف التي كانت تتعاطف مع المغرب، ويتصلون ببعض الزعماء الذين كانوا يهتمون بقضايا العرب والمسلمين في مختلف الجهات، وفي طليعتهم الأمير شكيب أرسلان، والكاتب الصحفي اللامع، محبّ الدين الخطيب، والعلامة الشيخ رشيد رضى، والزعيم عبد العزيز الثعالبي وغيرهم، وكان بعضهم يكاتب بانتظام بعد الجرائد، ومنهم المرحوم سعيد حجي الذي كان يكاتب باستمارار جريدة (العرب) الفلسطينية، التي كان يصدرها من نابلس، الأستاذ حجَّاج نويهض، وكنا نزوده ببعض الأخبار والأحداث التي تقع في المغرب، خلال فترة أوائل الثلاثينيات.

كنا في تلك الظروف نتتبع ما يقع في المغرب، وما يصدر من قرارات، فنعلق عليها، ونفضح ما من شأنه أن يضر ببلادنا، ويمكن أن أقول، كنا ندرب أنفسنا على المقاومة السياسية، ونتتبع الأخطاء التي تقع فيها الحماية، ونهتم بمختلف مجالات الحياة المغربية، كقضية التعليم، وقضية الفلاحة، وما يتبعهما من مشاكل، كمشكل الفلاحين، واستيلاء المعمرين الفرنسيين على أراضي الجماعات، وأراضي الأحباس، وغير ذلك. وهذا كان يغيظ الفرنسيين، ويزيدهم حنقا علينا، وعداء لنا، وخصوصا عندما يرون تجاوب بعض الصحف الوطنية العربية والإسلامة وحتى الفرنسية معنا، كجريدة الإسلام لأمين عبد الرحمان بالقاهرة، وجريدة الرابطة الإسلامية بدمشق، وجريدة الجهاد الإسلامي بفلسطين، وبعض الجرائد ببغداد، وجريدة «الصوت المغربي» بالفرنسية Le Cri Marocain.

كنا نتتبع ما يقوم به أعداؤنا المتربصون لنا من تحركات ونشاطات، في الداخل والخارج. كعبد الحي الكتاني، الذي كان قام برحلة إلى بعض الأقطار العربية سنة 1933 ليبشر بأفكاره وتقولاته على الوطنيين، وينوه بما تقوم به الحماية الفرنسية في المغرب، من إصلاحات، والذي استطاع أن يستولي على الأمير شكيب أرسلان لدى لقائه به في جنيف، فيزوده بتوصيات إلى بعض الشخصيات الإسلامية في مصر وغيرها، لتهتم به، فما كان من إخواننا طلبة المغرب بالقاهرة، ومنهم المرحوم محمد عزيمان، إلا أن يقوموا قومة رجل واحد، ليفضحوا مواقفه وتوجهاته مع الإستعمار، واستغلاله لمشيخته اللبوسة لباس الإسلام، ويوضحوا أن كل حركة يتحركها إنما هي لمصالحه الشخصية، ومصالح الذين يستعملونه من الاستعماريين، وللكائدين للحركة الوطنية في هذه الظروف الخاصة التي لم يكتب عنها إلا القليل، كنتُ أراسل بانتظام الأخ سعيد حجّي الذي كان يدرس بدمشق، والقاهرة، مراسلات مختلفة، أتتبع فيها الأحداث التي كنا نعيشها، والقضايا التي نهتم بها، ولقد وجدت بين أوراقي نسخا من هذه الرسائل، كان دفعها لي والد السعيد، بعد وفاته رحمه الله، وهي مكتوبة سنة 1932 وسنة 1933.

فرأيت أن أنشرها ضمن مذكراتي، لعل الباحثين في تاريخ الحركة الوطنية، يجدون فيها بعض المعلومات، والحوادث المتعلقة بتلك الفترة من تاريخنا الوطني، ومن جهة أخرى، وجدت لدى أوراقي، بعض خطب إسلامية، كنت ألقيتها في مناسبات في ذلك الظرف عينه، ومنها يستشف التوجهات التي كنت أتوجهها في المجال الإسلامي، مثل التوجهات التي كانت لديَّ، في المجالين الوطني والسياسي. وهذا يبين بوضوح، أننا كنا في وطنيتنا نسير على هدى من ربنا، فنعمل لإصلاح أحوالنا السياسية والاجتماعية، والتحريرية، وفي الوقت نفسه، نعمل إلى أن تكون توجيهاتنا سائرة في النهج الإسلامي القويم، العامل على ربط حاضرنا بماضي حضارتنا المغربية الإسلامية الرشيدة، لبناء مستقبلنا الذي نتمنى أن يكون مستقبلا مُشرقا وضاء.

إن هذا الجزء من مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، وإن كان جاء متأخرا عما سبقه من أجزاء، لأن الأقدار أرادت ذلك، فهو يغطي نقصا كان موجودا في ما كتبته في مذكراتي السابقة.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن هذا الجزء من مذكراتي يضم بين دفتيه، حديثين صحفيين كنت أعطيتهما لجريدة صحراء المغرب، ولنشرة موقع إسلام أون لاين.

نظرا لأنهما يعطيان معلومات مفيدة، وأجوبة عن أسئلة، وجهت إليّ بواسطة صحفيين مهتمين.

فعسى أن أكون قد أصبت، والله سبحانه يقينا من الزّلل، ويوفقنا لصالح القول والعمل.

أبو بكر القادري
حرر بتاريخ 26 ربيع الثاني 1428
12 يونيه 2007

لمحات من حياتي الوطنية
في رسائل إلى السعيد حجي

عثرت في مكتبتي على هذه الرسائل ذات القيمة التاريخية، بعد نشر الأجزاء السابقة من هذه المذكرات، التي تتناول فترة الثلاثينيات. ونظرا للقيمة التوثيقية لهذه الرسائل التي كنت أكتبها لسعيد حجي يرحمه الله، وأحتفظ بنسخ منها بين أوراقي، فقد رأيت أن أنشرها في هذا الجزء، لأنها تشتمل على معلومات لم يسبق نشرها، وعلى تحليلات للأوضاع في المغرب في تلك المرحلة الدقيقة، وعلى فوائد شتى، لا أشك في أنها تهمّ القارئ المهتم بمعرفة أطوار النضال الوطني في الثلاثينيات من القرن الماضي.

طلبة المغرب بالقاهرة سنة 1933

الجالسون من اليسار : السيد محمد بن عبد الوهاب والسيد محمد الخطيب
الواقفون من اليسار : الأستاذ محمد عزيمان وعبد الكريم حجي والمرحوم محمد الفاسي الحلفاوي
والمرحوم سعيد حجي – أخذت هذه الصورة في القاهرة

صورة أخذت سنة 1352 في نابلس
الجالسون من اليمين الحاج عبد السلام المشاط، سيدي اليزيدي الكتاني والحاج أحمد غلاب
الواقفان : سعيد وعبد الكريم حجي

فقيد المغرب والشباب المأسوف عليه سعيد حجي

1361-1330

سلا في 14 شوال عام 51

أخي العزيز

سلاما واحتراما

وبعد، تلقيت بمزيد السرور، خطابكم الكريم، الذي صبغ على فؤادي صبغة المحبة والوداد، فسحر القلوب بطيب حكمه الزكية، وأسر اللب ببلاغة تعبيره، وصدق برهانه، فيالك من أديب مهذب، وأخ صديق.

أخي : رجائي في خالق الكون، أن يكثر الله من أمثالكم ذوي النفوس العالية، والعطف الديني، والشعور الحي.... أخي إلى العمل، كي نرفع منار الدين، وننشر تعاليمه الحية، ولنجعل رائدنا وسائقنا في كل الأمور الإخلاص لله ثم للوطن.

أخي : وجهت لي سؤالا في كتابك، وهو ماذا تفعل اليوم ؟ وأي الطريقة التي نسلكها في خدمة ذلك الوطن المحتضر ؟ فأقول حضرة الأخ، أننا نسعى بكل جهدنا وعلى قدر استطاعتنا، لإطفاء منار الاستعباد المشئوم، وأن الطريق وإن كانت الآن صعبة، فآمالنا قوية في إزالة كل الصعوبات التي تعرض، وهذا ما نعتقده ونجزم به، اعتمادا على الله، ثم المخلصين الذين لا يراقبون في الله إلا ولا ذمة أمثالكم، وأن طرق الفلاح قد بدأت تظهر لنا شيئا فشيئا، فقديما لم نكن نحلم بإيجاد مجلة وطنية مغربية، تدافع عن المغرب، وحقوقه المهضومة، بعاصمة البلاد باريز، والآن وقد تهيأت الأسباب لنرقى مرحلة أخرى، وهي تكوين مجلة وطنية إسلامية سياسية، تكون لسان حال المغاربة، وعلى الأخص الشباب الحي، فإن قدر الله وحزنا على الإذن، وهو شيء مفروغ منه، فهناك سيظهر المغرب بحلته الإسلامية الوطنية الصرفة، وهكذا نحن نتقدم شيئا فشيئا، إلى أن تتهيأ الظروف لطلب الاستقلال.

الحمد لله وحده

في 1933/1/1 موافق 1351/9/4.

أخي العزيز السيد سعيد

سلاما واحتراما

الشهيد عبد الغزيز بن إدريس

قد كنت اقترحت عليكم أن تكون الكتابة بيننا نصف شهرية، فأجبتني في الكتاب الأخير، بأنك ستكتب لي يوم 15 من الشهر، ولكن لم يصلني كتاب منكم، أخي إن هؤلاء الناس، لازالوا مصممين على تنفيذ الخطة التي رسموها، ويودون من صميم أفئدتهم، أن يغيروا الأفكار التي لازالت مشتغلة بهذه القضية، فهم يعملون لذلك بكل ما أوتوه من قوة، وسترى في هذا الكتاب ما يؤكد صدق ما أقول.

1 ـ قد أخبرتك في الكتاب السابق بأن طلبة القرويين تقدموا للامتحان، كي يظهر المجتهد من المتراخي، نعم تقدموا، ولقد فاز الجل والحمد لله، غير أنهم لم يحوزوا شهادات، اللهم إلا أنهم سيترقون من طبقة إلى طبقة أعلى منها، ولقد كان من جملة الأفراد الذين خاضوا غمار الامتحان هذه مدة من عام، السادات علال الفاسي، إبراهيم الكتاني، عبد العزيز بن إدريس، هؤلاء الثلاث، تقدموا لشهادة العالمية القروية، وفازوا، وبقي مسكوتا عنهم، حتى لهذه المناسبة دعاهم المجلس العلمي، وأخبرهم بفوزهم، وأن شهادتهم موجودة ستدفع لهم، بشرط أن يكتبوا مثل هذه الكلمات ويمضون عليها ومضمنها : أنني أتنازل عن أي شيء يقال له القضية البربرية، وألزم السكينة والطاعة للمخزن الشريف، وأن لا أتعرض لأي شيء نفذ من قبل المخزن الخ، ولما اطلعوا على ذلك قابلوه باستهزاء وبسخرية عظيمين، أثرا في العلماء الحاضرين هناك، وقالوا لهم نحن لا نقرأ

العلم لشهادتكم، وإنما نقرأ العلم للعلم، فاحملوا أيها المساكين أوراقكم، وخبئوها في محلها، فلسنا محتاجين إليها ؟ إلى غير ذلك من الكلام.

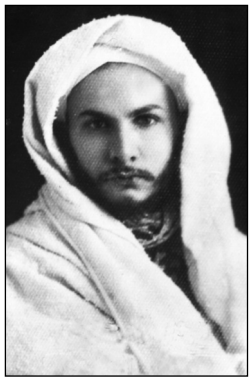

الزعيم المغربي
علال الفاسي

2 ـ كما أخبرتك بأني اجتمعت مع (ش) وطلبت منه أن نعقد اجتماعا نتذاكر فيه، نعم قد وافقني على هذه الفكرة، غير أنه كلفني بسائر الوظائف التي تلزمه، فقبلت منه كل ذلك، وطلبت منه الحضور فقط، ولقد نجحت والحمد لله في مسعاي، حيث أنني دعوت ثمانية أفراد وعرضت عليهم الفكرة (مع شيء من التوضيح) فقبلوا عن آخرهم، وصرنا نجتمع مرة في الأسبوع، ونتذاكر في أمور أدبية شتى، كما عينا قدرا أسبوعيا. نكون ندفعه وهو 2,20 حتى إذا قرب وقت الربيع نجد الصندوق عامرا..... ونعمل سائر اللوازم.

وفي اعتقادي أننا إن دمنا على هذا العمل، فلا تمضى علينا ستة أشهر، حتى نكون قد حصلنا على عدد وافر من الدراهم، وأخبركم بأنه لا يمكن لي أن آخذ منهم الدراهم بمجرد سفاسط، لهذا فإذا ظهرت لك مصلحة فاكتب إلى (ش) و(ج) واطلب منهما ذلك، وأخبرني كي لا أكون متهما من المعينين.

3 ـ أخبرك بأن العدد الأول من (الوداد)[1] قد صدر ولله الحمد، وقد رتبته ترتيبا ابتدائيا، ريثما نتمشى مع طول المدة، أما الأبواب فهي ثمانية :

(صحيفة الأخبار) (صحيفة الأدب) (اجتماعيات) النهوض (كتاب الأسبوع) (ذكريات) هذا وإني منتظر رأيكم، والمقالات التي ترسلون لي، بقي على أن أذكر لكم ما ترمي إليه عناوين المقالات، ففي صحيفة الأدب تحليل الأسلوب المصري والسوري، وفي صحيفة الاجتماعيات «.....» بقلم هيكل[2] وفي صحيفة النهوض «العلماء والشبان» بقلم رشيد[3] وفي

(1) الوداد جريدة خطية كان يصدرها السعيد، ولدى سفره توقفت، فاقترح على أن أتولى إصدارها، فقبلت.
(2) هيكل هو السعيد حجي.
(3) رشيد هو أبو بكر القادري.

أخذت هذه الصورة بفاس أثناء الاحتفال برجوع الزعيم علال الفاسي من المنفى سنة 1946
ويظهر في الصورة الزعيم علال الفاسي في الوسط وعن يمينه الأستاذ ابراهيم الكتاني وعن يساره الحاج عمر بعبد الجليل

صحيفة الكتاب : يتنوع «وفي صحيفة الذكريات» هيكل هذا، وسأعمل جهدي في إصداره منظما إن شاء الله.

4 ـ إننا مستاءون من عدم وصول (المجلة) وقد فعلت جهدي كي أجتمع بالأخ عمر[4] غير أنني لم أتمكن من ذلك أما (الحاج)[5] فقد كتب إليك في شأنها، وأرسل الكتاب بالطيارة، وقد قلت له لسنا محتاجين إلى هذه العجلة وضياع المال غير أنك تعلم حاله.

5 ـ قد أرسلت إليكم اليومية المغربية فهل وصلت ؟

6 ـ أجب عن هذا الكتاب وعن الذي قبله، وأخبرني بكل ما عندك.

7 ـ سلم على سائر الإخوان والسلام.

كتب عن عجل.

أبو بكر القادري

(4) عمر بن عبد الجليل.
(5) أحمد معنينو.

دجنبر 1932.

الأخ العزيز

محمد حصار

1 ـ كان في عزمي أن أفتح مكتبة لنشر الكتب والمجلات المفيدة، وبما أن الأخ اشماعو قام بهذه القضية، وقد بدأ يتطور فيها شيئا فشيئا، فقد فكرت في إيجاد شيء اشتغل به، وأبرهن لهم عن عدم تعلقي بهم، وإنني سأدخل إلى معترك الحياة بالأعمال الحرة المفيدة لي ولأبناء وطني، فكرت في هذا كثيرا وأخيرا صممت على فتح مكتب أو مدرسة لتربية النشء، وتثقيفهم بما عندي، وسأتبع فيها مدارس الشرق المنظمة، فما هو نظرك في هذه القضية ؟ وإذا استحسنت فما هو البرنامج الذي أتبعه ؟ وإنني نرجو منك أن ترسل لي بعض برامج المدارس الشرقية الإسلامية، كما أنني نرجو الجواب عن كل ما طلبت منك تفصيلا، وما هي الأمور التي أنجزت في سفرك، وما هو سبب عدم ذهابك إلى مصر.

2 ـ منذ مدة ولدينا جمعية مركبة من الأوربيين، وبعض الأهالي تدعى جمعية الدفاع عن حقوق سلا، وكان سرها مكتوما حتى لهذه المدة، وزع البريد على بعض الناس رسائل، مضمنها أن هذه الجمعية تستدعي سيادتكم للحضور في يوم كذا في القهوة الكبيرة Grand Café، ومن أراد أن ينخرط فيها، فليصحب معه عشر فرنكات، فلبى الطلب بعض الناس، وتخلف آخرون، ولقد كان من جملة الحضور عبد اللطيف، ومحمد حصار وجَ، أما أنا فلم يمكن لي الحضور، وابتدأ خليفة الرئيس الحفلة، فرحب بالحاضرين، وقال إن هذه الجمعية ليست سياسية، وإنما غرضها الوحيد، الدفاع عن القنطرة التي طالما طلبها سكان سلا، فلم يحظوا بجواب، والدفاع عن جميع حقوق البلدة الاقتصادية، وقال لهم، أن اللجنة مركبة من أربعة عشر عضوا 10 فرنسيون، وأربعة من الأهالي، هناك تصدي للكلام حصار، فطلب من الرئيس الإذن في الكلام، وقال إنني بلسان الأهالي لا نوافقكم على أن

يكون الأعضاء الفرنسيون أكثر من الأهالي، وأنهم يطلبون منكم المساواة معهم، وقد قلت له أن هذا شيء حسن يوحد الرابطة الأدبية ويمهد الطريق لشيء آخر.

الصديق بن العربي

3 ـ قد وصلتكم عدة رسائل في شأن زيارة عبد الحي الكتاني للبقاع المقدسة، وليس يخفى عليكم ما يكنه صدر هذا الرجل، فنرجو منكم أن تفعلوا الواجب، وتنبهوا سائر إخوانكم للمشاركة، والكل بالطرق الممكنة.

4 ـ مكنت الأخ الصديق بن العربي، من الرسالة التي أرسلت له قبل هذا، وقد فعلت كل ما في استطاعتي كي أجتمع به في المستشفى، فلم يسمح لي الطبيب بذلك، وبعد أخذ ورد، سمح لي بالدخول إليه دقيقة واحدة لم يمكن لي أن أتذاكر معه فيها في أي شيء، ولازال مريضا، وبه أثر الضعف... أنه بدأ يتدرج في العافية، فاللهم عافه.

5 ـ أما المجلة الفرنسية فلم تصلنا، وقد ذهبت إلى الأخ اليزيدي وطلبت منه بعض الأعداد، وأديت له واجبها، حيث أن الأمور وقفت في يدنا ولم ندر ما نصنع، خصوصا وأن الأفراد الذين دفعوا لنا الاشتراك، طالبونا في شأنها، وحيث لم نوف لهم، قلقوا ولم نبق نحصل منهم على شيء.

6 ـ أخبرني الأخ عبد اللطيف، بأنه علم من مصدر وثيق، بأن القضية البربرية صارت تعدل الآن، خصوصا الفصل الذي يتعلق بخروج المغاربة من النفوذ السلطاني، فسيصدر ظهير آخر ينفي ذلك، ويعلن للعموم أن المغاربة لازالوا تحت نفوذ السلطان في كل أمورهم، ونحن يسرنا هذا ويزيدنا قوة وشجاعة في التقدم في ميدان العمل.

7 ـ الأخ عبد اللطيف اقترح علينا أن نخبر مكاتب العرب المراكشي «إن كنا نعرفه لأنه لا يعرفه» بأن يوضح المسائل ويفصلها تفصيلا، ويعطيها حقها من التكبير والتحليل، ولا يكتفي بثلاثة أسطر أو أربعة في القضية، فإن الكتابة هكذا تصغر القضية وتحقرها، وقد أجبت عن المكاتب المذكور بجوابات، غير أنني نبهتك لتكون على بال.

8 ـ ما رأيكم في العمل يوم 16 مايو، وما يجب علينا في ذلك اليوم مما تكون فيه المصلحة، أفيدونا بكل صراحة ؟ لأنه لو كان شيء من ذلك

لأخبرتك به بدون تراخ، ولقد كتبت لك أخيرا أخبرك بعدم أخذهم للإذن حتى الآن، فلا تغتر بقول البسطاء، الذين يعمرون الوقت بالفراغ.

9 ـ الأخ اليزيدي فتح مكتبا بالرباط للترجمة بشارع القناصل، وقد كان في هذا المكتب أحد الأفراد يقال له ملين، ويقال أنه اشتغل هناك ريثما يتاح لهم الاشتغال بالمجلة، ويقول أن مدخول هذا المكتب طفيف جدا، إذ لا يتجاوز العشر فرنكات في اليوم.

10 ـ أما الصحيفة «نعني العمل» فقد علمنا من مصدر وثيق، أنه لم يقبل طلبنا لها، وأخبرنا بأن الصدر الأعظم أجاب الطالبين لها بعدم السماح لهم بذلك، لأن السلطان لم يرض هذا الأمر، ولازال الكتاب لم يصل، غير أن الإخوان لم يسمعوا بهذا حتى فكروا في القضية، واستقر رأيهم على أن يذهب واحد منهم لباريز، كي يدافع عن هذه القضية في المراجع العالية، ويطالب الحكومة الحامية بالإذن بصدورها بأي وجه كان، ولابد أن يسافر واحد منهم لهذه القضية، إلا أنهم لازالوا لم يقرروا الحكم نهائيا، إذ ينتظرون مجيء الأخوين علال وعمر، وهناك يصوغ لهم أن يقدموا واحدا منهم يتصدى لهذه القضية، ولا يوجد إلا عبد اللطيف، إذ هو الذي تتوفر فيه الشروط، أما المال الذي يذهب به فسيكون من مال المجلة، نعني من «الكدس» وسأجتمع مع كل الإخوان إن قدموا ونخبرك بزبدة الأعمال.

11 ـ اجتمعت في هذه المدة مع الأخ عبد اللطيف الصبيحي، وتذاكرنا حول قضايا مهمة، من جملتها ما يكون في يوم 16، فقال بالرأي الذي نقول به، ثم قال إن أمكن لكم أن تفعلوا أكثر من ذلك، فما عليكم إلا أن تتقدموا، وقد أخبرني بأنهم أسسوا ناديا بالبيضاء، شبه النادي الذي بتطوان، وذلك أنهم اكتروا دارا وجعلوا فيها قهوة Café، واشتروا لها ما يخصها من الكتب الأدبية، واشتركوا في بعض المجلات العربية والفرنسية، وجعلوا فيها محلا للمطالعة والكتابة، وآخر للعب الشطرنج ونحوه، ويمكن لأي طالب مثقف قاطن بالبيضاء، أن ينخرط في هذا النادي، سواء كان من ذوي اللغتين أم لا، أما قوامها فإنهم جعلوا قدرا يدفعونه على ثلاثة أشهر وهو 50 فرنكا.

الحمد لله وحده

في 19- 9- 51 / 16- 1- 33.

حضرة الأخ

السلام عليكم ورحمة الله

وصل كتابك المؤرخ في 2 من الجاري، واستفدت من كل ما شرحت، وبالأخص المشروع الذي أخبرتني بأنك ستعرضه عليَّ بعد موافقة الإخوان عليه، وإني متيقن بأن النجاح حليفكم إن شاء الله، أما الدراهم التي ذكرت بأنك عدلت عن إرسالها إلى باريز لمصالح، فهذا ما نتركه لك، لأنك أعلم مني، وأدرى بالمصلحة، وإنني أرجو منكم التعجيل بكل ما يصدر، وإخباري به تفصيليا، كما أنني مشتاق للاطلاع على التقرير.... الذي أخبرتني بأنك تكتبه، أما واجب أخيك الملقى على عاتقه، فيرجو أن يقوم به أحسن قيام، هذا وبما أنت مشتاق للاطلاع على أخبارنا، فإني سائق لك بعض الأخبار الذي وفقت للاطلاع عليها.

1- تطورات الصحيفة : قد كنت أخبرتك بأن الفكر مشتغل اليوم بإصدار صحيفة أسبوعية، وأخبرتك بتقديم الطلب شفاهيا، أما الآن فسأبين لك ما وصلت إليه، منذ أسبوع فأكثر، قدم الأخ علال، وعمر، وعبد اللطيف واجتمعوا عند اليزيدي، وتذاكروا مليا حول الصحيفة التي ستكون صوت المغرب إن شاء الله، وأخيرا استقر رأيهم على تنفيذ المشروع، فنظروا نظرة إجمالية حول الدراهم التي هي قوام الأعمال، وارتضوا أقل شيء تعيش به ابتدائيا، وهو 20 ألف فرنك، وزعوها على بعض البلدان المغربية، أي فاس 7 وسلا 3 والرباط 5 والبيضاء 5. وبما أن القانون الصحفي يلزم كل من أراد مجلة يدفع ضمانة قدرها 3 آلاف فرنك، فإنهم فكروا في إيجادها في الحين، وفعلا دفع الفاسيون قسطهم من واجب الضمانة وهو ألف فرنك، وبعد ذلك اليوم دفع السلاويون والرباطيون قسطهم ألف لكل بلدة، ولما

حصلوا عليها، ذهب عبد الطيف مع اليزيدي في ذلك اليوم إلى Trésor أي مدخر، ودفعوا ذلك القدر، وحازوا التوصيل به، وبعد ذلك بسويعات اجتمعوا وكتبوا الكتاب الرسمي، بعد أن حصروا النقط وجعلوا التوصيل طيه، وذهبوا إلى رئيس الناحية، وسلموه إياه، ولأستدل عما حصل له من الناس... لما وقفا أمامه، فقد كان يتصورهما كمنكر ونكير، المكلفين بسؤال القبر، ولقد خاطبهم بقوله كنت أظن أنكم تمزحون، فأجابوه بأن وقت العمل قد آن، ولم يبق وقت المزاح، فقال إنكم ستفتحون علينا بابا يصعب إقفاله، فقال اليزيدي هو مفتوح، لما أدنتم لميسى، في صدور تلك المجلة ؟[1] هذا ما وصلت إليه المجلة، ولازالوا ينتظرون الجواب الرسمي، ويغلب عن الظن أنه متوقف على مجيء المقيم من باريس، أما اسم الجريدة فهو «العمل» ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون﴾.

2- موقف محمد اشماعو. اجتماعي مع اليزيدي – اقتراحه

أما موقف اشماعو حول الجريدة، فلا نجده مسرورا إلى درجة عليا، بل نجده مترددا في صلاحيتها، ويخشى كثيرا من استبداد عبد اللطيف (الصبيحي) كما تجده متأثرا شيئا ما، حيث أنهم يجتمعون ويقررون ولا يحضر هو معهم، وغاية ما هناك أن عبد اللطيف يخبره ببعض الأمور بمحضرنا، أما اليزيدي، والفاسيون، فلا يتذاكرون معه حول هذه القضية وعلى كل حال، أفهم ؟

3- إنني منذ مدة لم أجتمع مع اليزيدي حتى أمس، ذهبت إليه وتذاكرنا مليا حول الجريدة، وفتح لي المجال في أخذ بعض أفكاره، لأنك تعلم أنه إن لم يستفد فلا يفيد، فقلت له ينبغي أن تتخذوا قانونا عمليا فيما بينكم أنتم المكلفون بصدور هذه المجلة، كي تطبقونه وتعملون على مقتضاه، وكي لا يقع بينكم اصطدام في المستقبل، خصوصا وأنكم تعلمون أن آراءكم ليست متساوية لدرجة... فإن صديقنا المخلص[2] فيه نوع من الاستبداد،

(1) في ذلك الظرف صدرت مجلة أدبية يديرها السيد محمد ميسي الجزائري واسمها (المغرب).

(2) هو عبد اللطيف الصبيحي.

كما أن آخرين فيهم كثير من الجبن أو البرودة، فأخبرني بأنهم اتخذوا لأنفسهم قانونا يتمشون على مقتضاه، ولا يخول لأحد الاستبداد في كل الأمور، بل عليه أن يتصرف في منصبه الذي حوله، ولا يتعداه ويكون هو المسؤول عنه إلى غير ذلك من مال، وتحرير، ومبدأ، وكيفية التمشي، وطرق المفاهمة، فحبذت الفكرة، وكنت أخشى من قبل استبداد عبد اللطيف، وغطرسته، وتملكه لهم، أما الآن فقد اطمأنت شيئا ما، لحصر النقط، وتمشيه حسب القانون.

4- لا أظن أنه لم يصلك خبر كتابة الأمير شكيب (لميسى) صاحب مجلة (المغرب) وتوبيخه فيه لعدم سلوكه المسلك الحسن، واشتغاله بالأمور التي لا تعنيه ولا تهمه، وبالأخص حول القضية، حيث أن ميسى كتب مقالة في العدد 4 تحت عنوان كلمة صريحة، ولا يخفاك ما في ذلك الأسلوب من الحط والنقصان من كرامة المغاربة، ولقد قال له الأمير، إن هذه المسألة مسألة دينية شعبية، يقوم بها أفراد أكفاء، لا يفتقرون إلى أمثالك فما الداعي إذن لدخولك في أمر لا دراية لك به ووإلخ... وقد استنشقت أخبارا شبه رسمية بأن (ميسي)، أجاب الأمير بكتاب ساقط «كصاحبه» وكان من جملة ما قاله له : أنك تتحامل على... في كل الأمور، وأن فضله على المغاربة لا يعد، وأن ما فعلته في مدة 20 سنة، لممّا يدل على صدق نيته وحبه للشعب المغربي، إلى أن قال أما المسألة البربرية فهي بسيطة، لا شبهة لها في الدين، حتى يصوغ لكم أن تسوءوا الظن بها أي المسألة، وأن العالم الإسلامي مخطئ في قيامه في وجه الدولة وكان من حق المغاربة بل وسائر المسلمين أن يقفوا أمام الدولة... موقف الإجلال والتعظيم والشكر، على ؟....

5- كما أننا سمعنا «والخبر شبه رسمي كذلك» أن السيد أمين الحسيني رئيس المجلس الإسلامي الأعلى بالقدس الشريف، كتب لميسي، كتابا يشكره فيه على غيرته، وصدور هاته المجلة، ويظن بها خيرا، وهذا ما ألمنا كثيرا، حيث أننا نعلم أنه سينشر تلك الرسالة في مجلته، وليس بخاف عليك ما هو مقام الحسيني في العالم الإسلامي، وقد تذاكرت مع الأخ

محمد شماعو في الوسط
وعن يمينه سعيد حجي وعن يساره أحمد معنينو

اليزيدي حول هذه القضية، فكلفني بأن أبلغك ذلك، كي تبحث عن الطرق الموصلة لزوال فكرة حسن النية منه، وإذا اتصلت به أو بواسطة فلتزمه بكتابة كتاب آخر، يدحض فيه ما مضى منه، ويبين الحقيقة، ولكن الكتاب لا يرسله له حتى يصدر العدد الأخير هناك، يصوغ لنا الاعتماد على ما فيه وعلى كل إني أخبرتك... حتى نكتب لكم مرة أخرى لما يصدر العدد.

6- ولقد أخبرت الأخ اليزيدي بعزمك على السفر، وطلبت منه بعض الاقتراحات، فطلب مني التأخير إلى أن يفكر شيئا ما، وبما أن وقت السفر قد قرب، فقد كلفني بأن أنبهك للمسائل المهمة نعني قضيتنا، وذلك بأن تشرح القضية شرحا كافيا، وتبين مناقضتها للدين الإسلامي، ولعقد الحماية ثم هجر اللغة العربية، وإبدالها بالفرنسية، إلى غير ذلك من النقط المهمة، كما قال لي يلزمك أن تجتمع مع سائر العاملين، مثل محب الدين الخطيب وغيره، وتعرض عليه أو عليهم، فكرة إصدار عدد ممتاز في يوم 16 ماي وهكذا الخ...

7 ـ أما قضية الدراهم[3] فهي التي تشغل أفكاري اليوم، إذ لم يبق يدفع لي اليوم رسميا إلا اثنان أي أن الذي يدخل ما بيني وبين (ج) 85 فرنك ولكن هذا كله لا يقلقني، ولا يؤثر علي، حيث أنني أسعى بكل مجهوداتي أن أعمل ولابد أن أجد، وقد طلبت مني أن نبين لك ما دفعت للأخ عمر، فأخبرك بأني دفعت له 325 فرنك عن شهر أكتوبر و215 عن نوفمبر أما هذا الشهر فلم أدفع له شيئا، ولكن آمل وأعمل لأدفع له في رأس هذا الشهر ما يقرب من خمسمائة فرنك «500» عن هذين الشهرين والخلاصة أنني أعمل جهد المستطاع.

8 ـ أما سفركم فنرجو أن تنتج عنه أعمال مثمرة، يستفيد منها شعبنا المسكين، ولا داعي للتطويل الممل في الاقتراحات، غير أنني أنبهك لمسألة وهي مسألة الدين، فلتجعلها رائدك تعتمد في كل الأمور.

(3) كنا ملتزمين أن نؤدي مقدارا شهريا للحاج عمر بن عبد الجليل مساندة منا لمجلة (مغرب) التي كانت تصدر بباريس.

الحاج عمر بن عبد الجليل

9 ـ السكرتير[4] فهمت ما ذكرت لي في شأنه، غير أنني لا نرى منه إلا النفور، مع أنه أداة الوصل بيني وبين الأخ عمر، وقد جاء الأخير مرارا ولم نعلم ذلك حتى سافر فما هي الطريقة ؟.

10 ـ سمعنا أنهم أي المعلومين، يريدون تغيير برنامج التصرف في المغرب، وذلك بأن يجعلوا صاحب زمام الحكم برلمان (نعني استعمار) يكون فيه أعضاء فرنسيون، يتصرفون في المغرب كما يشاءون، ولا تبقى سلطة لا لمقيم، ولا لأمير، وإذا كان كذلك لا قدر الله فما هو العمل ؟ ويمكن أن يضيفوا لهم بعض الأفراد مغاربة، وعلى كل، فكر في المسألة كثيرا واستخرج النتائج، وأجبني لأن الذي يظهر لي أن هذا الخبر إذا كان حقا، فستكون العاقبة وخيمة، ونكون نحن في غفلة.

11 ـ الأخ الناصري اليوم بتطوان، ويقولون أنه عازم على الرجوع إلينا هذا ما ساءنا كثيرا، حيث أن فائدته هي في خروجه إلى الخارج.

وقد كتب له بعض الأفراد يحثه على عدم المجيء ولكن لم ندر ما يفعل.

12 ـ رجع الأخ محمد بن الحسن الوزاني من باريس، وهو الآن في فاس، كما أن إبراهيم الوزاني في ضيافتنا، وسيأكل على مائدة أبيكم اليوم وهو شيء بسيط، أو أمر لا يهم كما تقول.

13 ـ الأخ الصديق بن العربي جاء مريضا من مراكش بداء التيفوس والعياذ بالله، وقد بلغت درجة الحرارة عنده إلى 41 ولكنها بدأت ترجع، وهو الآن بمستشفى مولاي يوسف، وقد ذهبنا لعيادته هناك، فمنعنا الطبيب من الاجتماع معه خوف العدوى.

14 ـ تلقت سائر الطبقات، خبر صدور المجلة بمزيد السرور والكل يطلب من الله أن يكلل الأعمال بالنجاح.

---

(4) السكرتير هو الحاج أحمد بناني.

15 ـ الجرائد التي ترسل تصل، لكن ليست بصورة منتظمة.

16 ـ إن أمكن بعد هذا أكتب إليك بعدة أسئلة كي تجيبني عنها رغبة في الاطلاع على الأفكار وتنشرها في ..... أما الآن فأطلب منك أن ترشدني للكتب المفيدة كي أدرسها وأستفيد منها.

هذا وحيث أننا مسلمون فأمد يدي إليك وأقول، عيدكم مبارك سعيد نسأل الله أن يعيده على الأمة المغربية بالنصر والتأييد والزيادة في الصحف، وتنظيم الجماعات للمطالبة بالحقوق الضائعة، والزيادة في العاملين الخ.... والسلام.

«استـدراك»

نسيت أن أقول تلك الجملة التي في كتابك وهي لا نستطيع أن نفيك حقك، شكرا على أخبارك المفصلة فإلى كتاب آخر إن شاء الله، إن شاء الله، إن شاء الله، إن شاء الله....

الأخ عمر الأمين، يسلم عليك كثيرا، كما يسلم عليك السيد محمد المريني الذي بالحرارين.

الحمد لله وحده

14 شوال عام 1351.

أخي العزيز سعيد حجي

سلاما واحتراما

وصل كتابكم وكم كنت دهشا حيث كنت أظن أنكم بمصر، فإذا به تبين لي أنكم في فلسطين.

أخي آمالي قوية في أن تكونوا قمتم بواجبات هناك نحو وطنكم، وإننا نرجو ونلح عليكم كثيرا، أن تخبرونا بتفاصيل الأحوال، وما الداعي لعدولكم عن السفر إلى مصر، وإبداله بفلسطين.

أخي قد أرسلت لك كتابا مفيدا باسم الشيخ عدنان، فأخبرني هل وصل أم لم يصل، إنني في انتظار الجواب، كما أنني منتظر لأعمالكم العظيمة التي ستبرهن لنا على مقدرتكم وحسن نيتكم.

أخي، المرغوب منك أن تبحث لي عن كتاب مدرسي دراسي مفيد في الطبيعيات، أعني علوم الطبيعة بالمعنى الأعم، وهي تهم المواضيع الحياة، والنبات، والجماد، فإن فعلتم، أكون لكم من الشاكرين، وسأكتب إليك في الموعد، ونخبرك بما راج في الاجتماع الذي كنت أشرت إليه في كتابي السابق فإلى العمل إلى العمل.

أبو بكر القادري

الحمد لله وحده

الأربعاء 20 شوال سنة 1351.

أخي العزيز

سلاما واحتراما

لم يصلني كتاب منك بعد، اللهم إلا تلك الورقة التي أرسلت من نابلس، وإنني أرجو أن يصل قريبا، لأنني متشوق كثيرا إلى أخباركم، والتلذذ بمخاطبتكم، وحفظا للنظام، قد كتبت لك هذا الكتاب أسوق لك فيه بعض الأخبار، لتكون منها على بال، ولتعطينا آراءك السديدة في بعضها.

1 ـ قد ذكرت لك في الكتاب السابق أننا على نية الاجتماع مع الأخوين الصبيحي واليزيدي، وواعدتك بأن أخبرك بكل ما يروج في الاجتماع من المسائل المهمة، نعم كان الاجتماع على غاية ما يكون، وكان محور المذاكرة حول هذه المسائل : ما يجب أن يكون (1) يوم 16 ماي. (2) المذاكرة حول التمثيل. (3) اتفاق الآراء على محاربة المجلة[1]. (4) اقتراح حول تخصيص يوم في السنة، لإظهار الحزن، إذا لم يقبل طلب المجلة، فماذا يجب أن يكون، هذه المسائل المهمة التي كانت موضع بحثنا، وقد أبدى كل رأيه ولازلنا لم نتخذ أيّ قرار.

2 ـ ما يجب أن يكون يوم 16، تضاربت الآراء حول هذه القضية، إذْ أنَّ جل الحاضرين على أن المسألة تطورت تطورا محسوسا، يجب إذا أن نظهر ذلك ونشعر به الحكومة، فمنهم من يقول يجب أن توزع المنشورات، وندعو إلى الصيام في ذلك اليوم، وتغلق الحوانيت في ساعة مخصوصة إضرابا، وأن يلزم الأفراد الذين يغلقون حوانيتهم والحالة هذه وهم صائمون، بالطلوع إلى المسجد، وطلب اللطيف، إلا أنه يكون سراً، وكل واحد مع

(1) هي المجلة التي أصدرها محمد الصالح ميسي الجزائري، وكان الكثيرون يحاربونها لأنها لم تكن تسير في الخط الوطني.

نفسه، وآخرون يقولون نكتفي بالصيام، وتوزيع المنشورات، وطلب اللطيف سرا، أما غلق الحوانيت فهو يجلبنا للبحث، وربما يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه، وآخرون يقولون بعد الصيام، يجب أن يتفق أفراد ويطلعوا إلى المسجد، ويطلبوا اللطيف سرا، ويكونوا مجموعين في محل واحد، ويشترط فيهم أن يكونوا تابثين، حتى إذا أرسل إليهم، وقيل لهم لماذا ذهبتم إلى السجن ؟ يقولون ذهبنا لأجل القضية الفلانية، حيث كذا وكذا وصاحب هذا الفكر قال بوجود هؤلاء الأفراد على هاته الكيفية، وأكثر من الخمسين، ورأيي أن توزع المنشورات كالعادة، في سائر المدن المغربية، وأن يسعى الوطنيون بكل ما لديهم من قوة بأن يشعروا الشعب بهذا اليوم الذي هو سبب البلاء عليهم، وبكل الطرق المأمونة، كما يصومون ويدعون الناس للصيام، ثم يرفعون أصواتهم في سائر المجلات، سواء كانت فرنسية أو عربية، وإذا أمكن لهم أن يقدموا عريضة إلى أولي الأمر، يحتجون ويطالبون بحقوقهم المهضومة فيفعلوا، أما غلق الحوانيت ودعاء الناس إلى الذهاب إلى المسجد، فهذا مما لا أوافق عليه، إذ يجول في فكري، بأن هؤلاء الأفراد الذين يدعون لهذا هم خمسة أو ستة في البلد، ولأنك تعلم مقدار خشية الناس منهم، فكيف يمكن أن يسمعوا قولهم، وإذا كان كذلك، فما هي الفائدة في هذا الظهور الذي لازال لم يحن الوقت له، والذي يكون خاتمة الأعمال الاحتجاجية... فإنهم لو فعلوا ذلك وطلبتهم الحكومة، ورمتهم في السجن، فما تكون الفائدة، والحاصل أننا ننتظر رأيكم أنتم في هذه القضية، إذ أننا في غاية الاحتياج إلى أخذ الآراء وتطبيقها، وأخذ الصالح منها.

3 ـ بعد هذا تذاكرنا حول التمثيل، وقال البعض لابأس به الآن، بل وهو شيء حسن جدا، إذا أحيي هذا العمل الجليل الذي فيه فائدة ظهرت ظهور الشمس، وبعد أخذ ورد، قال عبد اللطيف إن وقع ونزل، وأردنا التمثيل، فلنعد رواية الرشيد والبرامكة، إذ أن هذه الرواية، نالت من الاستحسان والتحميد الشيء الكثير، ويرى آخرون تمثيل رواية أخرى، **ووافق على هذا الأخ اليزيدي**، وقال هو يكون مسرورا إذا كان من الممثلين لهذه الرواية أو المشاركين فيها، وأرجئت القضية لجلسة أخرى، أما دراهمها أي الرواية، فيكونون بصفة سرية لمجلة (العمل)، والغالب أن هذه

المسألة لا تلقي نجاحا اليوم، لأن جل الممثلين الذين يحسنون الأدوار، لما عرضنا عليهم الفكرة اعتذروا بـــ.... وبعد ذلك تذاكرنا حول مجلة المغرب العربية، وعرضنا أفكارهم عليهم، ودافعنا على صاحبها بصفة ظاهرية، ولكن أخيرا اتفق الجميع على محاربتها، وعدم السماح لأي أحد من الأصحاب بالاشتراك فيها، ومن جملة الأمور التي نشيعها عند العموم أن الأمير شكيب لم يرضها، ولم يحبها وردها لصاحبها، فيلزمنا أن نقلده ونفعل مثله، إذ أنه لم يفعل ذلك حتى تحققت عنده عدم صلاحيتها وخيانتها، هذا ما يقال للناس البسطاء، أما الآخرون فأنت أعلم بالقضية حيث أنني شرحتها لك سابقا.

واقترح أحد الإخوان المخابرة مع مجلة (العرب) في شأن ذلك الاقتراح الذي كان وجهه أحد الكتاب هناك، وذلك بجعل يوم من أيام السنة تتحد فيه سائر الأقطار الإسلامية العربية، وتحتج فيه على ما أصابها من الاضطهاد والضغط، وتشعر الأعداء بأن العرب قاطبة متفقون على مبدأ واحد، وغايتهم واحدة، وأن هذا الفريق يتألم لما يصيب الفريق الآخر، ويعمل معه كواحد منه، كي ينقده من الضرر المحدق به وفي ذلك رفع من شأن العرب وزيادة في قدرهم.

ثم تذاكرنا حول (العمل) وماذا يجب أن يكون إذا لم تقبل الحكومة... في إصدار هاته الصحيفة وأخيرا اتفقنا على أن ما يقع في يوم 16... يمزج بهذه القضية، وإظهار الاستياء العام حولها، والسخط على الحكومة من أجلها، وبذلك سنبرهن على أن هذه المجلة للمغرب والمغرب لها، هذه زبدة ما راج في الاجتماع المومى إليه، وإني سائق لك بعض الأخبار، وموجه لكم بعض الأسئلة، فنرجو أن تجيب عن كل ما طلبت منكم مفصلا.

مهما ذهبت إلى الرباط.... واجتمعت مع الأخ اليزيدي، إلا نتذاكر في أمور شتى، وقد أخبرني أخيرا بأنه وصله منك كتاب من نابلس، ومن جملة ما فيه تهنئتك له على إصدار المجلة، وطلبك منه أن يرسل لك اشتراكات توزعها في الأقطار العربية، وأخبرني بأنه أجابك وأخبرك بعدم الإذن حتى الآن، وأنا بدوري أخبرك بأنه لو كان شيء من ذلك، أي الإذن

لأخبرتك به بدون تراخ، وقد كتبت لك أخيرا، أخبرك بعدم أخذهم للإذن حتى الآن، فلا تغتر بقول البسطاء، الذين يعمرون الوقت بالفراغ.

الأخ اليزيدي فتح مكتبا في الرباط للترجمة بشارع القناصل، وقد كان في هذا المكتب أحد الأفراد يقال له ملين، ويقول أنه اشتغل هناك ريثما يتاح لهم بالاشتغال بالمجلة، ويقول أن مدخول هذا المكتب طفيف جدا، إذ لا يتجاوز العشرة فرنكات في اليوم.

أما المجلة نعني (العمل) فقد علمنا من مصدر وثيق أنه لم يقبل طلبنا لها، وأخبرنا بأن الصدر الأعظم أجاب الطالبين لها بعدم السماح لهم بذلك، لأن السلطان لم يرض هذا الأمر، ولازال كتابه لم يصل للأخ عبد اللطيف، الذي هو المسؤول، ولمّا سمع الطالبون هذا فكروا في القضية، واستقر رأيهم **على أن يذهب واحد منهم لباريز**، كي يدافع عن هذه القضية في الدوائر العالية، ويطالب الحكومة في إصدار الإذن بصدورها بأي وجه كان، والسفر لازم لابد أن يسافر واحد منهم لباريز، لهذه القضية، إلا أنهم لازالوا لم يقرروا الحكم نهائيا، إذ ينتظرون مجيء الأخ علال، والأخ عمر، هناك يصوغ لهم أن يقدموا لهذا واحدا منهم يتصدى لها، والغالب أنه عبد اللطيف، إذ تتوفر فيه الشروط كلها، أما المال الذي يذهب به فسيكون من مال المجلة نعني من (الكدس)، وسأجتمع بعد هذا مع كل الإخوان إن قدموا، ونخبرك بزبدة الأعمال.

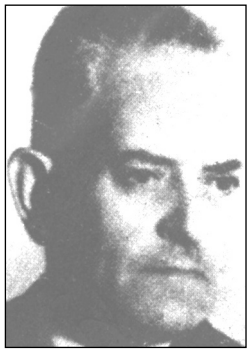

اجتمعت في هذه المدة مع الأخ بوبكر الصبيحي، وتذاكرنا معا حول قضايا مهمة، من جملتها ما يجب أن يكون في يوم 16، فقال بالرأي الذي نقول به، ثم قال إن أمكن لكم أن تفعلوا أكثر من ذلك، فما عليكم إلا أن تتقدموا، وقد أخبرني بأنهم أسسوا ناديا بالبيضاء، شبه النادي الذي بتطوان، **الحاج أبو بكر الصبيحي** وذلك أنهم اكتروا دارا، وجعلوا فيها مقهى، واشتروا لها ما يخصها من الكتب والمجلات الضرورية، وجعلوا محلا للمطالعة والكتابة، ومحلا

آخر للعب الشطرنج الخ... ويمكن لأي طالب مثقف، أن ينخرط في هذا النادي سواء كان من ذوي اللغتين أم لا، أما قوامها فإنهم جعلوا قدرا يدفعونه على ثلاثة أشهر وهو 50 فرنكا لكل واحد، وقد أخبرته بأن هذا شيء حسن، يوحد الرابطة الأدبية ويمهد الطريق لشيء..... نجح..... للجميع.

قد وصلتكم رسائل عدة في شأن زيارة عبد الحي الكتاني لتلك البقاع المقدسة، وليس بخفي عليكم ما يكنه صدر هذا الرجل، فنرجو أن تفعلوا اللازم، وتنبهوا سائر إخوانكم للمشاركة، والكل بطرق خفية، أو كما اقتضى نظركم.

مكنت الأخ الصديق بن العربي من الرسالة التي أرسلت له قبل هذا، وقد فعلت كل ما في استطاعتي كي أجتمع به في المستشفى، فلم يسمع الطيب بذلك، وبعد أخذ ورد سمح بالدخول إليه دقيقة واحدة، لم يمكن فيها أن أتذاكر معه في أي شيء، ولازال مريضا، وبه أثر الضعف، غير أنه بدأ يتدحرج في العافية فاللهم عافه.

أما المجلة الفرنسية فلم تصلنا، غير أنني ذهبت إلى الأخ اليزيدي وطلبت منه بعض الأعداد، ودفعت له بعض الدراهم لها، حيث أننا وقفنا ولم ندر ما نصنع، خصوصا وأن الأفراد الذين دفعوا لنا الاشتراكات، طلبوها منا، وحيث لم نوف لهم قلقوا، ولم نبق نحصل على شيء من الدراهم، وهكذا وقفنا.

أخبرني الأخ عبد اللطيف، بأن القضية البربرية صارت تعدل الآن، خصوصا الفصل الذي يتعلق بخروج المغاربة من النفوذ السلطاني، فسيصدر ظهير آخر ينفي ذلك، يعلن للعموم أن المغاربة لازالوا تحت نفوذ السلطان في كل أمورهم، ونحن يسرنا هذا شيئا ما، ويزيدنا قوة في التقدم في ميدان العمل. الأخ عبد اللطيف اقترح علينا أن نخبر مكاتب العرب إن كنا نعرفه لأنه لا يعرفه، ولم نخبره به، أن يوضح المسائل ويفصلها تفصيلا ويعطيها حقها من التكبير، ولا يكتفي بثلاثة أسطر أو أربعة في القضية، فإن الكتابة هكذا، تصغر القضية وتحقرها وقد أجبت المكاتب المذكور غير أني أخبرتك لتكون على بال.

ما رأيكم في العمل يوم 16 ماي وما يجب علينا عمله مما تكون فيه المصلحة عامة أفيدونا بكل صراحة ؟

إذا وصل كتاب الوزير بعدم السماح للأخوين، بصدور مجلة العمل، فبما يجب علينا نحن أن نصنع ؟ وما نظرك في ما عزم عليه الأخوان، أجيبونا بتفصيل ؟

كان في عزمي أن أفتح مكتبة لنشر الكتب والمجلات المفيدة، وبما أن الأخ اشماعو قام بهذه القضية، وقد بدأ يتطور شيئا فشيئا، فقد فكرت في إيجاد شيء أشتغل به أبرهن به عن عدم تعلقي بالحكومة ودخول معترك الحياة بالأعمال الحرة المفيدة لي ولأبناء وطني، فكرت في هذا وأخيرا صممت على فتح مكتب، وهو في الحقيقة مدرسة لتربية النشء وسأتبع فيها مدارس الشرق المنظمة، كما أنه سيكون منظما تنظيما عاليا إن شاء الله، فما هو نظرك في هذا الأمر ؟ وإذا استحسنته فما هو البرنامج الذي أتبعه ؟ وإنني نرجو أن ترسل لي بعض برنامج المدارس الشرقية الإسلامية، وعلى الأخص الابتدائية. كما أنني نرجو الجواب عن كل ما طلبت منك تفصيلا، وعن سفرك، وما هي الأمور التي أنجزت، وسبب عدم ذهابك إلى مصر وإبداله بفلسطين.

ومنذ مدة وجمعية تدعى جمعية الدفاع عن حقوق سلا، مركبة من الأوربيين، وبعض الأهالي، وكان سرها مكتوما حتى هذه المدة الأخيرة، حيث وزع البريد على بعض الناس رسائل، مضمنها أن هذه الجمعية تستدعي سيادتكم للحضور في يوم كذا في القهوة الكبيرة، ومن أراد أن ينخرط في هاته الجمعية، فليصحب معه عشر فرنكات للعمل المذكور، فلبى البعض وتخلف آخرون، ولقد كان من جملة الحضور الأخ عبد اللطيف، ومحمد حصار، والحاج أحمد معنينو وغيرهم وابتدأ خليفة الرئيس الحفلة بالترحيب بالحاضرين وقال إن هذه الجمعية ليست سياسية، وإنما غرضها الوحيد الدفاع عن القنطرة، التي طالما طلبها سكان سلا، فلم يحظوا بجواب، وعن جميع حقوق سلا الاقتصادية، وقال لهم إن اللجنة

مركبة من أَربعة عشر عضوا فرنسيون وأربعة من الأهالي، هناك تصدى للكلام محمد حصار، وطلب من الحاضرين الإذن في الكلام، وقال لرئيس الحفلة، إن الأهالي لا يوافقونكم على أن يكون الأعضاء الفرنسيون أكثر من الأهالي. وأنهم يطلبون المساواة معهم، وإلا انسحبوا عن العضوية ؛ ولا يقبلوها، وبعد أخذ ورد ومذاكرة مع بعضهم بعضا، وجواب محمد حصار عن كل نقطة يوجهونها، قام أحد الأعضاء الفرنسيين، وطلب التصويت على هذه القضية فقبل طلبه، وكانت الأغلبية الساحقة على المساواة، ولقد اقترح أحد الحاضرين أن يكون ثمانية من الأهالي المسلمين واثنان من اليهود المغاربة وعشرة من الأوربيين فقبلوا اقتراحه، هناك قام أحد اليهود الحاضرين وهو أصله وهراني، متجنس بالجنسية الفرنسية، وطلب أن يكون عضوا فقبلوا، غير أن حصار أجابه بأن أعضاء الأهالي المغاربة لا يقبلون إلا المغاربة، وهو ليس بمغربي، لأنه متجنس، وأيضا أن اليهود وهم الأقلية ينبغي أن تطلق لهم الحرية كي ينتخبوا عضوين منهم برضاهم، ولا يصوغ للجمعية أن تعين عضوين بشهوتها، وإن لم يرضوا تلك الأقلية، فقبل الكل كلامه، وصفق عليه، وانفضت الحفلة على أن يجعلوا عارضتين واحدة بالعربية وأخرى بالفرنسية، وبعد ذلك أرسل المراقب المدني في طلب الحاج أحمد، وحصار كي يخبرهما، بأنهما كانا يتداخلان بالسياسة في تلك الجمعية، غير أن الحاج لم يجتمع به، أما حصار فقد ذهب ونفى كل ذلك، فأخبره رئيس المراقبة، بأنه لا يمكن أن يبقى هو في المجلس الإداري لأنهم انتخبوه عضوا عاملا، وقال له إن من قوانين هذه الجمعية أن يكون أعضاؤها، إما تجارا، وإما فلاحة، وإما ملاّكة، أما الموظفون والجالسون، فلا يقبلون في العضوية وقد استاء الأعضاء الفرنسيون من هذا، وأطلعوا الأخ حصار على قوانين الجمعية، وليس فيها شيء مما قاله المراقب، فقال لهم حصار على كل حال أن المراقب لم يحب أن أكون عضوا معكم فلا أكون، فقالوا له لابد أن تكون أنت معنا، ونحن المدافعون عنك عند المراقب وغيره، لأن خروجك منا فيه انشقاق للجمعية، وسيجتمع المجلس الإداري، ليقرر ماذا يفعل بعد هذا والسلام.

الحمد لله وحده

الأربعاء 4 ذي القعدة 1351 / 1 مارس 1933.

أخي العزيز

سلاما واحتراما

وصل كتابك المؤرخ في 33/2/6 المرسل على الطريق الجوي، واستفدت من كل ما ذكرت، وسأجيبك عن كل نقطة فيه حتى ترتاح.

1 ـ درست الكتاب الذي وجهت لنا مشتركا مع الأخ الحاج، واشتغلت كثيرا بما أمرتني به من الأمور التي نحن متخوفون عليها كثيرا، وقد أرسلت لك قبل الكتاب بيومين فقط، بعض مقالات تنظر فيها وتأخذ منها، أو كما اقتضى نظرك والمصلحة، كما أننا عازمون على تشفيعها وتثليثها بمقالات أخرى، في مواضع مختلفة، أما الشعر الوطني المغربي فليس لدينا منه شيء الآن، وسيذهب الأخ الحاج إلى فاس، ويأتي ببعض الأشعار من عندهم، ونرسلها لك حالا، أما مكاتبة الإخوان في نابلس للجامعة الإسلامية، فقد سررنا كثيرا به، وقد وصلنا منه للمرة الأولى عددان، كما سررنا بمكاتبة الإخوان في مصر، غير أننا نرجو أن يرسلوا لنا كل ما كتبوا كالإخوان النابلسيين.

أما الصور التي طلبت منا، فيصلك البعض منها مكتوب عليه بعض الأرقام، كي تراجعوا الرقم نفسه في الكتاب الذي يبين لكم مغزى الصور.

2 ـ أما الرسالة الشخصية، سأجيبك عنها كذلك، فسأجيبك عن كل مسألة ذكرت فيها.

1 ـ المشروع الذي كنت عازما على عرضه على الإخوان بمصر، إنني مسرور منه كثيرا، ومستعد تمام الاستعداد أن نقوم بجمعه وترتيبه كما تأمرون.

2 ـ ذكرت لي مواضع التقرير الذي سيظهر للوجود بعد هذا، وبرنامجه وأبوابه، فكم كنت مسرورا لما رأيت هذا، وتمنيت أن الستة الشهور التي يمكن أن يوجد فيها مضت، ولم توجد حتى يفحص عن أمور ووو أما عدم إخبارك عن أي شخص كان بهذا الخبر، فقد تحققت بأن الأمور التي تجري بيننا لا يطلع عليها إلا الله، ولا يدخلك أي ريب في هذا، إذ أن رأيي في مثل هذه الأمور قوله ﷺ «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان» كما أنني الآن عندي صديق أبث إليه أفكاري الحرة، الشخصية فضلا عن.... اللهم إلا أخي الذي طالما كانت تحن إليه روحي وتود معاشرته.... بل الامتزاج معه، متى هيأت الأقدار ذلك، وهذا هو منتهى بغيتي، إذ أنني من القديم، وأنا أبحث عن صديق ليس صديق، بل أخ أشاركه أفراحي وآلامي، وحيث أني وجدته يكفيني، أما اقتراحي فيما تفعل به فأقترح عليكم..... اسما تسمي به نفسك ولا يعلمه أحد، ويكون هذا الاسم مطابقا لشخصيتك وأفكارك، ومنطبقا عليك تمام الانطباق، كل هذا بتكتم عظيم، ثم نتخابر مع المطابع الإسلامية (وإن كانت خيرية فياحبذا) مثل مطبعة دار الأيتام بدمشق، أو غيرها، تطبعه لك بثمن مناسب، ثم يوزع على العالم العربي، نعني يباع وتخصص أعداد ترسل للشخصيات البارزة في الأقطار العربية والإسلامية، كما ترسل لنا منه قدرا وافرا، ونحن نبيعه بثمن عال، وهكذا نستفيد منه ماديا وأدبيا، وأنبهك لمسألة وهي إن توقفت على شيء لأجله، وتعلم أن عندي القدرة على إدراكها فلتأمرني بها وإن بلغت من الصعوبة ما بلغت، ولست في حاجة لكل هذا.

3 ـ المال الذي ذكرت لك في الرسالة السابقة بأني سأدفعه للأخ عمر فلم يتيسر لي ذلك، ولم أجتمع مع عمر، غير أني أعدك بأنه سيصلك مقدار من المال، بعد مدة عشر أيام أقله 300، وبعده نرسل لك شيئا آخر، كما أطلب منك أن تكتب لي، وللأخ اشماعو لا غير، في طلب الدراهم التي ذكرت لك سابقا، إذ توجد عندنا في الصندوق 200 فرنك، وهي تعيننا في الجملة، ولا نذكر له شيئا عن الجمعية.

4 ـ أما (المغرب)، فلم تصلنا إلى الآن، وقد وصلتنا بطريق الأخ اليزيدي، كما ذكرت لك في الكتاب السابق، وقد طلبت منه أن تجيئنا عشرة أعداد في كل شهر، ونحن نؤدي له ثمنها.

5 ـ ذكرت في كتابك أنني لم أخبرك بكل أخبار الأخ الناصري وهل اجتمعت معه، ومع أني لم أخبرك بوصوله إلينا حتى نتمكن بالاجتماع معه، إذ أنني أخبرتكم بأنه قدم لتطوان، وما يشاع عن ذلك، أما الذي جاء وأظنك غلطت فيه فهو الأخ الوزاني، وهو الآن بفاس، ولحد الآن لم يصل إلينا.

6 ـ قد دفعت للأخ اليزيدي رسالتك، ولم يتذاكر معي في شيء في ذلك الوقت، حتى للمرة أخرى، سأخبرك عن تفصيلها وما جرى بيننا.

هذا ملخص الجواب على المسائل المهمة التي ذكرت لي في كتابك أما الأخبار التي تروج عندنا وينبغي لك الإطلاع عليها فهي :

أولا ـ (العمل) وما وصلت إليه. ـ ذكرت لك في الكتاب السابق، بأنه بلغنا من مصدر رسمي، بأن طلب الإخوان للصحيفة لم يقبل، وسيصلهم كتاب من الصدر يرفض فيه طلبهم، نعم وصل الكتاب للأخ الصبيحي، وفيه أنهم عرضوا طلبه على جلالة السلطان فلم يقبل وكفى.

موقف الإخوان أمام هذه القضية. ـ تذاكرت مع الأخ عبد اللطيف حول هذا، وعرضت عليه بعض الأسئلة، منها أن طلبكم للصحيفة لم يقبل فما تريد أن تفعل الآن، وقد ظهر العجز، ثم هل تظن أنك إن فعلت شيئا تدرك به بغيتك ؟

فكان جوابه أنه يتذاكر الآن مع الإخوان المشاركين له في العمل، وهو يريد أن يذهب واحد منهم إلى باريس، كي يدافع عن هذه القضية، ويطالب وزارة الخارجية بالسماح لهم بحرية الصحافة، ويقول أنه يظن إن فعل هذا يحصل على بعض النجاح، ثم بعد ذلك يقول لنا أنه عازم على الذهاب إلى فرنسا في هذه الأيام القريبة، هذا رأيه كما يقول، وهو لا يصرح لنا بكل ما لديه، وإنما يريد الاستعباد.

ثانيا ـ أمس ذهبت إلى الأخ اليزيدي، وتذاكرت معه طويلا في مسائل مختلفة من جملتها قضية (العمل) ومن جملة ما قلت له حول هذه القضية ما تريدون أن تفعلوا بعد أن أتاكم الجواب بالمنع، وما هو الواجب علينا نحن إزاء هذا ؟ فقال :

تضاربت الآراء حول هذا، وحصل بعض الاختلاف فيما بيننا، إذ أن البعض منا يريد الذهاب إلى فرنسا، **والبعض الآخر يقول نتخابر مع الأخ بلافريج** حول هذه القضية، وهو يتولى الدفاع عنها كواحد منا، ونكون ربحنا ضياع الوقت والمال، ورأي آخر نترك الطلب الأول وشأنه، ونقدم طلبا آخر باسم غير اسم الصبيحي، وهناك ننصت لما يكون، ولم يتمكنوا من وحدة الآراء، كما لم يحكموا نهائيا بما يكون، إذ ينتظرون مجيء بعض الإخوان الفاسيين، أو يذهبان هم إليهم إلى فاس، والخلاصة كما يظهر لي أن الثقة انعدمت فيما بينهم بالمرة، إذ أن عبد اللطيف يصرح بعض تصريحات، من جملتها أنه لا يريد أن يفعل مع الحكومة شيئا يقلقها، وإنما..... كما أنه يقول، أن غاية ما يدافع عنه هو القضية البربرية، فإذا تعدلت هذه القضية، أو هذا الظهير بعبارة أخرى كما أخبرني..... (قد أخبرتك بهذا) فيمكن أن ينسلخ عن الجريدة، وعن أي قضية فيها تشويش، وهم يتخوفون منه لأجل هذا، كما ينسبون إليه أنه إنما يخدم مصلحة نفسه، أما اليزيدي فهو يقلد الفاسيين، ولا يحيد عن ارائهم، وهو معهم أين ما ذهبوا، والفاسيون يخشون كثيرا من سيطرة عبد اللطيف عليهم، وتلاعبه بهم، كما أنهم يريدون أن يصبغوا كل الأعمال بصبغة فاسية، والمحصل أن الموقف الآن حرج، إذ أن الصبيحي في كفة، وهو مستبد كما تعلم والفاسيون..... الأباطر في كفة أخرى، وهم كما تعلم، وليتك كنت معنا حتى تسوي هذه القضية بإرضاء الطرفين. هذا وأن بعض التصريحات التي ذكرت لك، أخبرت بها الأخ اليزيدي وأوصاني بالكتمان إذ أن هذه الأخبار لم يطلع عليها اللهم إلا الرفقاء الأربعة الصبيحي، اليزيدي، عمر بن عبد الجليل. وأنا أقترح عليك إن كتبت للأخ اليزيدي أو لغيره، أن تغض الطرف عما أخبرتك به،

وتبحثهم كأن ليس لك علم، كل هذا أفعله كما هي وصيتك، بأن لا ينبغي أن يطلع أو يخبر فرد بما تحدت به مع الآخر.

كما وأن القضية لم يحكم فيها نهائيا، وإذا أنجز شيء من هذه الأمور فسأخبرك به تفصيلا.

وقد أطلعني الأخ اليزيدي على الكتاب الذي أرسلت له، وفيه اقتراحاتك، وما ينبغي أن يكون من الأعمال المثمرة، فبعد الإطلاع عليه قلت له ما رأيك فيما قال لك الأخ، فقال أن هذا الأمر حسن، **إلا أنه ينبغي أن توحد الجهود ويتصل بالإخوان الفاسيين**..... حتى لا يصير كل واحد يعمل في ناحية منعزلاً عن الآخر، وأخيرا قال لي سأطلع الإخوان الفاسيين (لأنه لا يبرم أمرا إلا بعد الاتفاق معهم) على الكتاب، ونأخذ رأيهم ثم نكتب له، ويخشى من أن (مجلة العرب) لما تتكلم في القضية، وتصدر عددا ممتازا يخشى.... منعها من الدخول إلى المغرب وتحرم المغاربة منها.

ثالثا ـ سيسافر الأخ أبو بكر الصبيحي، للأقطار الحجازية لتأدية فريضة الحج، وقد سررنا كثيرا بهذا، وسيمر بكم فاستعدوا له لإفادته، وزودوه بما عندكم، وسيمر بالقطر المصري ويدخله، كي يبحث عن الحاج أبو بكر المالقي وأخته معه، وهذا هو السر الأول في تأكيد سفره في هذا العام، لأنه لم يطرأ هذا الخاطر، حتى لهذه المدة الأخيرة، وقد قال عبد اللطيف لأحد الأصدقاء، أنه سيرافق أخاه أبا بكر لمرسيليا، ثم يتوجه هو إلى فرنسا، والآخر يذهب إلى الحجاز، كما أن الأخ سيدي حجي، سافر أمس على باخرة هولاندية.

رابعا ـ بلغني من مصدر وثيق أن الأخ المكي الناصري، سافر من تطوان إلى القدس الشريف، وقد كان قصده من هذا المجيء جمع إعانة على ما يظهر، ولم يتحقق هذا الخبر رسميا وإنما هو خبر. أخبرنا به..... يعتمد عليه.

خامسا ـ تذاكرت مع زنيبر، في شأن الجريدة الرسمية، فأظهر كل سروره لتلبية طلبك، وقد أخبرني بأنه سيرسلها لك ..... ويمكن أن يرسل

لك معهما الجريدة الرسمية الفرنسية، فشكرته كثيرا وقد أعطيته عنوانك الخاص، كي يرسل لك ذلك رأسا.

سادسا ـ قد وصلك كتاب قبل هذا جوابا عن كتابك، وهو بخطي، إني متحقق أنك تعجب من بعض الجمل فيه، وهي عدم الثقة بشماعو ووو..... إني أشرح لك القضية، وأبينها لك بتفصيل، وأبين لك السبب الذي أدى إلى ذلك الغلو العظيم.

في هذه المدة وصل طرد من الإخوان الفاسيين فيه 30 عددا من جريدة (النور) وفي داخله كتاب من الهاشمي، يأمر فيه بتوزيع هذه الأعداد على الحجاج مجانا، وهو في اسم الأخ الحاج، فأخذ الحاج الأعداد وطلب من اشماعو أن يبيعها له، فقال له اشماعو كيف تبيعها وأصحابها يأمرونك بأن توزعها على سائر الذين يرغبون في الحج مجانا ؟ فقال له الحاج هذا أمرٌ لا يهمك، هذا غرض لي، وجاء في اسمي، فإن أردت أن تبيعه فذاك، وإلا فليس لك في أن تبحث عن هذا، ولا أن تشتغل به، فقال اشماعو بل هو غرض لي، ولابدّ أن أتدخل فيه، والواجب يقضي علي بذلك، ثم أعلم أنك إن لم تلب طلبهم، فسأكتب لهم ولغيرهم من سائر الناس، ونخبرهم بأنك خائن، ونحذرهم من أن يرسلوا لك أي شيء مرة أخرى، فأجابه الحاج بكلام أقبح من هذا الخ، من كثرة «اللجاج» والصياح، وفي الليل كان عندنا موعد اجتماع، فلما اجتمعنا طلب الحاج واجبه الذي أدى في هذه المدة، لأنه أراد الانعزال عن هذا الجمع، ولم تبق له ثقة في أعضائه، فأجابه اشماعو، بأنه لا يمكن أن يأخذ سنتيما واحدا، وإن أراد الانعزال فذلك شأنه، وقوي الصراخ، وتكرر الحضور، ولم تنفع فيهما موعظة، ووو حتى أوشكنا على الانحلال بالبتة، وقد صرح الحاج بأن اشماعو هو الخائن الكبير، وهو جاسوس، وهو وهو الخ مما تعلم، والآخر يجيبه مرة، ويسكت مرة أخرى وأخيرا استدركنا القضية ودفعنا للحاج واجبه، وخرج إلى حال سبيله، هذا هو سبب الخصام بينهما، أما أنا فلم أتحيز لطرف، وبقيت معهما مسالماً، أتذاكر مع الجانبين، وليس في قلبي حقد على أحد،

اللهم إلاَّ بعض الألم من ناحية كوننا يؤدي بنا الحال، حتى نرمي بعضنا بالخيانة بسبب أمور بسيطة، وزبدة القول كما في نظري أن الحاج كان من الواجب عليه أن يمتثل ما أمره به الإخوان، وإن لم يستطع يرده لهم، أما اشماعو فكان من الواجب عليه أن لا يصل لهذه الدرجة حتى يرميه بالخيانة، حتى يتسبب عن هذا القول هذه الفرقة، ونصير أضحوكة عند سائر الناس، وإني قد سعيت في حل هذه المسألة، كي أصالح في بينهم فلم أنجح، لأنك تعلم ثوران الأخ الحاج، ولكني لازلت أسعى وسأتعاون مع الأخ مصطفى، حتى نمحي هذه السيئة، ونرجعهم كما كانوا، وقد نبهتك وأتيت لك بأصل القضية لتعلم كيف تحكم وما يدخلك شك في كلا الطرفين.

الجالسان : محمد اشماعو والهاشمي الغلالي
الواقفون : سعيد حجي ومصطفى الغربي والصديق بن العربي

الحمد لله وحده

في 16 ذي الحجة سنة 1351.

أخي العزيز

سلاماً واحتراماً

نعم إنني تهاونت كثيراً في حق أخوتكم، حيث أنني لم أحافظ على النظام، وأكتب لكم بمجريات الأحوال كما هي العادة، ولكن ذلك لم يكن لتراخ مني أولا، وإنما هو عدم وصول الجواب منك ولا على رسالة واحدة حتى بلغ الحال أن أرسلت لك ما يقرب من خمس أو ست رسائل، لم تخبرني بوصولها أو عدمه، حتى اضطررت لأن أترك الكتابة في الوقت المعين، حتى نتحقق الخبر، لأنني بقيت متشوشا كثيرا، ولم أدر كما قلت لك، وخالطني ريب كثير في أمرين، إما عدم وصول الرسائل إليك، وأما تهاونك أنت وعدم التفاتتك للرسائل كي تخبرني بوصولها، ولو فكرت..... كما نحن متفقون عليه، وهذا هو الأمر الثاني الذي (برء كتابي) كما يقولون لأدركت كثيرا من الأشياء والآن وقد رميت عني كل تلك الأوهام، ورجوت أن يكون مانعكم مصلحة عظيمة، عدت إلى أصلي، وكتبت لكم أخبركم ببعض الحوادث لتكونوا منها على بال.

الصبيحي

محمد اليزيدي

1 ـ قد ذكرت لك في كتاب سابق بأن الصبيحي واليزيدي، يودان الاجتماع مع الفاسيين، كي يقرروا نهائيا في مسألة «العمل»، نعم فقد اجتمعوا بهم وكان قصدهم ما قلت، غير أنهم رجعوا بخفي حنين، ولم يحصلوا ولا على طائل، ذلك أن الصبيحي كان مصمما في ذلك الوقت على

الذهاب لفرنسا هو أو فرد آخر، (ولا يوجد غيره) أما الفاسيون فقد تعصبوا ولم يرضوا بذهاب واحد منهم إلى باريس، كي يدافع عن الصحافة هناك، لأنهم يعتقدون كما يقولون، بأن ذهابهم يكون عبثا، ولا يمكن أن يجلب أدنى فائدة، ولا تكون لهم من السفر إلا الخسارة المادية، ونحن في احتياج عظيم إلى أقل القليل منها، ويغلب علي الظن أن الحامل لهم على هذا، هو الخوف من عبد اللطيف، وهكذا اجتمعوا وافترقوا، ولم يحصلوا على أدنى طائل، وبعد ذلك سافر عبد اللطيف من فاس إلى البيضاء، وترك اليزيدي هناك في فاس، فقرر معهم الأخير ما قرروه، وإنما الذي علمناه، هو أنهم ألزموه بتقديم طلب آخر باسمه هو، وقد أخبرني بأنه لازال عازما على هذا، أي على تقديم الطلب، إنه لحد الآن لم يطلب شيئا، وعبد اللطيف لما رجع من فاس، ذهب إلى البيضاء، ومنها أتى إلينا، واجتمعت به، فقلت له : ما حصلتم في الاجتماع المعين في فاس، وهل افترقتم على نتيجة أم لا ؟ فقال يلزمنا نحن أن نقوم ونعمل وحدنا، لأن الفاسيين إنما..... وفوق هذا هم مستبدون، و و وبعد هذا ذهب إلى الرباط، **واجتمع بسيكو مدير الديوان المقيمي، وتذاكر معه مليا في قضية (العمل) والظهير البربري**، فأخبر بأن الحكومة لا يمكن لها أن تأذن لهم في صدور صحيفة، مادام الجو مكفهرا عليها، وبالأخص في الخارج، كما أن في عزم المقيم تحوير الظهير، لحالة ترضي المغاربة أجمعين، ولكن سيكون ذلك إذا تعقل المغاربة شيئا ما، وأقلوا من الضجيج والنكران..... المقيم كان في عزمه تغيير الظهير البربري قبل هذا، ولكن منعه سخط المغاربة في الداخل والخارج، وعدم تفاهمهم مع الحكومة، وإن وقع تغيير على هذه الحالة، فلربما يظهر عجز الحكومة، ويتذاكر به سائر المغاربة، وهذا ما لا تحبه السياسة الفرنسية الاستعمارية، وأخيرا قال له، إن هذا الكلام لم أخبرك به بصفة رسمية، ولكني أخبرتك به كي أطلعك على ما يجري من الأمور التي تفيد الجميع، فقال له عبد اللطيف، إذا كان الأمر هكذا، فإننا مستعدون للتفاهم مع الحكومة في مطالبنا، كما وأننا في إمكاننا أن نقضي على كل حركة، وبالأخص ما يقع في يوم 16 ماي (لأنه أخبرهم بأن هذا اليوم سيكون يوما مشهودا) ريثما ننظر ما تفعل الحكومة من الأمور التي تقول..... (وهذا يعد باب فتح المفاهمة مع عبد اللطيف والحكومة) **ثم**

أخبرنا عبد اللطيف بكل ما ذكرت لك وقال لي، يلزمنا أن نقضي على كل حركة، ولا نعمل شيئا يشوشها، ريثما ننظر ما يكون، أما يوم 16 ماي، فيلزمنا أن لا نفعل فيه شيئا هذه السنة، ونتخذ كل الوسائل، لحض الناس على ترك أي عمل، وإن اقتضت المصلحة **أن نطبع أوراقا** ونمضي نحن عليها، **نحض الناس فيها على إلزام السكينة**، ونخبرهم بأن المقيم يريد أن يغير الظهير البربري، إلا أن التغيير مشروط بسكوت المغاربة من هذا الضجيج، فقلت له لا يمكن هذا، حيث أننا **سنقضي على نفسنا بيدنا**، ذلك أن هذا الكلام الذي أخبرت به من تغيير الظهير، وحرية الصحافة، لم نخبر به رسميا، وأيضا لا يمكن أن يصدقه الناس، سواء العاملون منهم أو غيرهم، ويمكن أن يكون هذا الكلام مجرد خرافة، وقصدهم منها وزن عقول الوطنيين، ومقدار عملهم وثباتهم، وأيضا لو أخبرنا به على طريقة رسمية، لما تنازلنا عن العمل، لأننا لا نعمل اليوم للظهير البربري وحده، وإنما نعمل لمصلحة المغرب عامة، سواء منها الظهير أو غيره، فقال لي أما المسألة الأولى، وهي أنهم لم يصرحوا لنا بصفة رسمية، فيمكن لنا أن نجعله رسميا، وذلك بأن نطلب من المقيم أن يعقد اجتماعا يحضر فيه الوطنيون، وأعيان البلاد، وهذا يكون بمناسبة العيد، ويصرح فيه علانية بأنه عازم على تغيير الظهير، كما يرضى المغاربة، وأما المسألة الثانية وهي أننا لا نخدم الظهير وحده، فأنا في هذه الساعة لا أسعى إلا في محو الظهير أو تغييره، على الأقل، فإذا تغير، فيمكن وهو الغالب أن أتوظف كما كنت من قبل، كما وأنه إن تغير، فلا يبقى لي اهتمام، لا في جريدة ولا في غيرها، وهناك ندفع الدراهم التي عندي ودفعتها ضمانة لمصلحة، أو يقوم آخر بطلب الجريدة، ويفعلون بها ما يرون، وإنما المقصود هو أنني أتخلى تماما عن كل تشويش، فقلت أما أنا فلست معك في هذه الآراء، ولا أتعاون معك لهذه الغاية، وإنني أدعك وشأنك، وافترقت معه على أن نجتمع مرة أخرى، ولقد سعى كل السعي في بث أفكاره وآرائه لدى الوطنيين، فلم يلق إلا الرفض من الجميع، ولم يوافقه ولا فرد واحد، والآن ذهبت كل هذه الأفكار أدراج الرياح، ولم أدر ما يصنع هو، وإنما هو يريد أن يدفع تلك 3000 فرنك التي كانت ضمانة، يدفعها (للمغرب)... الفرنسية أمانة، وقد وافقه الفاسيون والرباطيون على هذا الأمر، وسنرى ما سيكون.

2 ـ في هذه المدة، وصل لطرفنا مدير المغرب المحامي (لونكَي)[1] كما أشرت لذلك في رسالة سابقة، ومعه الأخ أحمد بلافريج، وقد قدم لأجل الدفاع في قضية في فاس لشخص له دعوى هناك، أرادوا أن يحكموا عليه بالأحكام العرفية،.... وأرسل له يتولى الدفاع عنه، أما الأخ أحمد فقد جاء بصفته ترجمان معه، ولقد حاز الإذن من وزارة خارجية فرنسا على المجيء، وعلى عدم التعرض له، وقد جلس في فاس مدة تقرب من عشرة أيام، لم يقصروا فيها من أنواع الإكرام، وقدمت له هناك عدة هدايا، واجتمع بأفراد عديدين من أعيان المغاربة، ولقد سر كثيرا بما لقيه من التبجيل والاحترام، وبعد الجلوس في فاس قدم لعاصمة المغرب الرباط، ونزل في منزل الأخ أحمد بلافريج، وما أن وصل للدار، حتى تهافت للسلام عليه وشكره على خدماته الجليلة عدد عديد من أعيان المغاربة، سلاويين، ورباطيين، ولقد زرته وكان المترجم بيننا الأخ اليزيدي، فشكرته بلسان أهالي سلا، على خدماته المتوالية للمغرب، مما يدل على طيب سيرته وحسن نيته، وقلت ليس لنا لسان نعبر به عن شكرك على أعمالك العظيمة، ومجهوداتك الجسيمة، فقال لي : أنه لم يفعل إلا ما يريح ضميره، وأن ما لقيه من سائر المغاربة من أنواع الاحترام والتبجيل من المخلصين، يدل على ما تكنه صدورهم من الإخلاص، وحب العمل، وهذا ما يزيده تشجيعا وتماديا في خطته الشريفة، وأيضا فإنه لم يلق الوجوه إلا مستبشرة أمامه، مما زاده محبة وتعلقا بالشعب المغربي، إلى غير ذلك من التعبيرات القلبية، هذا وقد لقي من الرباطيين عموما كل احترام وقدمت له هدايا، ومن ذلك أنه أراد أن يشتري بعض الأمتعة تقدر بـ600 فرنك، وأبى صاحب الأمتعة من أن يقبض منه سنتيما واحدا، كما أنه أكرم من عدة أفراد، منهم أبناء الشيخ شعيب الدكالي، وغيرهم، ولم يفتنا نحن أن نعبر له عما يكنه صدر السلاويين نحوه، قد عرضناه لتناول الغداء معنا في منزل أبيكم، فلبى الطلب، وحضر سائر الإخوان في هذه الحفلة، فمن فاس بن الحسن الوزاني، وبن التهامي الوزاني، ومن الرباط اليزيدي، وأحمد بلافريج، ومن

(1) روبير جان لونكي رجل اشتراكي، كان هو المدير المسؤول في مجلة (مغرب) الفرنسية وكان رئيس تحريرها هو أحمد بلافريج الذي كان يوقع : A.B.

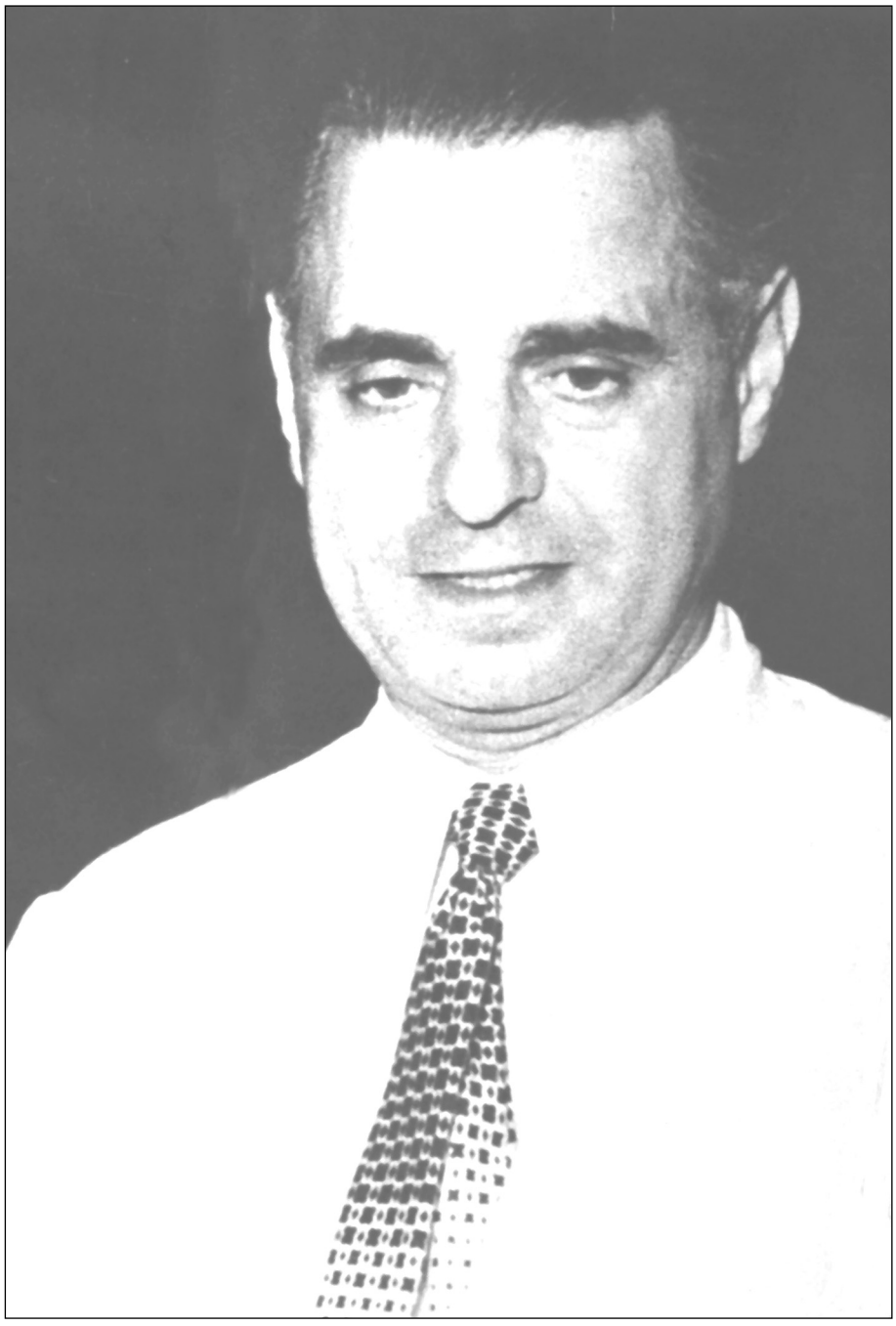

الحاج أحمد بلافريج

مكناس الفقيه غازي، ومن البيضاء الصبيحي، والإخوان السلاويين وغيرهم، ولقد كان المجلس مجلس أنس وسرور، واستغرقنا في الاجتماع معه ما يقرب من أربع ساعات، مضت كأضغاث أحلام، ولقد قام بتقويم الحفلة أبوكم سيدي أحمد، حياه الله، والأخ النشيط سيدي محمد، وقد اشترينا له هدية تقدر بمائتي فرنك 200 فرنك، وهي عبارة عن إزار طويل مغربي، وعليه طرز مغربي وهي هدية حسنة، وقد اجتمعت به مرارا، عند الأخ أحمد بلافريج، هذا وقد تذاكرت مع الأخ أحمد في مواضيع شتى منها تعريب المجلة، فأفادني بأن هذا العمل صعب، ويتوقف على شيء عظيم من المال، ولكنه يسعى الآن في أن يطلع المغاربة الذين يعلمون الفرنسية على فهم ما تنشره، وإن لم تكن بطريقة تعريبها نفسها، ثم تذاكرت معه حول العمل، فقال لي بما أن عبد اللطيف فتح باب المفاهمة مع الحكومة بطريقة ربما لا ترضينا، وإن كان رجلا مخلصا، فنحن لا يمكن لنا أن نعينه على عمله هذا، وندافع عنه في باريز، ولو كان متفقا معنا لفعلنا اللازم حول العمل، ولكن..... ولقد أفادني بأنه يتكاتب معك، وقد طلبت منه المجلة.

3 ـ إن الأخ المكي الناصري مقيم اليوم بتطوان،وهو على غاية ما يكون، ولقد خصص أولاد الطريس له دارا فخمة، يتمتع فيها بكل حرية.

4 ـ كنت ذكرت لك قبل، بأن علال الفاسي منع من نيل شهادته (العالمية) حتى يقدم توبته، ولما صارحوه بهذا، لم يجد وسيلة يبرهن لهم فيها على مقدرته، وحسن إدراكه واعتماده على نفسه، اللهم إلا أن شرع يدرس في القرويين ما بين العشاءين، ولقد كان درسه موضع إعجاب الجميع، إذ صار يحضر عليه غير الطلبة ما يقرب من السبعمائة شخص، كلهم من أعيان الناس، ولقد أفادونا بأنهم يتخاصمون على الأمكنة، وينزلون ألبدتهم (سجاداتهم) بعد صلاة العصر حتى لا يضيع المحل، وموضوع الدرس الذي يدرس السيرة النبوية، وهو شيء جميل جدا، إذ أنه صار يقرؤها بطريقة لم تكن مألوفة عند العوام، وهي المقارنة بين عهد النبي وأصحابه، وهذا العهد، ثم التعريف بالصحابة ومقدار رجوليتهم، وأن

بمناسبة انعقاد دورة الأكاديمية في أبريل 1988 حديث مع الشيخ المكي الناصري

السبب في ذلك هو اعتمادهم على أنفسهم وعدم خضوعهم لعدوهم، وتفديتهم دينهم بالنفس والمال، في سبيل نصرته، وإعلاء كلمته، ثم يقول لهم نريد أن نفدي ديننا بأرواحنا وأبداننا ومالنا، وكل ما لدينا نريد أن لا نخشى إلا الله، في هذا الأمر، نريد كذا نريد كذا ؟؟؟ مما هو معلوم. ولقد أثر درسه هذا على الحكومة تأثيرا لم يكن بالحسبان، إذ أنها لم تعتقد أن هذا الإقبال العظيم يحصل على ذلك الفرد النحيف، فأرادوا البطش به، ولكن تعرض لهم السلطان، كما سمعنا بأن العلم لا ينبغي لهم التعرض له، ولقد بدؤوا يدبرون ما ينقدهم من هذه الورطة، فأوعزوا إلى بعض العلماء بأن يقدموا شكاية للمخزن، يتعرضون فيها إليه، بأنه صار يدعو الناس إلى الكتاب والسنة، ورمى ما عداهما مما عليه المغاربة طول هذه السنين، وهو المذهب المالكي ووو الخ ولكن كل هذه التآمرات لا تلقي نجاحا، وسينصره الله عليهم، والحاصل أن اليوم في فاس حركة مباركة، نطلب الله أن يكلل الأعمال بالنجاح.

5 ـ إن كتابتكم في (العرب) حول (العمل) أثرت أثرا سيئا في بعض النفوس، إذ بدؤوا ينشرون بأن تبجيلك لعبد اللطيف، وأنه هو الفرد الوحيد الذي واجه الحكومة، والآخران إنما ذكرت اسمهما مجردا عن كل تبجيل، كل هذا أثر على الرباطيين والفاسيين أثرا لا مزيد عليه، وبهذه المناسبة نذكر لك بأن كتاب الأخ اشماعو لصاحب العرب، وتعريفه إياه بفسه، بأنه هو آخر الزعماء الثلاثة الذين نُفوا في سبيل حريتهم، ونتج عن كل هذا ذكر سيئ، في جانب السلاويين، وأنهم يحبون الظهور، ولا يعملون بإخلاص، وصاروا يعمرون المجتمعات بكذا، وأخيرا قالوا عليه : ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾ صدق الله العظيم.

6 ـ (إن الحاج عبد السلام بنونة التطواني المشهور، كان قدم للبيضاء في هذه المدة لقضاء أغراض شخصية، وقد وعد بعض السلاويين بأنه سيزور الرباط وسلا، ولكن السلطة أبت إلا أن تخرج هذا الرجل من مستعمراتها، ومنعت عليه الاجتماع بإخوانه المغاربة، كل هذا تفعله لتضييق الخناق على المغاربة ولكن...!! وقد ذكرت هذه الحادثة جريدة مدريد المشهورة.

7 ـ اطلعت في جريدة (النجاح) على اجتماع عبد الحي مع الأمير شكيب..... وإعطائه له بعض مكاتب إلى مصر كي يحتفلوا به، واجتماعه مع محمد علي الطاهر، وافتضاح أمره بعد ذلك بسبب مجهودات الإخوان المغاربة الموجودين..... حتى أدى الحال بالطاهر، بأن يكتب له، ويطلب منه أن يعفيه من الاجتماع معه، فإياكم أن تتراخوا أنتم، وتدعوه يتصرف ويستغل أفكاره، بسبب غطرسته، بل حاربوه بكل ما لديكم من قوة، وأوعزوا لسائر المغاربة هناك بهذا، وكذلك الجزائريون..... لأنهم مغاربة، هذا وقد أخبرت جريدة الأيام بوصوله لمصر، فقالت أن الشريف عبد الحي قدم إلى مصر، وسيزور دمشق، فنبهوا صاحب «الأيام» وإياكم والتكاسل.

8 ـ «تغيير المجلس العلمي» إن الخونة.... الذين يضحك عليهم الدهر بالصعود إلى قمة المجد، لا يلبثون أن يخون بهم، ويعودوا لأصلهم.... الهمجي، ومن ذلك رئيس المجلس العلمي بفاس ابن الجيلاني، ذلك الرجل المشهور بكراهيته للعلم والعلماء، والساعي في هدم أركان كل مصلحة تعود على الدين والوطن بخير، وهو المفتي العظيم الذي أفتى لما وقعت واقعة البربر بقوله تعالى : ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله﴾ الآية، وهو الذي قلده رئيس الجمهورية الفرنسية القديم، لما زار المغرب وسام الشرف على خدمته وتفانيه في مصلحة الدولة..... وهو السبب الوحيد في انحطاط القرويين للدرك الأسفل، بعد أن كان منه ما كان، هذا الرجل المبغوض عند سائر الطبقات، تغير عليه الدهر، فسقط من مرتبته الذي كان يترأس فيها، ويستغلها لمصالحه الخاصة ولصالح.....! عامة وأعفي من رئاسة المجلس العلمي، هو ونائبه البكراوي المسخوط، ولقد سر سائر الطلبة والعلماء في المدن المغربية، وخصوصا طلبة القرويين من سقوط هذا الرجل من رئاسة المجلس، وتفاءلوا خيرا في الرئيس الجديد سيدي عبد الله الفضيلي، ونائبه الفقيه بن القرشي، بأن القرويين ستزدهر في أيامهم، وبرد ما فاته من المجد الشامخ، ومن جهة أخرى فقد أشيع عندنا أنهم لم يعتبروا المجلس المذكور، إلا لأمر ما لم نعلمه حتى الآن، وسننظر ما سيكون.

9 ـ من مدة كنت اجتمعت بالأخ عمر، وتذاكرت معه مليا في شأن الدراهم، ولقد اعتذرت له عن عدم الدفع بسبب هذه الأزمة، ولقد أخبرني بأنك كتبت لبعض الإخوان في فاس، وعرضت عليهم رأيك في العمل يوم الخ، فألححت عليه في إجابة طلبك، وإجابتك، كما وأنه أخبرني بأنه سيذهب لباريس مصاحبا معه ولد القائد صاحبه، لأنه مريض، وسيتداوى هناك عند الطبيب الذي تداوى عنده الأخ بوعياد، ولازال الآن في فرنسا.

10 ـ أقترح عليك أن تكتب للإخوان بمصر، كي يرسلوا لنا كل جريدة أو مجلة تتكلم حول المغرب، كما نحن متفقون عليه ولم..... وعلى الأخص صحيفة الجهاد، لأننا دائما نراها تنشر مقالات مختلفة عن المغرب، فاجتهد في تلبية طلبنا كي نكون لك من الشاكرين.

11 ـ بكل صراحة أخبرك بأن عدم كتابتك، وإجابتك لي أثرت في تأثيرا عظيما، حيث أنني لم أستطع الآن أن نكتب لك إلا بمشقة عظيمة، لأني تكاسلت كثيرا من أجل هذا، فأفدني عن السبب الحاصل لك على هذا، واترك عليك ما قلت في تلك البطاقة الصغيرة من كثرة الأشغال، فقد رأيت ما ينفي ذلك، وذلك لأنك كتبت لعدة أشخاص كتابة طويلة، لا أتعرض إليها الآن، وعلى كل حال فارم عنك رداء الكسل، وأجبني عن كل رغباتي التي طلبت منك، وأفدني بما عندك تفصيلا، وأخيرا هل حزت الدراهم التي أرسلت لك وهي 400 فرنك أم لا، والسلام.

الحمد لله وحده

سلا في يوم الأربعاء 6 شوال سنة 1351.

أخي العزيز، سلاما واحتراما

وصل كتابك المؤرخ في 33/1/16، وعلمت ما ذكرتم، وإني مجيب لك عن الأسئلة التي وجهت لي، كما أني سائق لك بعض الأخبار التي استحضرت عند كتابة هذه الأسطر.

1- سألتني هل نخبر الأخوين جَ وشَ بعلمك بالجمعية الأدبية أم لا، وما هي الطريقة التي تجلب بها الدراهم منهم، فأقول : الوسيلة التي يظهر لي، هي أن تكتب إلينا جميعا وتطلب منا دراهم كثيرة، لأجل قيامك بأعمال متوقفة على المال، ولا تفصح لهم عن علمك بالجمعية حتى يعلموك هم.

2- (الوداد) صدر منه عددان نمر 155، ونمر 156، والثالث لازال تحت الطبع، وهو يصدر في كل خمسة عشر يوما مرة، ويقع في ثماني صفحات، وقد بينت لك في الكتاب السابق، أبوابه، وطلبت منك أن ترشدني وتقترح علي، لأن لكل بادئ دهشة، ها أنا أنتظر، أما الأفراد الذين يطالعونه فلحد الآن لم يطلع عليه ولا واحد من الناس، غير أنني سأمكن الإخوان منه «الحصيني وابن العربي والغربي[1]» إلا أن الغربي فكرته غير صحافية، كما صرح لي بذلك مرارا، لذلك فإني لا أعتمد عليه في كتابة مقالات أما الأخ بن العربي، فسأجتمع به، لأنه بدأ يتدرج في العافية، والذي يظهر لي، أنه يكون لي خير معين، وقد طلبت مني أن نبين لك رأيي في اطلاع الأخ الهاشمي، على هذا العمل، فأخبرك بأن كل ما ترضاه أنت يكفي، ولا تحتاج إلى مشورتي في مثل هذه الأمور.

(1) محمد الحصيني، والصديق بن العربي، ومصطفى الغربي.

3- مجلة المغرب الفرنسية لا تصلنا، وقد عملت جهدي كي أجتمع مع الأخ عمر، فلم أتمكن من ذلك، لأنه طول هذه المدة كان مريضا، وقد كتبت له بمناسبة العيد، وطلبت منه عنوانه الخاص.

4- (مجلة المغرب) العربية، قرر جل الوطنيين محاربتها، ومن جملتهم اليزيدي والفاسيون. هذه مدة من عشرة أيام وعبد السلام بن مسعود «اللفت» الفاسي، الذي كان يتجر بالخميسات، وأبعد عنها أخيرا، فالتقى مع قائد زمور، فقال له الثاني لماذا أنت هنا ؟ وفي أي وقت جئت ؟ وما هو الغرض الذي جاء بك ؟ فقال له أما جلوسي هنا فلا يهمك، وأما الوقت الذي جئت فاليوم، وأما الغرض الذي جئت من أجله إلى هنا، فليس لك حق في التدخل فيه، وهو أمر شخصي إلخ... وبعد كلام طويل أمر القائد أحد المخازنية، بأن يصحبه للعمل الذي جاء من أجله، وما أصبح الصباح، حتى وجده لازال واقفا بالباب، طلب منه أن يجيب القائد للمحكمة، فذهب إليه وبعد كلام في التليفون، أمره بالذهاب إلى المراقبة، كي يجتمع مع المراقب، فذهب ولما وصل وجده مغتاظا، فصار يتكلم بكلام قوي، قريب من السب، فأجابه الأخ بمثله، ومن جملة ما قال له أنت الذي كتبت بي في المجلة وشرحت لهم قضيتك (يعني قضيته مع المبشرين)[2] الذي كان طرد من الخميسات بسببهم، فقال له نعم، ولم نقل إلا الحقيقة، فقال له أنا لم أمنعك من الكلام معهم، ولا مع غيرهم وإنما... وسكت فقال له إذا لا تتكلم معي الآن إذا ذهبت إليهم وقاومتهم، وفعلت مثل فعلهم، و و، فقال له لا لا لا وأخيرا قال له سأخبر رئيس مراقبة مدينة فاس، كي يمنعك من الدخول إلى الخميسات مرة أخرى، وخرج، فأرسل المراقب في طلب الأشخاص الذين اجتمعوا به وهددهم ولدينا أسماءهم.

5- **اجتماعي مع الأخ مصطفى الغربي**، أجتمع معه مرة في الأسبوع بصفة رسمية، ويمضي وقت اجتماعنا في المذاكرة العلمية بصورة سطحية في

(2) أثناء هجمة المبشرين والمبشرات على منطقة الخميسات، قام عبد السلام بن مسعود اللفت يطوف عليهم، ويناقشهم ويظهر غيظه ورفضه لدعوتهم التبشيرية.

مختلف المواضيع، وقد اقترح علي دراسة تفسير رشيد رضا، في هذه المدة فقبلت، كما طلبت منه أن نجتمع معه ثلاث مرات في الأسبوع على الأقل، فاعتذر بكثرة الأشغال.

6- من عجيب هذه السنة، وتهاون حكامنا في دينهم، وعدم اكتراثهم بشريعتهم، أن عيد الفطر لم يثبت عندنا، حتى قرب غروب الشمس من يومه، ويقولون أن ذلك فعلوه قصدا، كي تذهب سنة العيد مع الذاهبين، وأنهم يتشاءمون بصلاة السلطان صلاتين في يوم واحد، ويخشون الموت في تلك السنة (نعني موت السلطان).

7- (**شيء يجب أن ينشر**) في هذه المدة، أذنت وزارة الأحباس في بناء مسجد... الزاوية الناصرية، وما أخذ البناءون يشتغلون هناك، حتى عطلوا بإلزام من المخزن، والسبب في ذلك هو أن المراقب المدني، اقتضى نظره السديد أن ينتهك حرمة المسجد، الذي هو بيت من بيوت الله، ويأخذ طرفا منه يزيده في الزنقة ليتوسع المحج، وإن أدى ذلك إلى تضييق المسجد وتعويجه، ولقد استاء سائر الطبقات من هذا الفعل الذميم، ولدينا فتاوي علماء البلدة في حرمة هذا، غير أنهم خشوا من السلطة، وهم جبناء، كما في علمك، ولا يخفاك أن هذه المسألة لها أهميتها، فاليوم أخذو طرفا من المسجد لتوسيع الطريق، وغدا يأخذون مسجدا بتمامه، يجعلونه حانة للخمور، فاللهم إن هذا لمنكر، يجب أن يشهر ولابد.

8- **افتتاح مركز تبشيري في سلا** : افتتح والحمد لله... مركز تبشيري في سلا، باسم مستشفى، وهو لا يقبل إلا النساء والصبيان، ولقد كتب على بابه بالعربية مع الفرنسية، مستشفى الأهالي، القائم به بعض نساء فرنسا، وعلى يسار الكتابة، جعل الصليب بصورة كبيرة، وأن الطفل إذا ذهب إليه يجد ما يرضيه من أنواع الحلويات وأدوات اللعب، مما يبرهن على حسن نيات أصحابه، وقد بدأ الأطفال يذهبون إليه لأجل التداوي أو المرض ؟ لا أدري فيجدون ما يرضيهم، ويتمنون لو يجلسون هناك طول النهار، ولقد زار المراقب هذا المستشفى في هذه الأيام، فنبههم للخطر الذي يصل إليهم بوجود الصليب على الباب، فمحوه من ساعته ظنا منهم أن....

9- إن حاكم زمور، لما رأى أعماله مبينة بالتفصيل في المجلة[3] حار في أمره، ولم يدر من هو الشخص الذي يخبرهم بذلك، لذلك تراه حرص على البحث والتنقيب، لعله يصادف شيئا، وقد أخبرتك ببعض الذين شك فيهم، قبل هذا الوقت، أما الآن فسئاتيك بقصة أخرى وقعت له.

10- **صدى الكتابة في العرب**[4] : قد أقبل الناس على مجلة (العرب) إقبالا لا مزيد عليه، وذلك لما رأوا أنها صارت تهتم بمشاكل المغرب، تجيء إلى سلا وحدها 20 عشرون عددا.

11- بقي علي سؤال، وهو قولك هل أخبر الإخوان بكل ما أكاتبهم في شأنه، فأقول إن هذا لا علم لي ولم أر واحد منهم، فلم أر منهم إلا الكتمان في الأمور المكتومة، اللهم إلاّ في قضية سفرك، وقع سوء تفاهم فيما بينهم، وليس معناه الإباحة وإنما هو التعصب... وقد تداخلت في القضية وباشرتها عن أحسن حال.

12- أما الأخ اليزيدي، فلازال عاطلا لم يشتغل، وغاية ما ينتظر الإذن في الجريدة، ليشتغل بالتحرير فيها، كما أنه يجتمع مع الوطنيين الرباطيين بصفة رسمية في كل أسبوع مرة... كما أنه مرتبط تمام الإرتباط مع الإخوان الفاسيين،

13- أما مجلتنا (العمل) فلا زلنا ننتظر الإذن في إصدارها، وقد أخبرونا بأن المجلس الأعلى، لازال ينظر في القضية، والغالب على الظن أنهم ينتظرون المقيم.

14- الأخ عبد اللطيف عازم على الذهاب إلى تطوان، وهو يسلم عليكم كثيرا ومسرور من الكتابة في (العرب) وإن كان لا يعلم الكاتب، وغايته من الذهاب إلى تطوان، الاجتماع بالهيئة العاملة ومع الأخ الناصري.

---

(3) مجلة (مغرب) بالفرنسية، كتبت عدة مقالات تتعلق بالحركة التبشيرية في زمور.
(4) (العرب) جريدة أو مجلة أسبوعية كانت تصدر بفلسطين ومديرها : عجاج نويهض وكان يراسلها سعيد حجي.

15- عند كتابة هذه الأسطر، بلغني أن السيد روبير لونجي رئيس تحرير مجلتنا «المغرب» عين في الوزارة الجديدة كوزير للعمل، ولقد سررنا كثيرا بهذا.

16- في نيتنا عقد اجتماع غدا مع الأخ الصبيحي، واليزيدي، وإذا تذاكرنا في أمور مهمة فسأخبرك بتفاصيلها.

17- قد أساء لي الأخوان جَ وشَ بعض إساءة، وإني وإن كنت متكدرا منها، غير أني أريد أن أكون حليما، لهذا عدلت عن شرحها لك بعد أن كان بودي شرحها، أخي أسمح لي حيث أنني لم أوافك بأخبار مهمة، وذلك لأني متكدر كثيرا لم أستطع التفكير بسببه.

قد أرسلت لك قرضا بطريق الشيخ عدنان الجزائري، فخذه منه، وإن طلب منك شيئاً، فاكتب لي حتى....

قد كنت أخبرتني بأنك تكلمت مع صاحب مجلة الرابطة الإسلامية، وأخبرك بأنه أرسلها غير أنها لم تصلني.

لم تخبرني هل وصلت اليومية المغربية أم لا ؟

الحمد لله وحده

سلا في 27 محرم عام 1353.

أخي العزيز

السلام عليكم ورحمة الله

قد كنت أرسلت إليكم رسالة بالطيارة في الأسبوع الفائت، أخبرتكم فيها بحادثة الخمر التي وقعت بسلا، والتي تسبب عنها إلقاء القبض على الأخوين حصار، ومعنينو، ولقد قدموا للمحكمة، وبعد دفاع وأخذ ورد، وتطوع محام وهو المسيو امبيرجي للدفاع عنهما، حكم عليهما بشهرين ابتداء من يوم دخولهما، فيكون إطلاق سراحهما في ليلة عيد المولد، ولربما تجدونهما لا زالا في السجن إذا رجعتم. أما حالتهما في السجن فهي على غاية ما يرام، وقد زرتهما اليوم في السجن، فوجدتهما يتمتعان بقوة إيمان، سوى مرض الأخ حصار، الذي ألم به في صحته بسبب رميه في «السيلون» ولكنه الآن يتقدم في مدارج العافية، وقد زاره الطبيب في السجن، فوجده على غاية ما يرام. هذا وقد كلفاني بالكتابة إليكما، وإخباركما بما وقع، وهما يسلمان عليكم كثير السلام.

أخي إن طغيان المراقب، والباشا، والترجمان، قد كثر في هذه المدة، وهم يتربصون الدوائر بسائر العاملين، وقد سروا كثيرا بسجن الأخوين، كما أنهم يشيعون بأنهم عازمون على الأخذ بالثأر من الآخرين، وقد مللنا الحياة معهم، وعزمنا على محاربتهم، بكل الوسائل، ونشر وفضح أعمالهم القائمين بها، وأرسلنا شيئا من ذلك لجريدة «الحياة» كي تنشره، إلا أنها اعتذرت، ولها الحق في أن ذلك يؤدي إلى تعطيلها، لهذا فغاية ما نطلب منك الآن، هو أن تبحث لنا عن جريدة نراسلها حينا بعد حين، وهي بدورها تنشر لنا كل ما نرسل لها، وبهذا تكونون قد قمتم بواجبكم نحو حصار

ومعنينو، بل وسائر العاملين، كما أنتم بدوركم يجب عليكم أن تنشروا كل ما يخطر ببالكم من معايب هؤلاء الخبثاء.

أخي إن جلالة السلطان، زار مدينة فاس أخيرا، وقد تلقاه الشباب بمظاهرة عظيمة فمن تحية، إلى أناشيد، إلى الأخذ بزمام السيارة والاستيلاء عليها، حتى اضطر البوليس للحيلولة بينه وبينهم، ولكن أنى له ذلك. وأخيرا لما تفاقمت الحالة، واشتد الموقف، وتكررت المظاهرات، عند كل مناسبة ذهب هيلو إلى فاس، وألزم الجلالة الشريفة بالرجوع إلى الرباط في الحين بعد أن كان سيجلس في فاس ما يقرب من الشهر، وبالطبع سيمضي 16 ماي هناك ولكن... وقد نشرت الجرائد الفرنسية هذه الأخبار، واستنكرته كما أن الصدر الأعظم أصدر منشورا قال فيه أن جلالة السلطان يجب أن يبقى دائما محبا للدولة الفرنسية، وهو كثير الولاء لها إلخ ولا ندري ما سيقع، ولحد الآن لم تصلنا التفاصيل من فاس. أما يوم 16 فسيكون على غاية ما يرام، وسنخبرك بما يقع وعجل بالكتابة إلى أخيك، كما نطلب من الأخ عبد الكريم، أن يكتب إلي ويخبرني عن موقفه إزاء قضية حصار. والسلام.

أخوكم

قضية المنبر الأثري
بمدرسة أبي عنان المريني بفاس

منبر مدرسة أبي عنان المريني يعد روعة في الفن المغربي، وهو مرصع بالصدف والعاج، ومموه بالزخرفة والنقش الجميل.

ولقد صنع أيام الأمير أبي سعيد عثمان بن عبد الحق المريني المتوفى سنة 751 وهو الذي بنى مدرسة أبي عنان التي سميت باسم حفيده (أبي عنان).

هذا المنبر امتدت إليه أيدي الاستعمار، وحملته إلى دار الآثار، تمهيدا لحمله إلى دار الآثار بفرنسا.

ولقد لقي هذا العمل استنكارا قويا من لدن السكان الفاسيين، فقدموا احتجاجاتهم للسلطان، ورفعوا البرقيات للمقيم العام الذي وجده الحال إذ ذاك مسافرا.

قضية الاستيلاء على نسخة صحيح الإمام البخاري بخط أبي عمران موسى بن سعادة

كان يوجد بخزانة القرويين نسخة خطية لصحيح الإمام البخاري رحمه الله، وفي سنة 1346هـ أخذت هذه النسخة من طرف أحد براذن الاستعمار الذي أعطاها لسادته الفرنسيين.

وهذه النسخة من البخاري مكتوبة بخط أبي عمران موسى ابن سعادة المتوفى سنة 522هـ بالأندلس، كما قال ابن الأبار المأخوذة عن نسخة الحافظ الصدفي، الذي أخذها عن نسخة مقروء بها على أبي ذر الهروي الذي أخذ عن تلامذة الفاربري الذي كانت بيده نسخة الصحيح بخط البخاري نفسه، كما في صحيفة 255 جزء 4 من فتح الباري شرح البخاري.

ولقد ادعى آخذوها بأنهم سيأخذون عنها نسخة بالفوتوغراف، نظرا لأهميتها التاريخية، لأن أهميتها لا تقتصر على مجرد كون عمرها الآن 851 عاما، بل هناك مزايا آخرى كثيرة تجعلها الوحيدة من نوعها في العالم. منها خطوط العلماء وسماعاتهم المكتوبة عليها، كسماع حسين بن محمد بن علي الأنصاري على محمد بن يوسف بن سعادة بالمسجد الجامع بمرسية عام 539 وسماع آخر بتاريخ 559 هـ وغيرهما. وشهادة العلماء بصحة نسبتها لابن سعادة، في سائر العصور، فمن أهل القرن السابع ابن الأبار، كما في تكملة الصلة صحيفة 190 ومن أهل القرن الحادي عشر، المقري في نفح الطيب صحيفة 426 الجزء الأول طبعة مصر، وأبو عبد الله محمد الصغير بن عبد الرحمان الفاسي، في المنح البادية في الأسانيد العالية، وأبو حامد العربي الفاسي، في مرآة المحاسن، ومن أهل القرن الثاني عشر، شيخ الجماعة بفاس عبد السلام البناني، كما في فهرسته وأبو العباس أحمد بن

عبد العزيز الهلالي في فهرسته أيضا، وهؤلاء ممن رأوها بخزانة القرويين، وصرحوا بتحبيسها. ومن أهل القرن الثالث عشر، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان البصري المكناسي، كما في إتحاف أهل العناية والسداد، ومحدث الحجاز أيضا محمد عابد السندي المدني في كتابه المسمى حصر الشارد، وأبو عبد الناصر الدرعي، في كتابه المزايا فيما حدث من البدع في الزوايا. وكونها عمدة أهل المغرب في رواياتهم وتصحيحاتهم، كما هو مكتوب عليها بخطوط العلماء الذين نسخوا منها، أو قابلوا عليها، وكما هو مذكور في غير ما كتاب في الحديث وفهرسته، أو ثبت لعلماء هذا الفن.

ومما هو مكتوب عليها الآن، ظهير السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان بطابعه الخاص، بإقرار تحبيسها وتجديده، ووثيقة عدلية بتحبيسها أيضا بثلاثة عدول.

وبعد أخذهم لها، كلفوا أحد أذنابهم من دعاة الاستعمار، فوضع مقدمة لها ذكر فيها كل ما يتعلق بها من كيفية وصولها من الأندلس، إلى المغرب، وكيف وصلت لخزانة القرويين، وشهادة العلماء، وما هو مكتوب عليها وكيف خرجت من خزانة القرويين على سبيل الاستعارة، كما في الكتاب السلطاني المعروف، وكيف وصلت لمكتبة الحكومة بالرباط، وكيف أخذت ليؤخذ عنها. وأخيرا طلب من الحكومة رجوعها وإقرار عين المومنين بها كما في صحيفة 31 من المقدمة.

ولكن المقصود رجوعها لخزانته المحبسة على الخزانة الوطنية بباريز كما هو شائع وإقرار عينه هو بها.

ولكن مع الأسف لم ترجع للمسلمين ولا له للآن.

من المسروقات كذلك

1) فرشة جليج محراب المولى إدريس بن إدريس
2) فرشة جليج أثرية من جامع القرويين
3) ثريا جامع تازة وسطر لابها

ولقد أخذت هذه الأشياء بدعوى نقلها إلى دار الآثار، ولكنها نقلت إلى باريز.

في سنة 1933 تقرر أن تعقد جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين التي كان مركزها بباريز، مؤتمرها السنوي بالمغرب، ولكن السلطات الاستعمارية منعت انعقاد المؤتمر، فاجتمعنا، وقررنا الاحتجاج على هذا المنع، ورفعنا برقية وقعها الأخ محمد حصار تتضمن احتجاجنا من جهة، وتضامننا مع الجمعية المذكورة من جهة أخرى. فتلقى الأخ محمد حصار رسالة من رئيس الجمعية إذ ذاك الأستاذ محمد الفاسي جاء فيها :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
باريس في 9 شوال 1352

الأخ العزيز الشاب العامل السيد محمد حصار وكافة الشبان السلوبين الناهضين. بعد التحية والسلام. أرجوكم المعذرة عن تأخير الكتابة إلى اليوم، لما كان عندنا من كثرة الاشغال الناتجة عن المؤتمر الثالث، والراجعة لتشكيل المجلس الجديد لجمعيتنا. إخواني. قد كان لبرقيتكم أحسن وقع، إلى المؤتمرين، لما تضمنته من عبارات الاحتجاج على منع عقد المؤتمر بالمغرب، والتضامن معنا في جهادنا، لنشر العلم بقطرنا الإفريقي العزيز، ولأنها كانت ثاني برقية وردت على المؤتمر من إفريقيا الشمالية. وإني بلسان كافة المؤتمرين، أشكركم على اهتمامكم، وتعضيدكم لهذا المشروع القيم، وأنتهز هذه الفرصة، لأتقدم إليكم بالرجاء في العمل على بيع الصور المبعوثة لكم، وثمنها فرنك للواحدة، وهي تمثل المؤتمرين في جلسة الافتتاح، وقد بيع منها في مدينة تونس 3445 نسخة. أعانكم الله وجازاكم خيرا. وفي الختام تقبلوا فائق تحياتي والسلام.

الرئيس : محمد الفاسي

نشاطات ووقائع وأحداث

بسم الله الرحمن الرحيم

نشاطات ووقائع وأحداث سنة 1933

توجيه مقالات ودراسات إلى نابلس والقاهرة ودمشق.

كان الأستاذ عجاج نويهض يصدر جريدة «العرب» وكان الإخوان في الشرق يراسلونها بانتظام، وكنا نزودهم بالمعلومات والأحداث التي تقع بالمغرب، وكان يراسلها بانتظام المرحوم سعيد حجي، وأصدرت عددا خاصا بمناسبة ذكرى 16 ماي.

من الجرائد التي كانت تهتم بالمسألة المغربية، جريدة «الجهاد» المصرية، وجريدة «الفتح» ومن الاهتمامات التي كنا نركز عليها، قضية نزع الأراضي من الفلاحين، ولقد كانت الجريدة الرسمية نشرت إحصاء عن الأراضي التي انتزعت من أصحابها، بدعوى المصلحة العامة.

ولقد كاتبنا إخواننا في الشرق في الموضوع، وبعثنا لهم مقالة طويلة، تسجل ما نشر في الجريدة الرسمية.

كنا نعتمد المنشورات التي تفضح النوايا الاستعمارية، ونعمل على توزيعها، سواء داخل المغرب أو خارجه، وكان طلبتنا في الشرق العربي يوزعون كمية وافرة على الشخصيات المرموقة، وعلى الصحف، وكانوا يطلبون من بعض الطلبة المسلمين في بعض الأقطار، كإندونيسيا، والهند والعراق، وتركيا، أن يبعثوا بتلك المنشورات إلى شخصيات في بلدانهم، كما كانوا يدفعون بعضا من المنشورات إلى الحجاج، كي يوزعوها في الديار المقدسة بمناسبة الحج.

كان إخواننا بالشرق العربي يزودوننا بما تكتبه الصحف الشرقية عن المغرب.

ومن الأحداث التي وقعت خلال هذه السنة، سفر عبد الحي الكتاني إلى الديار المقدسة، معرجا على فرنسا وإيطاليا وسويسرا، ثم مصر. ولقد استطاع أن يؤثر على الأمير شكيب أرسلان بسويسرا ليزوده ببعض التوصيات، إلى شخصيات مختلفة في بعض الأقطار العربية التي سيزورها، ولقد قمت شخصيا بكتابة عدة رسائل لبعض الصحف المصرية، ومنها مجلة «الإسلام» التي كان يصدرها السيد أمين عبد الرحمان، نحذِّرهم فيها من هذه الشخصية التي تتعاون مع الاستعماريين، ضدا على المغرب، ورجاله الوطنيين. كما أن إخواننا بالشرق العربي قاموا بحملات واسعة ضد هذه الشخصية المتعاونة، مستعينين ببعض الشخصيات الوطنية، والإسلامية المرموقة، مثل الشيخ عبد العزيز الثعالبي، والشيخ رشيد رضا، كما أعانهم ضده الشيخ محمد المكي الكتاني بدمشق والزعيم بشير السعداوي.

كنا نستعمل في مراسلاتنا البريد الإنجليزي، الذي كان يوجد مركز له بالرباط.

أصدرت مجلة «الفتح» عددا خاصا بمناسبة ذكرى 16 ماي.

كنا نزود الإخوان بما يتيسر لنا من مال.

كان أصدر الشيخ محمد المكي الناصري، كتابا قيما حول القضية البربرية، جعل عنوانه : (فرنسا والسياسة البربرية في المغرب الأقصى) ووزعت نسخ كثيرة منه في الشرق والمغرب.

من الأسماء التي كانت تشتغل إذ ذاك في مجال الحقل الوطني بالشرق العربي : الأستاذ محمد عزيمان والسيد الحسين بن عبد الوهاب من تطوان وسعيد حجي وعبد الكريم حجي من سلا.

من الأحداث التي وقعت خلال هذه السنة بتطوان، أن السيد الحاج عبد السلام بنونة كان قد عمل على تأسيس شركة للكهرباء، تزود تطوان بما تحتاجه من إنارة وكانت تسمى : الشركة التعاونية الكهربائية، ولما شعرت السلطة الإسبانية بخطر هذه الشركة، استدعى المقيم العام الإسباني، كلا من

رئيس الشركة المذكورة، وهو الحاج عبد السلام بنونة، ورئيس الشركة الإسبانية، ورجا منهم أن يندمجوا مع بعضهم، حتى لا تقع مضاربة فيما بين الشركتين، ولكن المساهمين في الشركة المغربية، رفضوا هذا الاندماج، واعتبروه حيلة للقضاء على شركتهم.

حدث في هذه السنة أن سافر المرحوم الحاج أحمد الشرقاوي الرباطي إلى الديار المقدسة، ولقد عرّج في طريقه على مصر، حيث قام بدعاية واسعة النطاق ضد مجيء عبد الحي الكتاني إلى القاهرة، معرفا بخيانة، ولقد اتصل بالشيخ رشيد رضى، والأستاذ محب الدين الخطيب، راجيا منهما القيام بواجبهما الوطني والإسلامي، ضد هذه الشخصية، ولقد فوجئ بما قام به الأمير شكيب، وما أعطاه لعبد الحي من توصيات، وجاء في رسالة كتبها الأستاذ محمد عزيمان من القاهرة إلى السعيد مؤرخة بـ 33/3/9 حول هذا الموضوع جاء فيها : وبعد يومين من وصول عبد الحي، جاءنا السيد الشرقاوي ممتقع اللون وسألناه ماذا جرى ؟ فأخبرنا أنه كان مع محب الدين الخطيب، فأطلعه هذا على رسالة جاءته من الأمير شكيب، يوصيه بعبد الحي خيرا، ويعلمه أن عبد الحي زاره في سويسرا، وشكا إليه ما يعامله به الشبان في المغرب، من المعاملة القاسية، وما يلصقون به من تهم، وشكا إليه تأثر رجال الإسلام الكبار، بأقوال هؤلاء الشباب، وتحاملهم عليه، كلما ذكروا عنه شيئا، وقال له : إنه يحمل الغيرة على الإسلام أكثر مما يحملون، وأنه يسعى لخيره بكل ما يملك من قوة، وأنه إذا كان يتظاهر بمشايعة فرنسا، فهو إنما يفعل ذلك ليستغل بواسطته الخير للمسلمين، لأنه يرى أن سياسة اللين والتفاهم، أجدى من سياسة العنف والشدة، وليحافظ على زواياه المنتشرة بالبربر، لأن بقاءها كفيل بحفظ الإسلام في تلك البقاع، وذكر له مبرهنا على صحة دعاويه، أنه طرد ابنه من منزله، حين أمره بالانقطاع عن الكتابة في «المغرب» المجلة الحكومية الخائنة، فلم يمتثل، وقال الأمير بعد أن ذكر ذلك كله، أن هذا الرجل قد يكون صادقا في أقواله، وقد يكون حقيقة حسن النية في أفعاله، ثم رجا من محب الدين الخطيب أن لا يقسو عليه إذا زار مصر، وأن يقابله مقابلة حسنة إذا جاء لزيارته، ثم تقول رسالة عزيمان : أخبرنا الشرقاوي برسالة الأمير

شكيب هذه، فرأيناها قاضية على أعمالنا، وذهبت معه إلى الشيخ رشيد رضا، لنخبره بما جدَّ في الأمر، فوجدنا رسالة الأمير قد وصلته هو أيضا، ولكنه لم يتأثر بها كثيرا، وعدَّ الأمير مُسرفا في حسن الظن بهذا الرجل. ثم تقول الرسالة : فكتبنا للأمير، نعرب له عن تخوفنا من أن يكون هذا الرجل قد أراد استغلال مكانة الأمير في البلاد الإسلامية، لإنجاح الأغراض التي بعثته فرنسا لأجلها، ورجوناه أن يستدرك الأمر بحكمته، ويوقف هذا الخائن عند حده ثم تقول رسالة عزيمان : علمنا اليوم أن الأمير شكيب، بعث إلى محب الدين الخطيب رسالة طويلة عريضة، وكلفه أن يدفعها للشيخ عبد الحي، يقول له فيها : إنه بعد سفرك، انهالت علي الرسائل من كل جهة، تحذرني منك، وتكشف لي عن أعمالك، وأنا أطلب منك الآن أن تقيم لي براهين قوية على صحة دعاويك، التي ادعيتها أمامي، وإلا تفعل، فسأعرف كيف أنتقم ممن يحاول استغفالي ومخادعتي، إنني وقد نصفت نفسي لمحاربة إمبراطوريات بأكملها، لن أعجز عن سحقك والقضاء عليك، وبالمناسبة أود أن أذكر هنا، أن عبد الحي كان قد طلب من صاحب الجهاد المرحوم محمد علي الطاهر، أن يكتب عنه كلمة طيبة، فأجابه برسالة من جملة ما قال فيها (لقد تأكدت من خيانة فضيلتكم. ولهذا لم أستطع أن أكتب عنكم خبرا) وقد كتب عنه في الجهاد مقالة تحت عنوان : أين غبريط الثاني.

أصدر السيد محمد الصالح ميسة الجزائري، مجلة شهرية، أسماها «مجلة المغرب» ولقد حاربها الوطنيون بالرباط وفاس أما كثير من المثقفين فقط ساهموا في الكتابة فيها، ومن جملة الذين كانوا يكتبون فيها المرحوم محمد حصار، والمرحوم محمد بن العباس القباج، والمرحوم عبد الكبير بن حفيظ الفاسي كان الأخوان : محمد اليزيدي، وعبد اللطيف الصبيحي، عزما على تأسيس جريدة وطنية، تدعى «العمل» ولكنهما تلقيا جوابا من الوزير الصدر الأعظم، بعدم السماح لهما بصدورها.

في هذه السنة أسست مدرسة النهضة التي كانت تدعى بالمكتب الإسلامي ثم بالمدرسة القرآنية.

– حاول الفرنسيون تكوين جمعية بسلا تدعى (جمعية الدفاع عن حقوق سلا) ولدى الاجتماع التأسيسي اقترحت الإدارة أن يتركب

مجلسها الإداري من أربعة عشر فردا : عشرة فرنسيون، وأربعة مغاربة، ولقد تصدى للكلام بعد هذا الاقتراح، المرحوم محمد حصار، فرفض أن يكون المغاربة أقلية في المجلس، في تدخل كبير طويل عريض، استلزم أن تعرض القضية على الجلسة العامة للتصويت، فارتجت القاعة بالتصفيق، تأييدا لما قاله حصار، وكان من جملة المصوتين لصالح تدخل حصار، بعض الفرنسيين أنفسهم، فبُهت الذي كفر، وصارت الإدارة الفرنسية تتهم حصار ومؤيديه، بأنهم يدخلون قضايا سياسية في مسألة اجتماعية، وانفضَّ الجمع دون نتيجة.

– كان نشاطنا الوطني يتركز أساسا خلال هذه السنوات الأولى حول القضية البربرية وأخطار السياسة البربرية، خصوصا عندما يقرب 16 ماي من كل سنة، فكنا نهيئ المقالات والأبحاث التي تفضح السياسة الفرنسية بالمغرب ونعمل على نشرها في صحف الشرق العربي : فلسطين ، مصر – سوريا، العراق، ولقد كانت صحيفة «العرب» المشار إليها سابقا، تنشر مقالا أسبوعيا يحرره : «السعيد» بعدما نزوده بالمعلومات حول الأحداث بالمغرب، الأمر الذي جعل النشاط السياسي والاهتمام بالقضايا الوطنية، ينمو ويتضاعف، وجعل هذه الجريدة تروج، ويكثر عليها الإقبال، مثل جريدة «الفتح» ولقد كنا اتفقنا مع «السعيد» على إصدار عدد خاص من جريدة «العرب» بمناسبة 16 ماي وزودناه بمقالات في مواضيع مختلفة : الحالة التعليمية بالمغرب – الحالة الاقتصادية والفلاحية – الوضع السياسي، وهلم جرا، وبالفعل اتفق «السعيد» مع الأستاذ عجاج نويهض على إصدار العدد المذكور، ولكن العدد لم يصدر كما كنا ننتظر، وكتب لي السعيد شارحا الأسباب فقال : وعدتكم أن صحيفة العرب ستصدر عددا ممتازا بمناسبة اليوم المعهود، وهذا ما كنا متفقين عليه معها، منذ شهرين ونصف، فهيأنا المواد. وهي تنيف على 18 مقالة من أحسن ما كتب عن المغرب في مواضيع مختلفة، توضح الحالة المغربية لإخواننا الشرقيين بغاية الوضوح، وقبل اليوم المعهود بشهر وأربعة أيام حسب الاتفاق الذي كان بيننا وبينه، أرسلنا تلك المواد، لكي يصدر العدد قبل 16 ماي بنحو عشرين

يوما ليرسل إليكم، فلما وصلت المقالات لصاحب «العرب» وتيقن أن مجلته سوف تمنع إذا ما أصدرت هذا العدد، وهي اليوم تبيع كمية لابأس بها بالمغرب، اعتذر عن النشر، وإصدار العدد، بأعذار لا قيمة لها بتاتا، وأخيرا قال لنا : لخصوا هذه المقالات في مقالة أو مقالتين، واستكتبوا عظيما من عظماء الإسلام مقالة، وأصدر لكم ملحقا في 8 صفحات أو أكثر من «العرب» ونحن قد كنا كتبنا إلى الأمير شكيب أرسلان في أن يكتب لنا مقالة، فاعتذر أن الفرنسيين يتهمونه أنه محرك حركتنا المغربية، فمن المصلحة لنا أن يكف عن الكتابة في القضية المغربية أو البربرية، وهو عذر أوهن من بيت العنكبوت كما يقولون، ثم تحدث عن الحركة الوطنية في الشرق العربي فقال : إني أكتب إليكم هذه الكلمات يوم 16 ماي وسأخبركم بما يكون، على أن الصحافة المصرية والفلسطينية منذ أسبوع، وهي تنشر الفصول الطوال عن القضية، أما في سوريا فإن الحركة ضعيفة، نظرا للضغط الذي يوجد، ويكفي أن تعلموا أنه وزع على الصحافة السورية وعلى جل الأفراد المنشورات، ولم تنشر إلا صحيفة واحدة منشورا واحدا، أما في العراق، فإننا وزعنا على صحافتها، ورجالاتها، مناشير مختلفة في القضية، وعلى كل سنرى ماذا سيكون، وسنرسله لكم، أو نأتي به معنا إذا ما رجعنا إلى المغرب، كل ما ينشر عن المغرب وعن القضية.

وقائع وأحداث سنة 1932

بعد رجوع المنفيين في حوادث القضية البربرية، احتفلنا بهم في سانية الحاج علي عواد، التي كانت موجودة بباب فاس، ولقد حضر الاحتفال زيادة على إخواننا السلويين، بعض الإخوان من الرباط وفاس، كان في طليعتهم الأخ الأستاذ السيد محمد اليزيدي والأخ الزعيم علال الفاسي كما كان من جملتهم الأستاذ عبد اللطيف الصبيحي والسيد محمد اشماعو من المنفيين.

كان الإخوان سعيد حجي، وعبد الكريم حجي، يشاركوننا في اجتماعاتنا، عندما يرجعون إلى المغرب في العطلة الصيفية، وكان

بمناسبة الاحتفال برجوع المنفيين في حوادث الظهير البربري

ويظهر في الصف الأول التحتي : الحاج أحمد معنينو – السعيد حجي – الصديق بن العربي – أبو بكر القادري – محمد الحصيني – الحاج أحمد بناني – محمد حجي – عبد اللطيف الأحرش – عبد الله حجي – عبد الرحمان حجي.

وفي الصف الثاني : عبد الرزاق بن احساين – عبد اللطيف الصبيحي – علال الفاسي – عبد المالك فرح – أبو بكر بنسعيد – السعيد حجي – المكي السدراتي – عثمان الأحرش.

وفي الصف العلوي يظهر : محمد المؤذن – السيد ملين – ابو بكر حجي – محمد اليزيدي – محمد ملين – ادرس البنيوري – عبد اللطيف العتابي.

بوشتى الجامعي

الأساسيون الذين يسهمون في النشاط الوطني معنا الأخوة : الحاج أحمد معنينو ومحمد حصار، ومحمد البقالي، وأبو بكر السماحي، ومحمد اشماعو، بعد رجوعه من المنفى، ولقد وضعنا برنامجا للعمل يتعلق بما يلي :

(1) إنشاء صندوق وطني.

(2) تنظيم الاتصال مع مختلف المدن المغربية.

(3) وضع ميثاق وطني.

ففيما يتعلق بالنقطة الأولى اتفقنا على اتخاذ طريقتين، لتزويد صندوقنا الوطني بالمال : الأولى : شراء كتب وأشياء تنمي الروح الوطنية في النفوس، وبيعها لمن نتوسم فيهم الاستعداد لتقبل الأفكار الوطنية، الثانية : جمع تبرعات من بعض الأفراد التي يتعاطفون معنا.

أما النقطة الثانية في البرنامج فقد نظمنا الاتصال بإخواننا في الرباط وفاس، صار ينمو ويتزايد مع الأيام، وأما النقطة الثالثة فلقد تأخر تطبيقها.

عندما حلت ذكرى 16 ماي وزعت المناشير، بطريق البريد من جهة، وبطريق الأشخاص من جهة أخرى، ولقد ألقى القبض على السيد إبراهيم الوزاني بفاس، وهو يوزع المناشير الاحتجاجية ضد السياسة البربرية، وامتحن امتحانا عسيرا أثناء استنطاقه، كي يعترف بمن يشاركونه ويعملون معه، ولكنه ثبت ثبات الأبطال، ولم يعترف بأي أحد.

من جملة الذين ألقي عليهم القبض خلال هذه السنة، الأستاذ السيد بوشتى الجامعي، الذي أودع السجن بتهمة الدعاية للقضية الوطنية، وقد عرضت عليه الإدارة وظيفة عدل، أو كاتب في العدالة، ولكنه رفض. بعدما رجع الأخوان اليزيدي، والعتابي، من منفاهما، اتضح أن سراحهما وقع بمناسبة عيد الجمهورية الفرنسية.

بعد سراح اليزيدي، صارت الوفود تتوارد عليه من الرباط وسلا وغيرهما، مهنئة بسلامة العودة، ولقد نظمت معه اتصالات دورية أسبوعية.

نظمت اتصالات مع الأخ المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل، وصرت أدفع له بعض المساهمات المالية من (سلا) لمجلة «مغرب» وغيرها من الأعمال الوطنية، وقد دفعت له من واجب شهر أكتوبر 1932 ثلاثمائة وخمسة وعشرون فرنكا عوض 500 التي كنا ملتزمين بها.

بعد رجوع محمد اشماعو من المنفى، حاول فتح المكتبة التي كان يبيع فيها الجرائد والمجلات، وصار يطالب بالخسارة التي وقعت له أثناء نفيه، ومن جملة الذين كتب لهم في الموضوع، المسيو لونكي الفرنسي، الذي كان يساعدنا سياسيا بفرنسا.

حاول اشماعو إصدار مجلة، وكتب لرئيسي ناحية الرباط الفرنسي، يطلب تعويضات عن خسارته، كما يطلب أن يؤذن له في فتح اكتتاب، لإصدار مجلة، الأمر الذي لم نوافق عليه نحن من جانبنا.

صدر منع مجلة «مغرب» من التداول داخل المغرب.

أقيمت ذكرى لأمير الشعراء شوقي بفاس بمناسبة مرور أربعين يوما على وفاته، وشاركنا حضوريا في هذه الذكرى، وألقى معنينو قصيدة للمرحوم العربي معنينو، وترأس الاحتفال المرحوم علال الفاسي.

طالب عبد اللطيف الصبيحي بتكوين وفد يذهب إلى فرنسا للتعريف بالقضية المغربية، والاتصال بالبرلمانيين الفرنسيين، وحاول اشماعو أن يتبنى الفكرة، فطبع بعض الأوراق، وقعها بنفسه كنائب عن الوفد، ولكن الوطنيين جميعهم لم يستسيغوا فكرته، سواء بسلا أو الرباط أو فاس ولذلك فشل.

- سفر السعيد إلى مصر.
- لم أربط العلاقة مع الأخوة الفاسيين، لغاية يناير 1933 باستثناء الحاج عمر بن عبد الجليل.
- لم تكن العلاقة وطيدة بين اشماعو، واليزيدي.
- الموقف من «مجلة المغرب» كان متباينا فالبعض يؤيد، والكثيرون يحاربون.

الأستاذ محمد علال الفاسي

– كاتبت الشيخ الخضر حسين رئيس جمعية الهداية الإسلامية بالقاهرة والسيد محمد أديب عبد العزيز، ومحمد علي الجم مدير ورئيس تحرير مجلة الرابطة الإسلامية بدمشق، في رمضان (1350–1932).

كما أنني كاتبت السيد أمين عبد الرحمان، مدير مجلة «الإسلام» بالقاهرة.

– كنا نستعين على بث الوعي الوطني في الشباب، بالأناشيد الوطنية وكانت مناسبة عيد العرش المغربي، من أهم المناسبات، ومن القصائد الهامة في ذكرى عيد العرش قصيدة شاعر الشباب، السيد علال الفاسي، والتي مطلعها :

سموت فكانت دونك الأنجم الزهر
وفقت فلا شمس هناك ولا بدر

وهي تقع في مائة وثلاثة وستين بيتا، وهي مطبوعة مع نشيدين آخرين لعلال أيضا، أولهما :

يا مليك المغرب إلخ

وثانيهما : كلنا من بَدَوِي خالص أو حَضَري

– من اهتمامات الحركة الوطنية في أول نشأتها محاربة البدع، والانتصار للسنة، وفي هذا المجال قام الوطنيون بفاس، بطبع خطبة للسلطان مولاي سليمان، في الانتصار للسنة، ومحاربة بدع الطوائف، ووزعوها توزيعا شاملا، وهي مطبوعة بالمطبعة الجديدة بفاس، ومعها كتاب وجهه أعيان فاس، لجلالة السلطان في شأن الطوائف.

– لدى إنشائنا لجمعية المحافظة على القرآن الكريم بمدينة (سلا)، كنا ننظم الشباب، وندعوه لتلاوة القرآن بالمسجد الأعظم بعد صلاة المغرب، وفي كل يوم خميس كنا نختم القراءة بالدعاء الناصري المتوفى سنة 1085هـ والذي فيه أبيات تدعو على الأعداء بالقهر والغلبة، كما كنا نقرأ عشرة أحاديث من الأربعين النّووية كل يوم خميس كذلك.

لجنة تأبين محمد حصار

بعد وفاة الفقيد محمد حصار، تكونت لجنة لتأبينه من أصدقائه الخلَّص، وكانت تتألف من الأفراد الآتية أسماؤهم : أبو بكر القادري – أحمد معنينو – عمر بن عبد الجليل – محمد اشماعو – سعيد حجي. ولقد استكتبت كثيرا من الأفراد الذين يعرفون الفقيد، راجية مشاركتهم، وهذه صيغة الكتاب :

(لجنة تخليد ذكرى فقيد الوطنية والأدب)

(– محمد حصار...)

حمدا وصلاة

حضرة الفاضل الأديب... سلاما واحتراما.

تتشرف اللجنة بإعلامكم أنها عازمة على إقامة حفل أدبي، لتخليد ذكرى الفقيد محمد حصار، يوم الأربعين لوفاته، راجية مشاركتكم بكلمة أو قصيدة، لما تعهده في جنابكم من تقدير لقيمة فقيد الوطنية والأدب، ولكم جزيل الشكل. «اللجنة».

الرجاء موافاة كاتب اللجنة، سعيد حجي، بمدينة سلا – المغرب – لما تودون إلقاءه قبل 10 جمادى الثانية 1355.

وكتبت اللجنة إلى رئيس بلدية الرباط رسالة قالت فيها :

نتشرف بإعلامكم أن لجنة مؤلفة من السادات أبي بكر القادري، وأحد معنينو، وعمر بن عبد الجليل، ومحمد اشماعو، وسعيد حجي، ستقيم حفلة تأبينية في سينما رويال بالرباط، يوم الجمعة 4 سبتمبر سنة 1936 على الساعة الثالثة إدارية، للمرحوم محمد حصار، الذي توفي بسلا يوم 6 جمادى الأولى، يخطب فيها عدة أفراد، في الترحم على الفقيد، والإشادة بشخصيته، وتخليد ذكراه واللجنة المذكورة تتعهد أن تكون

الأخ محمد حصار في آخر مرضه بمكناس
الجالسون من المين : الحاج أحمد معنينو، محمد حصار، أبو بكر القادري
الواقفون من اليمين محمد عواد، محمد معنينو، عمر بن سعيد

جميع الخطب بعيدة عن الموضوعات السياسية العامة. يوم الجمعة 28 غشت 1936. عن اللجنة :

الحاج أحمد معنينو زنقة البليدة (سلا) سعيد حجي. باب احساين رقم 19 (سلا).

وكتبت اللجنة رسالة أخرى، إلى رئيس ناحية الرباط جاء فيها :

بناء على الظهير السلطاني الشريف المؤرخ في 24 مارس 1914 في شأن الاجتماعات العامة، نتشرف بإعلامكم أن لجنة مؤلفة من السادات : أبو بكر القادري – أحمد معنينو – وعمر بن عبد الجليل، ومحمد اشماعو وسعيد حجي، ستقيم حفلة تأبينية في سينما رويال بالرباط، يوم الجمعة 4 سبتمبر 1936 على الساعة الثالثة إدارية مساء، للمرحوم محمد حصار، الذي توفي بسلا يوم 6 جمادى الأولى 1355هـ يخطب فيها عدة أفراد عن الترحم على الفقيد، وذكر ترجمته ونسبه وثقافته والإشادة بشخصيته، وتخليد ذكراه. واللجنة المذكورة تتعهد أن تكون جميع خطب الحفلة بعيدة عن الموضوعات السياسية العامة. وفي الختام تقبلوا فائق احترامنا.

يوم الاثنين 31 غشت 1936. عن اللجنة :

أحمد معنينو. زنقة البليدة رقم 58 (سلا) سعيد حجي باب احساين 19 (سلا).

ولقد قررت اللجنة المؤلفة لتخليد ذكرى الفقيد حصار، أن لا تقتصر على إقامة حفلة تأدبيبية، بل قررت أن تضع رخامة على قبر الفقيد، تسجل حياته، كما قررت طبع آثار الفقيد وبعض ما قيل في رثائه. ولقد وجهت الرسالة الآتية إلى محبي الفقيد وإخوانه :

لجنة تخليد ذكرى فقيد الوطنية والأدب. «محمد حصار»

الحمد لله سلا في 27 جمادى الأولى 1355 .

حضرة الأخ... سلاما وتحية.

وبعد فبما أن وفاة الفقيد، مصاب عام، قررت اللجنة أن تفتح اكتتابا عاما بين مخلصي مدن المغرب، للقيام بتخليد ذكراه وذلك :

أولا : إقامة حفلة تأبينية كبرى.

ثانيا : وضع رخامة على قبر الفقيد تسجل حياته.

ثالثا : طبع آثار الفقيد وبعض ما قيل في رثائه.

واللجنة تتشرف بإعلامكم أنها أنابتكم عنها في جميع ما تود مدينتكم المشاركة به وإرساله إلى كاتبها : سعيد حجي (شيك بسطو 12638) مصحوبا بأسماد المتبرعين. وتقبلوا أخلص ودنا.

المراقبة المدنية تمنع الاحتفال بذكرى الأربعين لوفاة الفقيد حصار

نص الرسالة التي وجهتها المراقبة المدنية إلى باشا سلا !

الايالة الشريفة	Empire chérifien
الحماية الفرنسية	Protectorat Français
المراقبة المدنية	Control Civil
سلا	de Salé

عدد 4 الحمد لله وحده.

إلى المحترم الأجل الفقيه العلامة المبجل الباشا الوجيه الأفضل، السيد الحاج محمد الصبيحي.

بعد السلام التام عليكم ورحمة الله وبركاته، فتبعا للمذاكرة التي سلفت بيننا في شأن المركب الذي يريدون إقامته أناس معروفين بحركتهم السياسية ضد الدولة الفرنسية، وذلك بمناسبة مرور الأربعين يوما على وفاة السيد محمد حصار، وذلك بتاريخ رابع شتنبر المقبل، أتشرف بإعلامكم بأن حسب الاستعلامات التي حصلت عليها فإن اللجنة التي أسست لذلك تتركب من السيد أبي بكر القادري رئيسا والسيد محمد البقالي والسيد عبد العزيز عواد أعضاء لها. وقد وقعت المخابرة مع جناب رئيس الناحية بأن لا

تقع مظاهرات سياسية على النمط الذي وقع أخيرا بمناسبة مرور السنة على المحافظين على القرآن الكريم[1].

واجتنابا لجميع المخالفات التي تنشأ من سوء عاقبة من يهمه ذلك، فإني أطلب منكم أن تتمشوا حسبما يأتي، وهو أن تستدعوا الأناس المذكورين آنفا، لمحكمتكم بمحضري، وتخبرهم بأنه ممنوع منعا كليا أي مظاهرة كانت، كإلقاء الخطب، والتجمهر، والاستظهار بالأعلام، ولا يرخَّص إلا لموكب النعي، حسب العادة المألوفة، التي تقتصر على قراءة القرآن، وتوزيع الصدقة على الفقراء. كما نطلب منكم أن تستدعوا مع من ذكر، الناظر، وابنه الذين هما : والد وأخو المتوفى، ومستخدمي الحكومة، لتعرفهما بأن وقوفهما وهيأتهما، يدلان على موافقتهما لذلك. والحال أن ذلك ليس هو في الحقيقة تأبين المتوفى، ولكنه استظهار بأفكار سياسية.

وفي الختام أرغب من جنابكم تعريفي بالتاريخ والساعة التي تجمع فيها هذا الجمع، والسلام. في 19 غشت سنة 1936.

أبادي

المندوب المخزني المراقب المدني

الطـابــع

ملاحظة :

– نقلت الرسالة المذكورة كما وجدتها رغم ما فيها من بعض الأخطاء.

(1) أقامت جمعية المحافظة على القرآن الكريم حفلا كبيرا بسلا، بمناسبة مرور سنة على تأسيس الجمعية حضره نخبة من الوطنيين من الرباط وفاس وغيرهما وكان أول اجتماع من نوعه.

عيد العرش

كان أول احتفال غير رسمي بعيد العرش السعيد في 18 نونبر 1933 وصدر قرار وزيري باعتبار يوم عيد العرش عيدا رسميا سنة 1934 وكانت (سلا) من المحتفلين الأولين.

– بعد أحداث سنة 1937، اقترح الإخوان في حزب الإصلاح الوطني بتطوان، تكوين مكتب للدفاع عن القضية المغربية بسويسرا، واقترحوا على السعيد، أن يكون من ضمن أعضاء هذا المكتب.

– أوائل يناير 1937 كتب الأخ المرحوم عمر بن عبد الجليل رسالة إلى إخواننا في كتلة الشمال، أن ينظم العمل في المنطقتين، بأساليب مختلفة حسب ظروف كل منطقة وهذا نص رسالة الحاج عمر[1] :

– كان الحاج عمر، متصلا بالسعيد، وكان يخبره بما جدَّ، وكنا نجتمع لننسق الأعمال، وكتب الحاج عمر رسالة يوصيه فيها بالاهتمام

(1) الحمد لله وحده

9 يناير 1937

الأخ الأعز سيدي عبد السلام بن جلون – تحية طيبة.
وبعد، فقد اقترح إخواننا أن نحدد بكيفية نهائية، الصلة التي يجب أن تكون بين الوطنيين في المنطقيتين السلطانية والخليفية. ونظرا لاختلاف الأساليب الحكومية بالمنطقتين، فلا يمكن لنا أن نتفق في كل الأحوال، وغاية ما في الإمكان، هو أن نحدد أساسا نقطاً عامة للوطنية المغربية، نتفق عليها جميعا، ونترك لكل منطقة، الحرية التامة في اختيار أساليبها الخاصة، لخدمة المبادئ العامة. أما هذه المبادئ العامة فهي : الوحدة المغربية – سيادة السلطان على التراب المغربي – حماية العروبة والإسلام.
وبهذه الكيفية لن نتحمل بهذه المنطقة – مسؤولية كل ما يقع بتلك المنطقة، ولا أن تتحملوا بتلك المنطقة مسؤولية كل ما يقع هنا... هذا ودمت لأخيك : عمر بن عبد الجليل.

بقضية ملاقاة بوشعيب بعد إطلاق سراحه من المنفى مع رجال الإدارة حتى لا يقع شيء يمس بعاطفة بوشعيب.

– بعد المظاهرات التي وقعت بفاس، والقنيطرة، وسلا، والرباط، كان من جملة الذين ألقي عليهم القبض بسلا : أبو بكر القادري وحكم عليه بسنة واحدة سجنا، وكذلك محمد العزوزي، وعبد السلام بنسعيد، أما محمد البقالي، ومحمد القادري، فحكم عليهما بشهر واحد.

وأما في القنيطرة، فقد ألقى القبض على المرحومين : محمد الديوري، وسيدي مشيش العلمي، والجيلاني بناني، وأولادهم، وسيدي أحمد بن دلة، وحكم عليهم بعامين سجنا، قضوا شطرا كثيرا منها في الريش، حيث عذبوا عذابا أليما، ثم انتقلوا إلى سجن الدار البيضاء، وأما في الرباط فقط ألقي القبض على الفقيه غازي، وسيدي أحمد الشرقاوي، والمعطي الشرقاوي، وعبد اللطيف العتابي، وغيرهم وحكم عليهم بسنة سجنا.

وأما بفاس فلقد وقع القبض على الكثيرين، كان من جملتهم الهاشمي الفيلالي، وعبد العزيز ابن ادريس، والفقيه القرّى، وإبراهيم الكتاني.

كما ألقي القبض على بعض الإخوان في الدار البيضاء وكان عدد المقبوض عليهم 30.

– لم يلق القبض على السعيد حجي، والحاج الحسن بوعياد سنة 1937.

– الخطاب الذي ألقيته بالمسجد الأعظم، بمناسبة مرور سنة على تنظيم تلاوة القرآن، وفيه أخبرت بعزمنا على تأسيس جمعية المحافظة على القرآن الكريم وذلك سنة 1352هـ.

الاحتفال بعيد العرش

كان الاحتفال بعيد العرش، مبادرة شعبية، فلقد كتب المرحوم محمد حصار كلمة في (مجلة المغرب) التي كان يصدرها محمد الصالح ميسة

الجزائري، تحت عنوان «الأعياد الإسلامية» دعا فيه إلى ضرورة إقامة احتفالات رسمية، بمناسبة الأعياد الإسلامية : عيد الفطر، وعيد الأضحى، وعيد المولد النبوي، ثم اقترح في الأخير، أن يقام احتفال رسمي بمناسبة جلوس جلالة محمد الخامس على عرض أسلافه، وذلك يوم 18 نونبر 1933. ولقد عقب على الاقتراح بالتأييد مدير المجلة، ولم يكن المدير هو المقترح كما جاء في مذكرات الوزاني.

وفي السنة التابعة 1934 صدر قرار وزيري باتخاذ يوم 18 نونبر عيدا رسميا. وفي هذا القرار ثلاثة فصول :

(1) يقيم باشا المدينة احتفالا.

(2) تزيين المدن والطرب في الأسواق، وإعطاء صدقات.

(3) يعتبر يوم 18 نونبر يوم عطلة.

(4) في العاصمة يذهب وفد مركب من باشا المدينة، والأعيان، لتقديم التهاني لجلالة الملك.

(5) لا تتعدى الأفراح يوما واحدا.

(6) لا تكون خطب ولا وفود من مطلق الناس.

حرر بالرباط في 16 رجب 1353 الموافق 26 نونبر 1934

الإمضاء : محمد المقري ثم بونصو (المقيم العام الفرنسي)

ولقد كنت وجهت برقية لجلالة محمد الخامس يوم 18 نونبر 1933 وهي منشورة (بمجلة المغرب) لمحمد صالح ميسة، هذا نصها :

إن شبان سلا ينتهزون فرصة عيد العرش، ليرفعوا إلى جلالتكم احترامهم الخالص، ويعبرون لكم عن تمسكهم بجلالتكم، وسمو الأمير مولاي الحسن، ويرجون من رحمتكم، العفو عن السجناء السياسيين : (عن شبان سلا : أبو بكر القادري) كما وجهت عدة برقيات تهنئة وتبريك من عدة شخصيات، باسم العلماء، والشرفاء، وغيرهم.

ولقد دعونا إلى تزيين الأسواق، ولبس الملابس الجديدة، وأقمنا احتفالا شعبيا بالقيسارية، غنَّى فيه تلامذة المكتب الإسلامي (مدرسة النهضبة) نشيد الشهيد محمد القرّي ؛ والذي جاء فيه :

أيها الشبان هبوا إنكم روح النشاط

ولتحيوا في سرور وابتهاج واغتباط

ملكا يحيي البلاد ملك الأوطان من هذا الشباب المستطاب

وشباب الشعب منسوب إلى ذلك الجناب فلتقولوا في افتخار

إنما الشعب الشباب وهو ربَّان البلاد.

بمناسبة ذكرى عيد العرش السعيد

العيد الذي قرره الشعب

اتجهت السياسة الاستعمارية الفرنسية بالمغرب، أثناء فترة الحماية الفرنسية، إلى بناء جدار حديدي بين العرش والشعب، حتى لا يقع تعاون وتكاثف بينهما، وحتى تحبس السطان الشرعي في قصره، فلا يحس بإحساس شعبه، ولا يهتم بقضايا مواطنيه ورعيته.

وظن الاستعماريون واهمين، أن تنصيب سيدي محمد بن يوسف على عرش أسلافه المقدسين، وهو لازال في ميعة الشباب، سيجعله في قبضة أيديهم، يوجهونه كما يشاءون، وتشاء سياستهم، ويتصرفون في عهده كما يريدون، ويريد دهاقنتهم من رجال إدارة الشؤون الأهلية الاستعمارية، وهكذا منعوا كل اتصال بين الملك وشعبه، واكتفوا ببعض المظاهر السطحية المراقبة، يسلم فيها بعض رجال السلطة الأهالي مع بعض الأعيان على جلالته السلطان، بمناسبة الأعياد الدينية الرسمية، كعيد الفطر، وعيد الأضحى، وعيد الولد النبوي.

ولكن الرياح كانت تجري بما لا تشتهيه سفنهم، فمحمد بن يوسف، الشاب الذكي اليقظ، لابد أن يتجاوب مع الشباب الوطني المتحمس، والشباب الوطني المغربي المتحمس، لابد أن يعمل على توثيق علاقاته بسلطانه الذي علق عليه الآمال، بمجرد تربعه على عرش أسلافه المقدسين.

وإذا كان الفرنسيون خططوا لإبعاد السلطان عن شعبه، فإن الشباب الوطني كان يعمل لإبقاء اللحمة التاريخية بين المغرب والعرش، تلك اللحمة التي كتب لها خلال العشرات بل المآت من السنين، أن تبقى قوية متينة متلاحمة متجاوبة، باعتبار أن العرش بالشعب، والشعب بالعرش.

ولقد تجلى هذا التلاحم والتجاوب بين سيدي محمد بن يوسف وشعبه، لدى صدور ظهير (مرسوم) 1930 الذي أطلق عليه الظهير البربري، ذلك الظهير الذي كان يهدف من جملة ما يهدف إليه، إلى إضعاف سلطة الملك، بإخراج أغلب مواطنيه من سلطته الشرعية، ووضعها في سلطة رئاسة الجمهورية الفرنسية، كما يهدف إلى فقدان سلطة السلطان الدينية والتشريعية، لتتسلط عليها سلطات القوانين والتشريعات الفرنسية.

الأمر الذي أثار غضب الشعب المغربي من أقصاه إلى أدناه، فقام قومة رجل واحد، يرفض هذه السياسة الجهنمية، ويحتج صارخا ضد صدور ذلك الظهير المشؤوم، ملتجئا إلى ملكه الشاب، ليرفع عنه هذا الضيم الذي ألحقه به الاستعمار، وهكذا كان التجاوب بين الملك وشعبه، ذلك التجاوب الذي عبرت عنه، دمعات حارة اغرورقت بها عينا الملك الشاب، وهو ينصت إلى الكلمات الصادقات التي ألقيت أمامه من لدن رئيس الوفد الذي تقدم إليه بعريضة الاستنكار العلامة الشيخ عبد الرحمان بن القرشي.

لقد شعرنا إذ ذاك ونحن شباب، أن ملكنا معنا في حركتنا الوطنية، يسره ما يسرنا، ويحزنه ما يحزننا، وأن الحصار الذي ضربه الاستعمار على القصر الملكي وصاحبه، لا يفيد في قطع العلاقات بين الملك وشعبه، ولا يزيد تلاحم الشعب والعرش، إلا قوة ومتانة.

ومضت الأيام تلو الأيام، وخطرت فكرة لأحد الشباب الوطنيين المخلصين، كان يشتغل بإحدى المجلات الشهرية التي كانت تصدر بالمغرب، كان صاحبها والمشرف عليها شخص جزائري، يسمى بمحمد الصالح ميسة، وكانت تسمى «بمجلة المغرب» فكتب ذلك الشاب مقالا في تلك المجلة جعل عنوانه : (حكومتنا والأعياد الإسلامية) وفي آخر المقال، دعا إلى أن يعتبر يوم جلوس صاحب الجلالة على عرش أسلافه يوم عيد وطني، قائلا بالحرف : (كما نطلب منها (أي الحكومة) أن تصدر قرارا باتخاذ يوم جلوس صاحب الجلالة على العرش المغربي عيدا وطنيا) ثم علق صاحب المجلة على هذا الاقتراح بقوله : إننا نضم صوتنا إلى صوت

الكاتب صاحب المقال، راجين من الحكومة أن تتخذ يوم جلوس جلالته على العرش المغربي، عيدا وطنيا، يتاح فيه للأمة المغربية كل سنة، زيادة على الأعياد الشرعية، إظهار دوام تمسكها بعرش الأشراف العلويين، وإبداء ما تحمله القلوب من عواطف الإخلاص والتهاني نحو ملكها المفدى دام عزه).

لقد كان كاتب المقال الممضي باسم «مغربي» هو الشاب الوطني المرحوم محمد حصار، وكان دور صاحب المجلة هو ضم الصوت لما اقترحه حصار، وتأييده في مطلبه، ومن هنا نعلم أن ما جاء في مذكرات الأستاذ المرحوم محمد بن الحسن الوزاني، من أن مدير المجلة هو صاحب الاقتراح ليس صحيحا، وأن المبادرة جاءت من الشاب محمد حصار، لا من غيره، وأنه هو أول من نادى علناً بجعل يوم عيد جلوس جلالة الملك على عرش أسلافه عيدا وطنيا.

لقد نشر المقال المذكور بمجلة المغرب الشهرية في شهر يوليوز 1933، ثم توالت الكتابة في هذا الموضوع بعد ذلك، فنشرت المجلة المذكورة مقالا آخر موقعا بحرف «م» في شهر شتنبر 33 يطالب باتخاذ يوم جلوس صاحب الجلالة على العرش يوم عيد وطني، ومن الذين كتبوا في الموضوع، نقيب الأشراف العلويين، ومؤرخ الدولة، مولاي عبد الرحمن بن زيدان، والعلامة القاضي السيد عبد الحفيظ الفاسي، والأديب الكبير السيد محمد بن العباس القباج وغيرهم.

وفي شهر نونبر من السنة المذكورة، قررت الحركة الوطنية إقامة احتفالات بمناسبة ذكرى عيد العرش المغربي فكان يوم 18 نونبر 1933 يوما تاريخيا، تجلى فيه تعلق الشعب بالعرش، وبالجالس على العرش، جلالة الملك المنعم محمد الخامس، نور الله ضريحه، وهكذا احتفلت مدينة «سلا» و«الرباط» و«فاس» و«مراكش» و«وجدة» وغيرها من بعض المدن، كما احتفل الطلبة المغاربة في كل من «باريس» و«مصر» و«سوريا» ووجهت البرقيات من مختلف الهيآت والمنظمات والأسر، إلى جلالة الملك المعظم، مهنئة بذكرى جلوسه على عرش أسلافه المقدسين، وداعية له بطول العمر

والتوفيق في المهمات المنوطة به، ولقد جاء في البرقية التي وجهتها إليه رحمة الله عليه باسم الشباب الوطني المسلم في مدينة «سلا» ما يلي :

(إن شبان «سلا» المسلمين، ينتهزون فرصة عيد العرش السعيد، ليرفعوا إلى جلالتكم، ولاءهم الدائم، ويعبرون لكم عن تمسكهم بجلالتكم، وسمو الأمير مولاي الحسن (ولي العهد) ويرجون من جلالتكم العفو عن السجناء السياسيين).

وما أن مضى يوم واحد على توجيه تلك البرقيات، حتى جاءني استدعاء من طرف باشا المدينة (حاكم المدينة) ليبلغني باسم جلالة الملك رضاه وشكره على هذه المبادرة التي أكدت التحام الشعب بالعرش.

كما تلقى كل الذين بعثوا ببرقيات التهنئة والولاء، نفس الجواب الملكي الكريم.

أما طلبتنا بالخارج فلقد وصلتهم برقية جوابية موقعة من طرف مدير التشريفات الملكية، السيد محمد معمري الزواوي، جاء فيها : (كلفني الجناب العالي بالله، بالإبراق إليكم لتبلغوا الطلبة المغاربة، تشكراته عن العواطف والمتمنيات التي عبرتم عنها في برقيتكم).

لقد فوجئ رجال الإدارة الاستعمارية بالقرار الذي اتخذته الحركة الوطنية بجعل يوم جلوس جلالة الملك على عرش أسلافه المقدسين عيدا وطنيا، فسقط في أيديهم، ولم يستطيعوا أن يمنعوا الحفلات التلقائية التي أقيمت، ولا التهاني والتبريكات التي وجهت، وانتظروا سنة كاملة ليصدروا قرارا وزاريا باتخاذ يوم 18 نونبر من كل سنة عيدا وطنيا رسميا، ولكنهم أرادوا تحديد أنواع الاحتفال، بأن يقتصر على تزيين المدن، وإقامة بعض الاحتفالات في الأسواق، ،وأن لا تلقى خطب في الاحتفالات، ولا يتغنى بأمجاد العرش المغربي، ولا تنشد الأناشيد، أو تلقى القصائد، ولكن الشباب الوطني، والشعب المغربي قاطبة، تحدى ما جاء في ذلك القرار من التضييق، فأصبح يوم عيد جلالة الملك على العرش، عيدا وطنيا بكل معنى الكلمة، تنظم فيه الاجتماعات الشعبية، وتلقى فيه الخطب الحماسية،

والقصائد الشعرية، والأناشيد الوطنية، ويتبادل فيه المواطنون التهاني مع بعضهم بعضا، كما يتبادلونها في الأعياد الدينية الأخرى.

وزاد الأمر أهمية، عندما قرر جلالة الملك المنعم سيدي محمد الخامس رحمه الله ورضي عنه، أن يغتنم فرصة عيد جلوسه على عرش أسلافه المقدسين، ليوجه خطابا ملكيا ساميا إلى شعبه الوفي، يعطيه فيه بعض التوجيهات الوطنية، ويؤكد فيه وقوفه مع شعبه، ليظفر بجميع حقوقه التي يطالب بها، حتى يضمن للمغرب المستقبل المشرق الباسم، والعزة والكرامة التي يناضل من أجلها.

لقد كان الشعب بجميع طبقاته ينتظر يوم 18 نونبر من كل سنة، لينصت إلى ملك البلاد، وهو يوجهه الوجهة الصحيحة التي تضمن له العيش الكريم، والوصول إلى تحقيق الأهداف التي يعمل لها في الحرية والكرامة والانعتاق والاستقلال.

ولقد كان الحماس الوطني يبلغ مداه، عندما يعلن جلالته في خطبه أنه ما ضاع حق وراءه طالب، وأنه يقى دائما وفيا للأمانة التي طوق بها، رغم كيد الكائدين، ومعاداة المعادين، وتصلب الاستعماريين، مهتديا بهدي جده الأعلى عليه السلام في الثبات والصمود والاستمرار، مقسما اليمين مثل ما أقسم بالله جدّه المصطفى عليه السلام، قائلا : (والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر، أو أهلك دونه ما تركته).

هذه المواقف التي كان يقفها جلالة الملك المنعم قدس الله روحه، أكدت للفرنسيين أن ما كانوا يحلمون به من إبعاد الملك عن شعبه، إنما هي خرافة من الخرافات، وخيال ما بعده خيال، فالملك دائما من الشعب، وإلى الشعب، والشعب دائما بملكه، فالعرش للشعب، والشعب للعرش، ولن يفترقا أبدا.

وها نحن الآن نحتفل بذكرى جلوس وارث سر محمد الخامس جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله على عرش أسلافه المقدسين، لنؤكد

أن تعلق الشعب بملكه، وبملكيته الدستورية، سيبقى دائما تعلقا مستمرا بمعونة الله وقوته، وأن بناء المغرب القوي المتقدم، سيبقى دائما تحت شعار العرش بالشعب، والشعب بالعرش، وأن المبادئ التي جاهد من أجلها محمد الخامس، والحركة الوطنية من ورائه، ستبقى دائما نصب أعيننا، نجاهد من أجلها، وراء الحسن الثاني حتى يتحرر كل جزء من أجزاء بلادنا لازال في قبضة الاستعمار، وحتى نضمن لنهضة بلادنا، أن تسير في النهج المستقيم، والخط السليم، فنصون ذاتيتنا وحضارتنا، ونحافظ على أنسيتنا الإسلامية المغربية، ويتحقق لنا إن شاء الله وعد ربنا الذي قال في كتابه الكريم ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات، ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا﴾ صدق الله العظيم.

3 مارس 1990

أبو بكر القادري

1936

خلال سنة 1936 انعقد اجتماع بالرباط لدراسة موضوع مطالب الشعب المغربي، التي تقدمنا بها في دجنبر سنة 1934 حيث كان الفرنسيون يعتبرون تلك المطالب مستحيلة التطبيق جملة، ولذلك فلابد من مراجعتها لتطبق بالتدريج، ويكتفي باختصارها والاكتفاء بالضروري منها والمستعجل، فكانت اجتماعات متعددة لدراسة الموضوع، وعُقد مؤتمر مصغر، بمنزل سيدي الحفيان الشرقاوي بالرباط، اتفق فيه على المطالب المستعجلة، وتقرر عقد اجتماع في مدن مختلفة، تدعى له طبقات مختلفة، لتأييد مطلب المطالب المستعجلة، فانعقد فيه تجمع بمنزل دار الأحرش بسلا، حضره مختلف طبقات الشعب، من علماء وشرفاء، وعمال، وحرفيين، خطب فيه الزعيم علال الفاسي، ومحمد اليزيدي، والحاج عمر بن عبد الجليل، والحاج أحمد معنينو. ولقد ترأست هذا الاجتماع، وألقيت فيه الكلمة الآتية :

بسم الله الرحمن الرحيم أفتتح هذا المهرجان الشعبي المبارك، الذي يعد الثاني من نوعه. وباسم الوحدة الدينية، والرابطة الوطنية، أرحب بكم أجمل ترحيب، وأحييكم أحسن تحية.

سادتي الكرام ! إخواني الأعزاء !

لقد دعت كتلة العمل الوطني لعقد أول مؤتمر شعبي، يدرس ما تتوقف عليه حالة الأمة المغربية من الإصلاحات المستعجلة، ويطالب بتنفيذها بكل إلحاح، وبكل ما لديه من قوة كحقٍّ واجب أن يعطى، ولا يمكن بحال ومهما كانت الظروف، أن يبقى مسلوبا من حريته، وأن يبقى المغاربة محرومين منه.

نعم ! منذ أسبوعين مرت، انعقد المؤتمر الوطني الأول بالرباط، ومثلت فيه سائر طبقات المغاربة من سائر المدن المغربية، ونظر المؤتمرون

في شؤون البلاد الحاضرة، من جميع نواحيها، واتفقوا على حاجيات البلاد المستعجلة، ومطالبة الحكومة بضرورة تنفيذها.

ولقد كان من مقررات هذا المؤتمر، التضامن التام، والتكاثف الدائم مع كتلة العمل الوطني، والعمل ضمن دائرتها، وتحبيذ خطتها الماضية، والموافقة على خطتها المستقبلة.

انعقد المؤتمر، ودرست المسائل، وقررت المقررات، وتعاهد المؤتمرون على المطالبة بها، والعمل على نيلها، والسعي الحثيث في إدراكها، بكل ما لديهم من قوة ومن وسائل مشروعة.

ولقد كان المؤتمرون مصيبين في هذه الفكرة، حيث سعوا في توحيد الجبهة، وتنتظيم الصفوف، للمطالبة بحقوقكم المقدسة، وبرهنوا على أن الشعب المغربي، لا يمكن أن يسكت عن المطالبة بحقه، وأنه دائما يريد أن يعيش بجانب الأمم الحية، ككائن حي موجود. كما برهنوا لكل من يريد أن يسمع، على أن الحركة المغربية حركة شعبية، يشترك فيها العالم، والصانع والفلاح، ويشترك فيها الشباب، والكهول، والشيوخ، إذ كان المؤتمر ممثلا لكل الهيئات المذكورة، وكان كل من هؤلاء، يبدي رأيه بكامل الحرية، وبعزيمة راسخة، وإيمان صادق.

وأن المؤتمرين كانوا يعتبرون أنفسهم نوابا عن الشعب المغربي المهضوم الحقوق، فاستعرضوا كل ما هو مفتقر إليه، وقرروا المطالبة به إلى النهاية. وكانوا يعتبرون أنفسهم مدافعين عن هذا الشعب المغربي المقصوص الجناح، والمسلوب كل الحريات، لا فرق بين متعلم وصانع وفلاح، إذ الكل مسلوب من حقوقه، مسلوب من إرادته، تعس في حياته محتاج لكامل المساعدات.

وبعد انفضاض المؤتمر قررت الكتلة أن تقام مهرجانات شعبية في أهم المدن المغربية تعرض فيها مقررات المؤتمر على مختلف طبقات الشعب المغربي، لكي يتحقق الخاص والعام أن هذه المقررات هي مقررات شعب كامل.

وأن هذه المطالب مطالب أمة بأسرها. وفعلا انعقد أول مهرجان بعاصمة المغرب العلمية فاس.

فكان مظهره أعظم مظهر، ودليلا قاطعا على يقظة وشعور عام، حيث كان الإقبال عليه فوق المنتظر، والحاضرون فيه يعدون بالآلاف. والكل مسرور من هذا الاجتماع، مغتبط بانضمامه لصفوف العاملين.

وبعد الفراغ من الخطابات، وبيان الاتجاهات، وسرد المطالب المستعجلة التي ستسمعونها اليوم، أظهر الجميع كامل الارتياح والانشراح، وأعلن تضامنه وتأييده لهاته المقررات، ولرجال الكتلة العاملين. بأصواتهم البالغة عنان السماء، وإمضاءاتهم لعرائض التأييد. والاعتراف لرجال الكتلة، بالنيابة الشرعية عن هذا الشعب المغربي، وأنهم لسانه الناطق المعبر عن آماله وآلامه.

وها هو اليوم انتظم عقد المهرجان الثاني بمدينتنا، وها أنتم اليوم تجتمعون بهذا المنزل الفسيح، لسماع هذه المطالب المستعجلة، كي تبرهنوا وتعلنوا تضامنكم مع الكتلة، والاستماتة معها في مطالبها الشرعية. وما مطالبها إلا مطالبكم، وما الكتلة إلا أنتم ! ها أنتم تجتمعون اليوم لتعلنوا للملأ أجمع، أنكم محرومون من كل الحقوق، حتى من حق الدفاع عن أنفسكم، فلا صحافة تدافع عن حقوقكم المغصوبة، وتنشر مقترحاتكم الصائبة.

وتعبرون عن آمالكم وآلامكم، لا مدارس كافية، تعلم أبناءكم وتهذب فلذات أكبادكم «والموجود منها على قلته، خال من التعليم الحقيقي الحريّ بأبنائكم، حيث لا عربية تدرس فيها، ولا التهذيب الأخلاقي معتنى به داخلها. فكيف يكون مستقبل أبناء لم يربوا على تعلم لغتهم ؟ ومبادئ دينهم وقويم أخلاقهم ؟» لا حرية لكم في تأسيس جمعيات تؤالف بينكم، وتوَّحد مصالحكم، وتنمي روح التعاون والتضامن فيما بينكم. لا مساعدات تسدّ عوزكم، وتعينكم في الملمات، لنيل قسط من ضروريات الحياة. لا محاكم تعدل بينكم، وتأخذ حقَّ ضعيفكم من قويكم، ومظلومكم من ظالمكم. لا مستشفيات، ولا ملاجئ، تعتني بمرضاكم، وتكافح الأدواء التي تصيبكم.

لا مقاومة للفساد المنتشر بين ظهرانكم، وعلى مرأى ومسمع من كبيركم وصغيركم.

ها أنتم تجتمعون اليوم، لتعلنوا وتصرخوا أنه لا يمكن أن تعدوا موجودين ولا صحيفة عندكم.

ها أنتم مجتمعون اليوم فزعين متحسرين على ضياع مستقبل أبنائكم، لعدم وجود المدارس. متألمين من العراقيل التي توضع لمن يريد إنشاءها. ها أنتم تعلنون أنكم محتاجون لتكوين جمعيات تعاونية دفاعية إصلاحية ! محتاجون لمحاكم منظمة، وحكامٍ نزيهين يعدلون بينكم، ولا يسلبونكم حقوقكم. ولا يميزون بين غنيكم وفقيركم. وفي التالي ها أنتم تصرخون وتصيحون قائلين : إننا موجودون فلا يمكن أن نحسب في صفوف الأموات.

سادتي وإخواني :

إن شعبنا المغربي يريد أن يساهم في هذه الحياة، ويقوم بنصيبه في خدمة الإنسانية، وحماية الحضارة، فهو لا يرضى أن يعيش على الهامش، ويبقى مضغوطا عليه، معتدى على حقوقه وكرامته. إذ هو الشعب الذي له تاريخ مجيد مملوء بالمفاخر. فهو يريد أن يربط ماضيه بحاضره، ويخطو في سبيل الرقي والنهوض خطوات متوالية فاصلة، تجعله في صفوف الأمم المتمدنة ذات المكانة اللائقة بمركزه وماضيه المجيد. وأن حالته الحاضرة والمعاملة التي يعامل بها لمما يجعله في حيز الشعوب الضعيفة المعدومة المفقودة الكرامة.

وإننا نريد أن نرجع بشعبنا إلى عصره الذهبي، ونعلن للعالم أجمع أنه شعب عزيز أشمّ، فعال بإذن الله لما يريد، وأن له قوة تسخر من الحادثات، وتعلو على الملمات ولا تخشى الصعوبات. إننا نريد أن نحيى كم تحيى الشعوب في سائر أطراف المعمور، فتنفذ مطالبنا. وتعطى لنا حقوقنا، ونعيش أحرارا في بلادنا. فهل أنتم مؤيدون لخطتنا هاته التي سمعتم مجملها ؟ وهل أنتم سائرون معنا متضامنون إلى النهاية ؟ هل أنتم راضون عن القائمين بهذا العمل ؟ إذا زال الرَّيب، وذهب الشك، وشدَّت أفواه المرجفين، وخاب ظن الخائبين، وسقطت أقوال المتنطعين. «كبرت كلمة تخرج من أفواهم إلخ».

وقل جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا.

أيها المواطنون الأعزاء !

لقد تبين لكم أن الغاية من هذا الاجتماع، غاية شريفة مقدسة، وأن قصد الداعين له وغرضهم الوحيد، هو السعي في إصلاح حالة الشعب المغربي من سائر نواحيه الاجتماعية والأدبية وغيرهما. هو المحافظة على كيان هذه الأمة من الانهيار والسقوط والاضمحلال والفناء، هو الاحتفاظ بوحدته، بدينه. بلغته بسائر مميزاته. فإلى الأمام أيها الإخوان والسلام.

سادتي ! (كلمة ختماية ألقيتها بعد انتهاء الخطب)

لقد سمعتم من الإخوان العاملين، بيانات وإيضاحات، عن بعض أعمال الكتلة ومقترحاتها، ولقد اتضح مقدار ما قدمته كتلتكم من جهود جبارة، وأعمال مشكورة في صالح المغرب والمغاربة.

نعم سمعتم كل ذلك وسررتم به، ووافقتم عليه من دون شك، لذا أيدتموه بأصواتكم المرتفعة بالتحبيذ والتعضيد، وأسمعتم من يريد أن يسمع أنكم والكتلة يد واحدة في المطالبة بتعجيل ضروريات حياة الشعب المغربي. فعليكم بالثبات والمثابرة، والسعي لكي تحصلوا على مبتغياتكم وتدركوا آمالكم. عليكم بالتضامن التام، مع كتلة العمل الوطني، وتأييدها بالأقوال والأفعال. عليكم بالتبشير بأعمالها والدعاية للانضمام إلى صفوفها. واعلموا أنكم مهما تضامنتم، واتحدتم، ووقفتم جبهة واحدة في المطالبة، فإنكم لا محالة مدركون مأربكم، محصلون على مبتغياتكم. لأنكم تطلبون حقا. والحق يعلو ولا يعلى عليه.

وإنني أشكر كل الذين حضروا هذا الاجتماع بوازع من أنفسهم، ودافع من ضمائرهم، كما أشكر بالخصوص رجال الصحافة، والأحرار من الفرنسيين الذين لبوا نداءنا، راجين منهم تنوير الرأي العام على لسان صحافتهم الحرة، أن الشعب المغربي هو الشعب الفاقد لكل مميزات حياته، وأنه يطالب برفع القيود التي قيّد بها، ويعطى حرية تليق بمركزه وعظمته في التاريخ المجيد.

تقرير بخط باشا سلا
الحاج محمد الصبيحي

في يوم الثلاثاء الفارط تاريخ 23 رمضان عام 1355 موافق 8 دجنبر سنة 1936.

بناء على أمر الجلالة الشريفة أعزها الله، الذي أبلغنا إياه سعادة وزير الصدارة العظمى، الفقيه المحترم الحاج محمد المقري.

أحضرنا الأشخاص السلويين المعتقلين، وهم سيدي بوبكر القادري والحاج أحمد معنينو، وسيدي محمد البقالي، وسيدي عبد الله حجي، وسيدي محمد أخوه، وسيدي محمد بن المكي القادري، وأخبرناهم بأن الجلالة الشريفة أسماها الله، أمرنا بأن نبلغهم قبولها الشفاعة فيهم، التي قدمها لدى جلالته الوفد الفاسي، على شرط أن يتعهدوا بأن لا يحدثوا أي عمل من شأنه إقلاق الراحة، وإخلال بنظام الأمن العام.

فأجابوا بقولهم أننا سامعون مطيعون لأمر الجلالة الشريفة دام عزها، وأننا ما فكرنا قط، ولن نفكر في أن نخرج عن طاعتها أبدا، كما أننا لا نضمر سوءا ولا عداءً للدولة الفرنسوية الفخيمة، ورجال حكومتها، غاية أمرنا، أن كتلتنا الوطنية، قد ارتأت أن ترفع مطالب تعود بالنفع على عموم أفراد الشعب المغربي ماديا وأدبيا، وقد استعملت كل الوسائل لأن تحظى بقبولها كلها، أو بعضها، ثم بعد تسمية سعادة المقيم العام الحالي، اختصرت مطالبها المذكورة، واقتصرت فيها على ما تمس الحاجة إليه أكثر، رغبة في تلبية الطلب، والحصول على البغية، فقدمت لجنابه ذلك، فأظهر لها حنين عطفه على المغرب، وسعيه القوي في مصالحه العائدة عليه بالنفع، التي من جملتها مطالبها المذكورة، فارتاحت لذلك نفوسها،

تقرير كتبه بخط يده، باشا مدينة سلا الحاج محمد الصبيحي

واطمأنت خواطرها، ثم بعد أن زار جنابه مدينة فاس، ألقى فيها خطبة استشعروا من بعض فقراتها، أنه اعتبر تلك المطالب مطالب أفراد، لا مطالب الأمة المغربية عامة وربما كان ذلك... فكر سعادته، فاتفق رأيهم على أن يبرهنوا لجنابه، على أنها مطالب عامة الشعب، فعقدوا اجتماعات بالرباط، وسلا، وفاس، بعد التزامهم فيما بينهم التمشي في ذلك على نهج القوانين الغير المخلة بقطاع الأمن العام، وبالفعل نهجوا في ذلك على النهج المذكور... وحينما عزموا على الاجتماع الرابع بالدار البيضاء... بينما كان جمعهم منعقدا، تدخل رجال السلطة لتفريق الجمع، الأمر الذي استاءت له القلوب، وقلقت منه الخواطر، حتى كادت تنشأ عنه مصادمات دموية، ومع ذلك سكن الهياج، وهدأت النفوس بإشارة أعيانهم وكبارهم، وأمرهم بملازمة الهدوء والسكينة، وتفرق ذلك الجمع الغفير، بسكينة ووقار، حيث ذهب الكل لحال سبيله، فكانت النتيجة أن اعتقل هناك ثلاثة أشخاص منهم، هم عيون أعيانهم، فاتفق رأيهم على أن يقوموا بمظاهرة سلمية، لا تخل بقوانين النظام، ليرفعوا أصواتهم للجلالة الشريفة، والحكومة الحامية، وفعلا قاموا بذلك وفق ما تعهدوا به من مراعاة النظام، والقوانين، فلاحظنا عليهم بأن سعادة المقيم العام، قد أظهر لكم وده، وعطفه، واهتمامه بالنظر في مصالحكم، فكان اللائق بكم، أن لا تتسرعوا إلى مثل هذه الأعمال، كفيما كانت صبغتها، فأجابوا بأن عملهم هذا لم يحدث أي إخلال بالأمن والراحة، على أنه إن كانت هناك مسؤولية هي في الواقع راجعة إلى ولاة الدار البيضاء، حيث كانوا هم السبب فيها، وإلا فهم برءاء، ومع ذلك وقع اعتقالهم، وهم تحت طاعة أمر الجلالة الشريفة، مستعدون للتعهد الذي أمره به جلالته الكريمة إذا صادفت مطالبهم أو بعضها قبولا.

ثم... مكَّنا شهادة الوزير الصدر الأعظم، حفظه الله، من صورة التعهد الذي طلب من المعتقلين المذكورين عن الأمر الشريف، فأحضرنا المذكورين أسماءهم وأمرناهم بالتوقيع عليها فأجابوا بمثل جوابهم الأول عن عدم قبولهم أي تعهد.

تعقيـــب

إثر المظاهرات التي قمنا بها سنة 1936 مطالبين بالحريات العامة، ومنـهـا حرية الصحافة، ألقي علينا القبض، وبقينا في السجن مدة سنة وعشرين يوما ثم استدعانا باشا المدينة الحاج محمد الصبيحي وقدم لنا الكلمة المسطرة أعلاه، بخط يده وطلب أن نوقعها فرفضنا بأجمعنا التوقيع عليها لأننا لم نطلب العفو عنا، ولأننا لم نرتكب أي جرم يستحق العفو والاعتذار، وأكدنا له أننا طلاب حقوق وحريات عامة، لابد من تحقيقها.

ولقد كانت المظاهرات التي قمنا بها ناتجة عن إلقاء القبض على إخواننا : علال الفاسي، ومحمد اليزيدي، ومحمد بن الحسن الوزاني، الذين عقدوا اجتماعا بالدار البيضاء، لدراسة مطالب الشعب المغربي مع إخواننا أعضاء كتلة العمل بالدار البيضاء، مثل الاجتماعات التي عقدت بالرباط وسلا وفاس، والتي لم ينتج عنها أي مشكل، ولكن السلطة الفرنسية تخوفت من اجتماع الدار البيضاء، فمنعته وألقت القبض على الإخوان المذكورين، وزجت بهم في السجن، فنتج عن ذلك القيام بمظاهرات تضامنية مع إخواننا المعتقلين. ومنها مظاهرة سلا التي نتج عنها اعتقالنا مدة تقرب من شهر.

ولما نتج عن اعتقالنا واعتقال إخواننا في بعض المدن، ومنها مدينة فاس، أثر سيء حتى في الأوساط الفرنسية بباريس نفسها، نظرا لأن الحكومة في ذلك الظرف، كانت حكومة اشتراكية، ويترأسها الاشتراكي «ليون بلوم» الذي كان يريد أن يفتح عهدا جديداً مع الدول المحمية، ولكنه فوجئ هو نفسه بأن إدارة الأمور الأهلية بالمغرب، لا تسير في نفس النهج فأعطى أمره لحل الأزمة التي وقعت بالمغرب. ونشأ عنها ما ادعوه من أن لجنة قاسية تدخلت لطلب العفو عن المسجونين، كما جاء في تقرير باشا مدينة سلا الذي أتيت بنصه الكامل كما وصلني بخط الباشا نفسه، والذي رفضنا الرفض الكلي ما جاء فيه من طلب العفو.

التفكير في تنظيم عملنا الوطني
ودراسة التوجهات التي ينبغي أن يتجه إليها عملنا

بعد الانتفاضة ضد السياسة الاستعمارة البربرية الفرنسية، صرنا نتساءل، ما هو برنامجنا الوطني، وماذا يجب أن نقوم به ؟ وما هي التوجهات التي يجب أن نتجه إليها ؟ فالقضية ليست القضية البربرية وحدها، ولكنها قضية مستقبل المغرب، والإصلاحات التي يجب أن تتحقق حتى ينهض من كبوته.

وهكذا كانت مناقشاتنا مع بعضنا بعضا تتوالي، إما في نطاق جماعتنا السلوية، أو في نطاق اتصالاتنا الفردية.

وكنت مع سعيد حجي، نطيل المذاكرة في الموضوع، ولما سافر سعيد إلى الشرق العربي بقصد الدراسة، كنت أكاتبه أسبوعيا تقريبا لأعرض عليه بعض آرائنا، وأزوده ببعض المعلومات التي جدت.

وخلال عطلة صيف سنة 1933، رجع سعيد من الشرق العربي، متشبعا ببعض الأفكار التي تلقاها عنه المرحوم قاسم الزهيري، فحررها كما يلي بالحرف، وهي محررة بخط قاسم الزهيري. كما يلي :

المذكرات :

حادث سنة 1933

رجعت من الشرق العربي في أوائل يوليو، فوجدت الحركة الشعبية في شبه نشاط، إذ أتاح تأسيس (مغرب) في باريس، الفرصة للعاملين ليجددوا نشاطهم، وللشعب أن يؤمل في نجاحهم، فالكل مستبشر خيرا،

وجميع العاملين يتصورون أن باب النهضة قد تهيأ، خصوصا بعد أن منعت مجلة «مغرب» من الدخول للمغرب، ثم صدر الأمر من الوزارة الفرنسية التي كان يرأسها إدوار هيريو، بالسماح بدخولها، فتصور عموم أفراد الشعب، أن كل شيء يعسر في الرباط يُيَسَّر في باريس.

وعندما وصلت لسلا، علمت أن حفلة أقيمت بدارنا بمناسبة مرور سنة على تأسيس «مغرب»، ونجحت نجاحا كبيرا شجع العاملين. وخلال الحفلة، بشر الحضور الأخ عمر بن عبد الجليل بالعزم على تأسيس جريدة أسبوعية فرنسية بفاس تسمى «عمل الشعب». وقد خطب في الحفلة الأستاذ محمد بن الحسن الوزاني وغيره وكانت هي الأولى من نوعها في المغرب.

وعندما صدرت جريدة «عمل الشعب»، نشط الوطنيون في جميع المدن لبيعها وجمع الاشتراكات إليها. وازداد عدد الأنصار، وبدأت تقوى شوكة الوطنيين، وكانت لهجتها على منوال «مغرب» في باريس بل واشد منها في بعض الأحيان.

وأدى هذا النشاط الوطني، إلى وجود تيارات مختلفة بين الوطنيين العاملين، وبين الأنصار في المدن، فحاول البعض من الوطنيين العاملين، أن يتجه اتجاها سلبيا في الموقف السياسي، وتعددت الآراء في هذا الموقف، دون أن يظهر رأي واضح، في ضرورة تكوين اتجاه تعاون، يعمل لتأسيس مشروعات ضرورية، للأمة من صحافة، ومدارس، وجمعيات محددة، الغرض وبعثات إلى الخارج.

وكنت أجتمع خلال الصيف مع جميع العاملين، إما انفرادا أو جماعات، ويجري الحديث في موقف الحكومة وتصلبها، دون أن يشار أية إشارة خفيفة إلى ضرورة إيجاد مرونة سياسية بين العاملين، ليستطيعوا إفهام المسؤولين نواياهم على وجهها الواضح، ويستغلوا الحماس الشعبي لهذا الاتجاه.

وكنت كثيرا ما أجتمع مع اشماعو، وكانت أحاديثنا تخالف في مجموعها أحاديث الوطنيين عموما، فكثيرا ما قضينا الساعات الطوال ندرس الموقف من جميع وجوهه، ونحاول أن نستكشف الداء، وأن نسير إلى الدواء من أقرب طريق. فلقد كانت آراؤنا (أنا واشماعو) تنبني على نقطتين مهمتين الأولى : تطوير حركتنا في اتجاهها السياسي السلبي المعارض، إلى اتجاه مصلح، يخدم الأمة في ضروريتها الأولى والنقطة الثانية : أن المغرب ليس بالبلاد الجافة التراب، التي تتوقف على أوليات الإصلاح، فإن في جماعاته استعدادا قويا للنهضة، إذا فهمنا حق الفهم نفسية هاته الجماعات. فماذا يتوقف عليه المغرب : جمعيات ونوادي، أليس في الطرق والزوايا صورة تعاونية صادقة، لما يجب أن يكون بين طبقات الأمة في تعاون وارتباط ؟ ووطنية صادقة، أليس في هذه العصبة الإسلامية التي تجمع المغاربة على قلب رجل واحد وطنية حقة ونخوة متحمسة ؟ إنها تتجلى في المغاربة في مناسبات، وتختفي بحكم الظروف التي يوجد فيها المغرب الآن، حتى تتصور معدومة. إذن يجب علينا نحن الوطنيين، ألا نقلد الغير في اتجاهاتنا، بل علينا أن نسعى كل السعي في فهم وسطنا حق الفهم، أولا، لتكون نهضتنا سريعة الخطى، كما كانت سريعتها في جميع مراحل التاريخ المغربي. فيوسف بن تاشفين... وتومرت، والمنصور السعدي، ومولاي الشريف، لم يكونوا إلا من هؤلاء الموهوبين الذين قد رأوا ما في النفس المغربية من قوى واستعداد خارق، فسرعان ما أثمرت مجهوداتهم ،وسرعان ما خرج التاريخ المغربي من مرحلة إلى أخرى.

وخلال هذا النشاط الشعبي، ظهرت حركة مقاومة الدخان بفاس، فشاع وذاع أن الشباب الوطني بفاس، قاطع التدخين، واعتبر المدخن مجرما، وشجع العاملون هاته الحركة. وكان أبرز من تولى الدعاية لمقاطعة الدخان الشاب (اللَّفت) وقيل أن شركة الدخان تضررت من تلك الدعاية، ونقص دخلها في مدينة فاس بنحو الثلث. وخلال حفلة عرس، اشتد اللفت في دعايته ضد الدخان، وحمل على المدخنين، وخرج مع أصدقاء العريس،

يدعون لهذه الفكرة، فألقي عليه القبض دون غيره، وفي الصباح تحمس الشباب الفاسي وقصد يسأل العاملين عما يجب اتخاذه إزاء سجن اللفت. فأجابهم الوطنيون : عليكم أن تذهبوا جماعات إلى الباشا، وتعلنوا له أن جريمة اللفت هي جريمتكم، وأنكم تريدون الزج في السجن. فذهبوا ونفذوا ذلك فكان مظهرا رائعا من مظاهر التضامن، رددت صداه جميع المدن.

وجاءت الأخبار من تطوان أن الأستاذ داود يستعد لإصدار مجلة شهرية، اسمها (السلام) وفي أواخر الصيف، صدر الجزء الأول منها وأظهر لي عدد من الوطنيين شبه استيائهم من افتتاحية العدد الأول، التي يشير فيها إلى الحكومة بشيء من الاحترام، والعطف، وعدت تلك الافتتاحية في بعض الأوساط مزرية بحقوق الوطنيين. على أن المجلة لم تكن ذات نزعة سياسية، وبعد أن سافرت إلى الشرق صدرت جريدة (الحياة) يحررها ويديرها الأستاذ الطريس فكانت سياسية النزعة، قوية الأسلوب شيئا ما.

تعقيـــب

أثبتت في هذه الصفحة ما أملاه المرحوم سعيد حجي رحمه الله من أفكار وآراء تتعلق بتوحيد الحركة كيف يكون ؟ وغرضى من إثبات هذا التقرير الذي لم يتم مع الأسف الشديد، أن الفكر الوطني في بداية تكوين الحركة الوطنية، لم يكن جامدا ولا مقلّدا، ولا أيضا متحداً، فكان البعض من الشباب الوطني إذ ذاك مسيطرة عليه فكرة مواجهة المد الاستعماري والمخطط الذي تسير عليه الحماية الفرنسية، وفضح ذلك المخطط، والاعتراض عليه بكل الطرق الممكنة، وكان البعض وهم قليلون يودون أن تسير الحركة الوطنية في خط يمكن أن يكون مسالما، ولكنه يهتم ببعض القضايا الإيجابية، أو التهيئية إن صح هذا التعبير، فيتخذ الوسائل السياسية الهادئة في الحملة، لتكديس مشاريع، وإيجاد مؤسسات، مثل تأسيس جمعيات، وتكوين صحافة وهلم جراً.

وإن دل هذا الاختلاف في الرأي على شيء، فهو يدل على أن الفكر المغربي فكر متحرك، غير جامد وغر مقلد، وأنه مهما كانت الظروف، فإنه يلتقى مع بعضه ويتوحد، إذا ما دعت أحداث توجب ذلك. بشرط أن لا يقع تعصب ولا قطيعة، وبشرط أن لا يسير المعتدلون مع السراب الذي يمثله المستعمرون.

رسائل من شخصيات مختلفة

رسالة من السعيد حجي

الحمد لله وحده

حضرة الإخوة الأعزاء

سلاما وتحية

اعتذار – أنا أعرف أنكم غاضبون علي إلى أقصى الدرجات، لكن مهلا أيها الإخوان، فلس في استطاعة الإنسان أن يخالف الأقدار، إذا ما عاكسته، وربما يجوز أن نقدم إليكم في الصيف، وأشرح لكم الحالة على وجه التفصيل، وأوضح لكم ما أحمله لأساس المسائل، لتكونوا على بصيرة من الأمر، وأننا لم نتأخر في أي واجب علينا مهما كان نوعه.

والآن إليكم الإجمال :

عدد العرب[1] وعدتكم أن صحيفة العرب، ستصدر عددا ممتازا بمناسبة اليوم المعهود[2] وهذا ما كنا عليه متفقين معها منذ شهرين ونصف، فهيأنا المواد، وهي تنيف على 18 مقالة، من أحسن ما كتب في المغرب في مواضيع مختلفة، توضح الحالة المزرية لإخواننا الشرقيين بغاية الوضوح وقبل اليوم المعهود بشهر وأربعة أيام حسب الاتفاق الذي كان بيننا.

أرسلنا تلك المواد لكي يصدر العدد قبل 16 ماي بنحو عشرين يوما، ليرسل إليكم، فلما وصلت المقالات لصاحب العرب، وتيقن بأن مجلته

(1) (العرب) مجلة أسبوعية كان يصدرها الأستاذ عجاج نويهض بنابلس.
(2) هو ذكرى صدور الظهير البربري.

سوف تمنع إذا ما أصدرت هذا العدد، وهو اليوم يبيع كمية لا بأس بها بالمغرب، اعتذر عن النشر وإصدار العدد، بأعذار لا قيمة لها بتاتا، وأخيرا قال لنا، لخصوا هذه المقالات في مقالة أو مقالتين، واستكتبوا عظيما من عظماء الإسلام ليكتب مقالة، وأصدر لكم ملحقا في 8 صفحات أو أكثر من العرب، ونحن قد كنا كتبنا إلى الأمير شكيب أرسلان، في أن يكتب لنا مقالة، فاعتذر أن الفرنسيين يتهمونه أنه محرك الحركة المغربية، فمن المصلحة لنا أن يكف عن الكتابة في القضية البربرية أو المغربية، وهذا عذر أوهن من بيت العنكبوت كما يقولون، والخلاصة التي فهمناها من صاحب العرب، أنه لا يريد أن يصدر العدد الممتاز خوفا من المنع، وهنا تحيرنا في الأمر، بعد أن تركنا عليه معتمدين فاضطررنا إلى إرسال المقالات إلى الإخوان بمصر، لإصدار عدد كبير من صحيفة (الفتح)، وفعلا أجابونا أنهم يدرسون الموضوع، وسنشتري من العدد الممتاز نحو ألف نسخة، لنرسل لكم كمية منها.

منشور المغرب، كان الإخوان في مصر متفقين معنا على طبع هذا المنشور، وكنا في كل يوم نستعجلهم في طبعه وإرساله، لكي يرسلوه قبل يوم 16 ماي بنحو نصف شهر، لكنَّهم لم يخبرونا بعدم إرساله لكم إلا بعد مرور أسبوع، إذ أخبرونا أنهم لم يرسلوا إليكم شيئا من ذلك المنشور، فتأسفنا كثيرا، ولمناهم على هذا العمل الذي لم يكن ينبغي أن يكون، وعلى كل نرجوا أن يكون المنشور وصلكم من الإخوان، ببقية المدن المغربية كما أخبرنا الإخوان بمصر.

الحركة في الشرق، نحن ننتظر ما يصلنا منكم من أخبار يوم 16 ماي، أما هنا فإني أكتب إليكم هذه الكلمات، وسأخبركم ما سيكون على الصحافة المصرية والفلسطينية، منذ أسبوع وهي تنشر الفصول الطوال عن القضية، أما في سوريا فإن الحركة ضعيفة، نظرا للضغط المرير الذي يوجد، ويكفي أن تعلم أنه وزع على الصحافة السورية، وعلى كل الأفراد المهتمين بالقضية ولم تنشره إلا صحيفة واحدة وإلا منشورا واحدا، أما في العراق

فإننا وزعنا على صحافتها ورجالاتها مناشير مختلفة في القضية، وعلى كل، سنرى ما إذا سيكون، وسنرسل إليكم أو نأتي به معنا، إذا رجعنا إلى المغرب كل ما ينشر عن المغرب وعن القضية.

مناشير الحجاج كنت أخبرتكم أنه سيوزع في الحج منشور في القضية، وفعلا وزعت نحو ثلاثة مناشير على الحجاج، وكان لهذا أعظم صدى، وإن لم يعلم ذلك إخوانكم الحجاج المغاربة المساكين.

الشيخ عبد الحي آخر ما نشر عنه في الصحافة الفلسطينية والمصرية، منشور من لجنة الدفاع في أوربا، وهو من أبدع ما نشر عنه، ولا ريب أنه وصلكم من الإخوان بفلسطين.

الجرائد والمجلات تأخرت في إرسال المقالات التي تكلمت عن المغرب لأسباب، ولقد اجتمع لدي مجموعة و... منها سأقص مقالاتها وأرسلها إليكم عن طريق تطوان إن شاء الله، أو أصحب ذلك معي إلى طنجة.

أخوكم سعيد حجي

الحمد لله

في 4 - 2 - 33.

أخي العزيز القادري

سلاما وتحية

وصلني كتابكم المؤرخ في 16 من الشهر الماضي وقرأته بإمعان تام، واستفدت منه كثيرا :

1- تجد للأخ (جَ) رسالة مفصلة باسمه، فصلت له فيها كل المسائل المهمة، فلتقرآه معه بل لتدرساه باعتناء، واهتمام، ولتعملا بمقتضاه.

2- أما المشروع الذي كنت عازما على عرضه على الإخوان بمصر، فقد تأخر، وجهت إليك كل ما ينشر عن المغرب، وأنت تقدر بجمعه وترتيبه إلى حين رجوعنا، وعلى كل، فإن أعداد الجامعة الإسلامية التي فيها رسالة المغرب، سيصلكم عددان منها، أما بقية ما ينشر عن المغرب، فسأسعى كثيرا لكي أرسل لك ما أستطيع، وكذلك أرسل إليكم مجلة العرب أسبوعيا.

3- أما التقرير الذي أكتبه فهو طويل وهو يتناول المسائل الآتية : (1) تمهيد (2) تطورات الروح الوطنية في المغرب (3) القضية البربرية – مفرعة إلى ستة أقسام – (4) السياسة التجهيلية – يتفرع إلى سبعة أقسام – (5) سياسة التفقير، أي المسائل الفلاحية، ومصائب الفلاح المغربي، وغير ذلك مما يطول شرحه (6) حرية الرأي والاجتماع (7) سياسة الظلم وفقدان العدالة (8) سياسة الاستسلام وأخطارها (9) خلاصة : ما هو مصير المغرب ؟

هذه مواضيع التقرير الذي بوبته وفصلت سائر نقطه، على أني لم أتممه بعد، نظرا لطوله، فهو يضم نحو مائتي صحيفة على الأقل، بل ربما

لا يتم إلا بعد ستة شهور، نظرا لصعوبة البحث، واتساعه، إذ هو يتفرع في كل يوم، ويشمل في كل نقطة نقطا متعددة، وهو بعبارة وجدانية، أخاطب فيها المغاربة، وأنت تراه كله لا يعتمد على القضية البربرية دون غيرها، بل يشمل كل المسائل المهمة في حياتنا الحاضرة، وسأسميه «القضايا السياسية الكبرى للأمة المراكشية».

هذا هو التقرير، ولست محتاجا أن أنبهك إلى نقطة مهمة تماما، هي ألا تخبر بذلك أي شخص كان... أما ماذا أفعله به بعد تمامه، فلم أعينه بعد وأستشيرك أنت لتقدم لي رأيك في ماذا أفعل به.

4- ذكرت في الرسالة الأخيرة، أنك تسعى لجمع طرف من المال قدره 500 فرنك ودفعه للأخ عمر، لهذا أرجو منك إذا لم تكن دفعت ذلك القدر بعد، أن تتأخر، وترسل ذلك إليَّ، لكي نقوم بأعمال مهمة ذكرت لكما بعضها في الرسالة المشتركة، وذلك لأن الإخوان بفاس مصابون بنوع من التراخي والتباطؤ، وهذا مما يضرنا كثيرا، ولتستعذر للأخ عمر، بل إذا أحببت أخبره بأنك أرسلت المال إلي، وأنك سترسله دائما إليَّ، وإذا أحبوا عملا من الأعمال هنا، قمنا نحن به، ونحن أيضا على استعداد لمساعدة «المغرب» بباريس، وطريقة إرسال الدراهم سهلة، وهي أن تحولها إلى أوراق فرنسية، ثم تضعها مع الرسالة في ظرف، وترسلها إلينا مضمونة بالبريد الإنكليزي، فإننا سنشتري 400 عددا من عدد العرب الممتاز، و200 من الجامعة الإسلامية وكذلك... وغيرها ونقوم بطبع منشورات ونشرات في القضية، ونقدم مساعدات لبعض الصحف لنشر الدعاية والاتصال مع «المغرب»، لهذا فنحن محتاجون إلى كمية كبيرة من الدراهم، خصوصا في أيام الذكرى.

وبهذه المناسبة أرجوكم أن تعملوا غاية جهدكم، وتواصلون مجهوداتكم بجد ونشاط في جمع المال، وإرساله بطريق السرعة، هذا إذا لم تكن دفعت الدراهم بعد للأخ عمر، أما إذا كنت دفعتها له، فلا تتحدث إليه بتاتا في هذه المسألة، وأرسل إلينا ما يجتمع بعد ذلك.

5- لم تتكلموا عن مجلة «مغرب» وهل وصلتكم أم لا، وهذا أمر يهمني كثيرا فلتخبرني عاجلا.

6- ينبغي لكم أن تخبروني بكل أخبار الأخ الناصري، وأسباب قدومه إلى داخل المغرب، وما يشاع عن اجتماعاتك معه، دون أن تذكروا له شيئا من علاقاتنا.

7- تجدون طيه رسالة للأخ اليزيدي، فلتدفعها إليه، وقد ذكرت له فيها مسألة الذكرى (16) ينبغي لكم أن تدفعوها إليه، في ساعة تكون منفردين فيها، إذ ربما يتحدث إليكم عما فيها إذا أحب ذلك، ذكرت في إحدى رسائلكم أن الأخ (ج) امتنع عن اطلاع الأخ اليزيدي على مسألة سفره إلى مصر... لهذا أنبهك أن لا تتحدث من الآن فصاعدا مع أي شخص آخر في هذه المسائل إلا وأنت منفرد به، ولا تخبر بمحادثتك معه أي شخص ولو الأخ (جَ) إلا إذا اقتضت الظروف ذلك.

8- أما كتابة شكيب إلى محرر (المغرب) العربية، فهو عمل لابأس به، أما كتابة أمين الحسيني للمحرر نفسه، يشكره فيها على عمله وتخوفكم من أن ينشر ذلك فهذا أمر لابأس به، خصوصا وأن السيد الحسيني المذكور ليس له منزلة... في الأواسط الوطنية بفلسطين، بل يجدونه مواليا للسلطة البريطانية، على أني أخبرت الإخوان بنابلس... لكي يحيطوا الحسيني إذا نشر رسالته بحقيقة الأمر، وإن كنت لا أرى أنه ينبغي أن تستعمل مع محرر تلك المجلة الشدة، والعنف، والمهاجمة، خصوصا نحن في ابتداء نهضتنا الصحافية، فينبغي لنا أن نسير تدريجيا، ولا نراعي ما يصدر في تلك المجلة من آراء، إذا حسبها أن تكون صحيفة مغربية، وبعد صدور عدد وافر من الصحف. نستطيع هناك أن نحارب الخائنة منها، ونقضي عليها القضاء... أما الآن فلا...

9- أما موقف اشماعو من صحيفة «العمل» وسوء ظنه ببعض القائمين بها، فإنه مما يسوء حقا، لكن أيضا عمل الإخوان القائمين بها أيضا يسوء، وعلى كل لندع الأقدار تفعل بنا ما تشاء، على أنه ينبغي أن نكون مجتهدين ولا نتراخى في العمل.

10- لم أكتب مقالة (للوداد) كما وعدتكم، ذلك لأنني الآن مشغول جدا، فقد وجدت عددا وافرا من الرسائل بعد رجوعي، اضطررت إلى الإجابة عنها، ولقد كنت أرسلت إليكم سابقا من فلسطين، قطعة شعرية... لشاعر إنجليزي يصف فيها جريحا ريفيا لنشرها.

11- ذكرتم أن المعلومين يريدون تغيير برنامج التصرف في المغرب، بأن يجعلوا زمام الحكم للبرلمان، يكون فيه أعضاء فرنسيون يتصرفون في المغرب كما يشاءون، ولا تبقى سلطة... لمقيم ولا لأمير، وتسألني عن رأيي. وأنا لا أستطيع الحكم في هذه المسألة بهذه الصورة المختصرة، فاكتبوا لنا بما يدور في المسألة، ولتبحثوا الإخوان المطلعين على الخبايا. وبعد ذلك نستطيع الحكم بعد دراسة الموضوع، على أني أستطيع أن أخبركم بما تقرر نحو هذه المسألة المهمة، وذلك أنه بعد حدوث حوادث القضية البربرية، أدركت السلطة الفرنسية في باريس، سوء تصرف المقيم العام... وأخطاءه، وتذاكرت طويلا مع أفراد فرنسيين، ذوي خبرة، فاستنتجت أن من الخطأ أن تبقى يد المقيم فريدة في تصرفها بالمغرب، دون مراقبة فعلية عليه.... ولا يقتصر الأمر على المغرب، بل شمل أيضا تونس، والجزائر، وفعلا فكرت الوزارة الفرنسية منذ سنة ونصف، أن تؤلف مجلسا عاما، يشرف على إدارة هذه البلدان الثلاث. وبعد ذلك قدم نواب فرنسيون يزيد عددهم على مائة، اقتراحا إلى الحكومة الفرنسية بباريس، بوضع هذا النظام موضوع التنفيذ لكن حدث على إثر ذلك أزمات وزارية، يتناسى فيه الأمر، خصوصا بعد الانتخابات الفرنسية أخيرا التي جرت قبل الصيف الماضي، ولعل المسألة قد استيقظت من جديد، لكن لم نعلم أيَّ اتجاه ستأخذ بعد ذلك، وعلى كل أخبروني لنقوم بدرس المسألة مع الإخوان في أوربا.

أما الأسئلة التي تود إلقاءها علي، فإني مستعد للإجابة عليها بتفصيل وشرح طويلين.

وأخيرا فإني في انتظار جوابكم ولكن على طريق البريد الإنكليزي لأنه أسرع....

أخوكم سعيد حجي

رسالة من الزعيم
علال الفاسي سنة 1935

الحمد لله وحده

26 فبراير

الأخ العزيز سيدي أبو بكر القادري

عليكم السلام ورحمة الله وبعد فإن الأخ عمر سيكون بالرباط بعد الغد لتتميم ما أخبركم به في رسالة سابقة، حول الاحتجاج على قضية الديوانة، وعليه فالرجاء أن تشعر الإخوان.

اشماعو ـ حصار ـ معنينو ـ السعيد (إن كان هناك) وتكونوا جميعا بعد الغد، الذي هو يوم الخميس بالرباط، عند الصديق سيدي أحمد الشرقاوي لتناول الغذاء على مائدته ساعة 12.

ودمت لأخيك.

السيد علال الفاسي

13 شوال 1351

حضرة الأستاذ أحمد حسن الزيات

السلام عليكم ورحمة الله

سيدي ليس لي قلم أعبر به عن سروري وابتهاجي، حين اطلعت على العدد الأول من «رسالتكم»[1] التي ستكون إن شاء الله، مبدأ عصر جديد، وفاتحة تطور قريب. ولقد راقتني والله وأخذت بمجامع قلبي واستحسنت مبدأها وتمنيت لها كل نجاح وفلاح.

سيدي الأستاذ، إن عملكم هذا، لدليل على حسن نيتكم، وتفانيكم في مصلحة لغتكم، لغة القرآن والحضارة والعلم، وأن اختياركم لطرق باب الصحافة لأجل هذا الغرض الأسمى، وهو خدمة اللغة العربية، لبرهان على بحثكم العميق عن الأسباب التي تعليها، وترقيها كي تجعلها في صفوف اللغات الحية، وأن مجلتكم هذه، سترينا كيف نربط القديم بالحديث، وما هي الطريق التي ينبغي لنا أن نسلكها في هذا الميدان، خصوصا في هذا الوقت الذي كثر فيه المشعوذون المضلون، إلا من رحم ربك، لهذا تراني صممت العزم على أن نكون من جملة المشتركين فيها، عساني أظفر بأخذ آراء كتابها، وأجني منها ثمار رياضها، ورجائي في حضرتكم، أن ترسلوها لنا من أول عدد صدر، وسنرسل إليكم قدر الاشتراك حين تقبلون طلبنا.

وأخيرا لنُهنيء الرسالة بمديرها، ولنهنيء الأمة العربية برسالتها. والسلام.

أبو بكر القادري

(1) مجلة (الرسالة) مجلة أدبية ثقافية، صدرت بمصر سنة يناير 1933 ومديرها الأستاذ أحمد حسن الزيات، الأديب الكبير المشهور، واشترك في تحريرها جملة من الأدباء في طليعتهم الدكتور طه حسين، ومبدأها كما قال مديرها، ربط القديم بالحديث، ووصل الشرق بالغرب. وقد كانت تقرأ كثيرا من طرف المثقفين والباحثين وكان لها تأثيرا كبيرا في ثقافة جيلنا، وأريد من نشر هذه الرسالة إطلاع الأجيال الجديدة على ارتباط الجيل المغربي القديم بالثقافة العربية، ودور مصر في نشر الثقافة العربية الحديثة.

الحمد لله وحده

سلا في 17 شعبان سنة 1351.

حضرة الفاضل المحترم المسلم الغيور، أمين عبد الرحمان مدير مجلة (الإسلام).

سيدي إنني قصرت كثيرا في حق أخوتكم، حيث أنني لم أكتب لكم هذه مدة، مع أن الواجب كان يقضي علي بخلاف ذلك، لهذا أتقدم إليكم راجيا أن تغضوا الطرف، وتعلموا أن ذلك لكثرة الأشغال. سيدي قد كنت طلبت منكم أن ترسلوا إلينا أربعة أعداد من مجلتكم، كي أنشرها في وسطنا، فلبيتم طلبنا كما هو الواجب، وأخبركم بأن مجلتكم قد صادفت إقبالا عظيما في وسطنا، ولولا أن ثمنها مرتفع شيئا ما، لكانت تباع أكثر من ذلك، وقد طلبت منكم أن تبينوا لي في كتاب، بكَم يباع العدد الواحد، فلم يصلني شيء، وحيث إنني لم أدر ما جمعتم علي في الأعداد التي أرسلتم، فالمرغوب منكم أن تبينوا لنا ذلك في كتاب مفصلا هكذا قيمة الاشتراك لسنتكم بقروش... أعداد ابتداء من .... 24..... وتسقطوا ما دفعنا لكم قبل هذا، ثم الذي يصلكم صحبة الكتاب، هذا ويصلكم طيه 11 جنيها انكليزيا ادخلوه في الحساب، كما أخبركم بأن عدد 25 وعدد 34 لم يصلنا منه ولا عدد واحد، فالمرغوب منكم أن ترسلوا لنا عددا واحدا من كل منهما الذي هو من قبل اشتراكي، لأن السنة لا تقبل إلا إذا أرسلتم العددين المذكورين، كما أرغب منكم أن ترسلوا إلينا إثنى عشر من مفكرات الجيب التي طبعتم وادخلوها في الحساب.

سيدي أخبر حضرتكم بأني انخرطت في سلك مدرسة أبناء الأعيان. هذه مدة من عام ونصف، وغايتي من الدخول هناك هو تعلم اللغة الفرنسية، التي اضطرنا الحال لتعلمها، أما اللغة العربية ويدخل فيها التعليم الديني الذي يلزم أن يربي نشئنا عليه ليلا يقع في ضلال، فهذا لا ينبغي أن يقرأ هناك، لأن المدرسة كما لا يخفاك. هي المدرسة الوحيدة التي توجد ببلدتنا، ومدرسة أخرى صناعية، ورغما عن هذا كله، فإن فرنسا تريد أن

يبقى المغاربة جاهلين، وأن تربي النشء كما تريد، ليكونوا أنصارا لها وعبيدا، وحيث أن الأمر كما ذكر، فإن الإدارة الفرنسية عمدت إلى كل من تشم فيه رائحة الغيرة، وتسببت له في الخروج من المدرسة، لئلا يوذي إخوانه بغيرته أو بوطنيته، حسبما ترى، وهذا ما لا تريد أن يكون. وقد كنت من هؤلاء أعني المغضوبين عليهم منها، لأن وجودي في المدرسة مضرة كبيرة على فكرة الفرنسيين، كما قال أحد رؤساء الاستعلامات، ولأن جل التلاميذ يقتدون بي هناك، ويفعلون كل ما أمرتهم به، حتى أنهم عظموني على أساتذتهم، وهذا ينافي الغاية التي أسست من أجلها مدرستهم..... والحاصل أنهم لما رأوا كل ذلك، ورأوني متبعا كل القوانين المدرسية، لم يجدوا ما يتسببون به لطردي، فعمدوا إلى طردي من المدرسة بدون سبب وذلك أنهم أهانوا كرامتي في قضية ثم طلبوا مني، أن نقدم لهم المعذرة، وهم يعلمون عدم قبولي لذلك، فلما لم أمتثل أمرهم بالطبع، فعاقبوني بالطرد إن لم أفعل، فلم أرض بإهانة كرامتي واخترت الجلوس في داري، والاشتغال بتعاطي بعض الدروس العربية عن أن أجلس هناك مهانا، ومما يدلك على صدق ما أقول، أني لم أتراخ عن هذه القضية، بل قمت قومة الرجل الشهم، مناضلا عن نفسي، وفعلا كتبت لمدير التعليم العام بالمغرب، أخبره بالقضية، وأشرح له الأسباب. واحتج على هذه الأعمال التي يسلكونها مع الأهالي المسلمين، فلم يجبني بكلمة واحدة، فكررت ذلك ثانيا وثالثا ثم كتبت لوزير المعارف المسلم، ولكن أنى له بمناصرة وهو لا يقدر أن ينطق ببنت شفة أمامهم.

تعقيـــب

أنشر هذه الرسالة التي تتعلق ببعض ما قاسيته من متاعب ومصاعب في تكويني الدراسي الأول، وهي في الوقت نفسه، تسجل التوجهات التي كنت أتوجهها من حيث الثقافة العامة المزدوجة، والثقافة الإسلامية الخاصة. ففي الوقت الذي أرسلت رسالة لمجلة (الرسالة) الثقافية، كنت أراسل بعض المجلات الإسلامية بالقاهرة ومنها جريدة (الإسلام) وجريدة الرابطة الإسلامية بدمشق، وغيرهما، وهذا التوجه هو الذي طبع حياتي المستقبلية.

السياسة التعليمية بالمغرب
لغاية الثلاثينيات

أنشر المقال الآتي الذي كتبه المرحوم محمد اليزيدي بالفرنسية في مجلة «مغرب» سنة 1933 التي كانت تصدر بباريس باللغة الفرنسية، وكان مسيو روبيرجان لونكي هو مديرها، ويشرف على تحريرها، المرحوم جَ أحمد بلافريج.

والذي دفعني لنشره ضمن مذكراتي هو إعطاء معلومات وافية عن حقيقة التوجه الاستعماري المقيت فيما يتعلق بأبنائنا والسياسة التجهيلية التي كانوا يطبقونها.

تعليم المسلمن بالمغرب

لا ينكر أحد أن هناك مشكلا للتعليم في المغرب، ولا أدري كيف سيحله المقيم الجديد. ولكني متيقن أنه سينكب على بحث **خطورته بغير النوايا التي تهيمن على مدير التعليم ببلادنا.**

إن قراء «مغرب» تتبعوا على صفحاتها الجوانب المتعددة لهذه المشكلة، ليسمحوا لي بأن ألخصها لهم عن طريق قصة رواها لي أحد الأصدقاء الذي قال لي :

«أردت تسجيل ابني في مدرسة ابتدائية بعدما حفظ سورا من القرآن بمكتب قرآني قضى فيه أربع سنوات، ولكني قبل تسجيله أردت الوقوف بنفسي على نوع الدراسة التي تلقنها مثل هذه المدرسة للمغاربة المسلمين، وتبين لي بعد البحث، أنها لا تفي بالشروط التي من شأنها أن ترضيني، فقد

وجدت أن الدراسة فيها غيركافية، وأن نصيب تدريس اللغة العربية به ضعيف جدا.

وحينئذ قررت أن أوجه ابني إلى دمشق، التي كان النظام الداخلي الصارم المطبق بمدارسها، كفيلا يدفعه إلى مضاعفة جهوده ليتعلم اللغتين العربية والفرنسية، ليستطيع الرجوع إلى وطنه في أقرب الآجال».

قال لي صديقي : وكنت أعرف أن الأمر لا يحتاج إلى إذن خاص، لأن حكومة الحماية، كانت تترك الحبْل على الغارب للآباء في تعليم أبنائهم وتوجيههم إلى حيث شاؤوا، ولكن كان لابد للسفر من جواز، ولهذا الغرض توجهت إلى إدارة الشؤون الأهلية التي قيل لي فيها، إنه لن يسمح لابني بالسفر إلى الشرق، لأنه كانت تجري فيه إذاك حملة معادية لفرنسا قد يتأثر بها.

وهكذا لئلا يطلع المغاربة على أن هناك حملة ضد فرنسا، يحرم ابني من تلقي تعليم صالح. ولما خاب أملي هذا في تعليم ابني بإحدى المدارس العربية بالشرق، عزمت على أن يتعلم مع الأطفال الفرنسيين، عوض أن أسجله بمدرسة عربية فرنسية، قد تسيئ إلى سلوكه الأخلاقي، واقتدته إلى «ليسي» الرباط، الذي كان يحتوي على أقسام ابتدائية، لأسجله فيه. ولم أجد صعوبة في تسجيله لأول الأمر».

«وكنت في ساحة هذا «الليسي» ضمن 24 أبا مغربيا مسلما جاؤوا مثلى إلى هذا المعهد، لتسجيل أبنائهم فيه. وبينما كنا مجتمعين، التحق بنا آباء إسرائيليون، جاؤوا هم أيضا لتسجيل أبنائهم، واندمجوا معنا، لأنهم لم يكونوا يتحدثون باللغة الفرنسية، حتى يقتربوا من الآباء الفرنسيين».

«وفي تلك الآناء أعلن عن الدخول إلى الأقسام، وإذا بمدير «الليسي»، يقبل نحونا نحن المسلمين مسرعا ويقول لنا : إنه بأمر من إدارة التعليم، لا يمكن قبول أبنائنا با«لليسي» وإنه قد أبلغ بهذا المنع لحظته».

وأمام هذا الإحباط، أمام خيبة أملي للمرة الثانية في تسجيل ابني في مدرسة لائقة، لم يبق لي إلا حل واحد، هو تسجيله في إحدى المدارس

العربية الفرنسية التي ذكرت أعلاه، إنها تفتقر إلى الضمانات الأخلاقية والثقافية الضرورية. وقصدت على التو مدرسة من هذا النوع، فكان أول ما قاله لي مديرها أنه ليس له مقعد شاغر بمؤسسته، والححت عليه في أن يقبل طلبي، مقترحا عليه أن أحمل لابني مقعدا من عندي فأجابني بقوله : إن القسم الأول يحتوي على 112 تلميذا، فكيف يضيف إليه تلميذا جديدا، والتمست منه أن يدلني على مدرسة تقبل تسجيل ابني، فنصحني بالتوجه إلى الكوليج الإسلامي، الذي تُعطي فيه دروس للمبتدئين. وركبت على متن عربة، وقصدت الكوليج المذكور، ووجدت في ساحة المدرسة عددا لا يستهان به من آباء التلاميذ محيطين بمديرها، الذي كان يعبر لهم متأسفا عن عدم استطاعته تلبية رغبتهم لعدم توفر مدرسته على المقاعد الكافية».

وحينئذ نفذ صبري، واتجهت نحو المدير، وقلت له : لا أريد إبقاء ابني بجانبي بعدما حرمتم عليه التعلم في بلاده أو في الخارج.. اطرودوه، اقتلوه. لن أحاسبكم على شيء في سبيله، وحتثت الخطى وانصرفت غاضبا. ولكن المدير تبعني محاولا تهدئتي، متملصا من أية مسؤولية، ثم نصحني بالذهاب عند مسيو Brunot مدير التعليم المغربي، وقبلت هذا الاقتراح، وذهبت عند Brunot، واستقبلني بمكتبه، وفعل كل ما في وسعه لاقناعي بأنني لست على صواب وقال :

إنكم أنتم المغاربة بمجرد ما تلدون أطفالا تفكرون في تعليمهم، إن هذا ليس من المعقول، لا ينبغي أن يتراكم الأطفال على أبواب المدارس، وإلا فمن يقوم عوضهم بالمهن الأخرى.

اسمع ياسيدي عليك بالافتداء بوزير العدل السابق، الذي رغم كثرة أولاده لم يدخل ولو واحدا منهم إلى المدرسة، وارتأى أن يجعل من أحدهم خادمه الذي يذهب كل صباح إلى السوق، ومن أحدهم سائق سيارته، حتى يوفر هكذا 50 د، يوميا ومن الثالث قابضا للأكرية، إن مثل هذا الرجل هم الأذكياء الذين ينبغي الافتداء بهم. إني أنصحك بالتفكير فيما قلته لك، وفي المستقبل عندما يولد لك أبناء آخرون، يمكن لك أن تعلم أحدهم. وهذا كاف، وعلى أثر هذه النصيحة شيع صاحبي حتى باب المكتب بأدب كبير.

هذه هي قصة صاحبي، وليست هي الوحيدة من نوعها في بلادنا، وفي وسعي أن أذكر مثيلات لها، ولكن أفضل أن أقف هنا حتى لا أتعب القارئ، ولن أذكر بتفصيل قضية الطفل بنشقرون، الذي جاء من مراكش حاملا شهادة الدروس الابتدائية، ولم يتمكن من تسجيل نفسه بكوليج الرباط، ولنفس السبب دائما وهو انعدام مقعد شاغر به. وفي هذا الصدد أذكر أنه لا يوجد في المغرب إلا معهدان ثانويان، وإن مراكش التي يقترب عدد سكانها من 200 ألف نسمة، ليست فيها مدرسة ثانوية، بحيث لابد لمن أراد أن يتابع دراسته الثانوية، أن يقطع مسافة 340 كم، وأن يحالفه الحظ فيجد مقعدا بالكوليج ويسجَّل.

وبناء على هذا فإن الآباء في بلادنا، ليسوا أقل هما على مستقبل أبنائهم من الفلاح على مستقبل حرثه، والصانع على مصير صناعته.

إن الواجب يقتضي من الآباء أن يعلموا أبناءهم، حتى يتسلحوا بزاد من الثقافة يساعدهم على العيش، حياة طيبة، ولكنهم يصادفون عراقيل لا تجد ثم لا يُسمح لهم بالتذمر علنا. لابد أن يتألموا في صمت، وإلا اعتبروا ناقمين متنطعين.

ومع ذلك فهل نحن متنطعون ناقمون نقمة مسيو Brunot عندما قال لصديقنا ذلك الكلام الذي حكيناه أعلاه، أو عندما قال لمرشح الامتحان البكالوريا بأن إدارة التعليم لا يمكن أن تشجع المغاربة على ترشيح أنفسهم لهذا الامتحان، حتى لا يزاحموا الفرنسيين الصغار في كسب لقمة العيش.

هل من المعقول والمقبول والممكن التعاون مع مثل أصحاب هذه الأفكار، كيفما كانت درجة حسن نيتنا. إنك توافقني أيها القارئ العزيز المنصف في حكمه، إنه ليس في اسطاعتنا أن نقترب من أناس يبعدون كل البعد أطفالنا عن أطفالهم، ويحرموننا من وسائل التعرف عليهم والتعاطف معهم.

وهكذا ونظرا لقلة المدارس بالمغرب الخاصة بالمغاربة المسلمين، ونظرا لمستوى هذه المدارس الذي لا يستجيب لحاجات السكان، قرر كثير من الآباء تعليم أبنائهم بمصر، أو سوريا أو بفرنسا.

وبعدما تغلبوا على العرقلة الأولى وهي إقناع الأمهات، بضرورة فراق أبنائهم لهُنَّ مدة طويلة بقيت أمامهم عرقلة ثانية لا تقهر وهي الحصول على جواز سفر مسلم لأبنائهم من السلطات الإقليمية.

وبينما كان الحصول على الجوازات لا يلقي صعوبات كثيرة في البداية، حين كان الطلب عليها محدودا، صار في شهر شتنبر الأخير من الصعوبة بمكان، حيث ارتفع الطلب عليها ارتفاعا يدل في حد ذاته على الاحتجاج ضد التعليم بالمغرب وعدم الثقة به.

وقابلت السلطات الحكومية كل طلب للجواز بالرفض. وكنا نغض الطرف عن هذا الرفض، لو كانت بالمغرب مدارس كافية تسير سيرا حسنا. ولكن كما بينا في المقال السابق لم تكن للمدارس الموضوعة، رهن إشارة المغاربة إلا غاية واحدة، هي ذر الرماد في العيون والمحافظة على المظاهر.

ويمكنكم أيها القراء أن تحكموا بأنفسكم، إذا ما اطلعتهم على الوسيلة الماكرة التي تستعملها سلطات الحماية مع الآباء الذين طلبوا جوازات لأبنائهم، كان عدد هؤلاء 13 جردا بالنسبة لناحية الرباط هم :

1- الأمين بن عمور الذي طلب 3 جوازات لأبنائه.
2- زين العابد بن غنام.
3- الحاج محمد غنام الذي طلب جوازين لطفليه.
4- الحاج عبد السلام الزبدي.
5- الحاج أبو بكر بلكورة.
6- الحاج عبد الواحد العربي.
7- الحاج إدريس البحراوي.
8- أحمد الصبيحي.
9- عمر بلامين.
10- عبد الحفيظ الفاسي.
11- الحاج محمد البحراوي.

12- السي عبد القادر بنحساين.

13- المعطي بوهلال.

ولما استقبلهم المراقب لتسلم طلباتهم، وضع على كل واحد منهم هذه الأسئلة :

– لماذا تريد إرسال ابنك إلى الخارج ؟

– لكي يتعلم.

– ولكنه توجد هنا في عين المكان مدارس كافية كفيلة بتلبية رغباتكم.

وهنا تختلف الردود بحسب درجة صراحة كل مجيب فمنهم من تمسك بالمثل الذي يقول : الجهر بالحق لا يفيد دائما، وأجابوا بأنهم لا ينكرون بوجود مدارس بالمغرب ولكنهم يفضلون إرسال أبنائهم إلى الخارج حتى يبعدوهم عن التأثيرات الضارة الموجودة بالمجتمع المغربي، وحتى يحثوهم على بذل المزيد من الاجتهاد. وآخرون لم يترددوا في قول الحق الصَّراح واعلنوا أن المدارس الخاصة بالتعليم المغربي للأطفال المغاربة المسلمين، بعيدة كل البعد عن المستوى المنشود.

ورد المراقب قائلا : انكم مخطئوون. إن الحكومة تنفق الملايين كل سنة في سبيل تعليم أبنائكم. وفق هذا فهي تحرص على احترام تقاليدكم، وتلقن اللغة العربية لأبنائكم ومبادئ الدين الإسلامي، فكيف والحالة هذه تزعمون أنكم غير راضين عن هذه المدارس.

وهنا نطق أحد الآباء من المتنطعين وقال :

كيفما كان الأمر، فإن هذه المدارس التي يتعلم فيها المغاربة منذ 20 سنة لم تعط نتائج ذات قيمة تذكر، وأحسن من هذا فإني اتحداك في أن يفهم ابني ما تقوله له بالفرنسية التي يدرسها منذ ست سنوات، أو في أن تقدر على الحصول منه على جواب.

ولما رأى المراقب أنه لم يستطع إقناع الآباء صرفهم من عنده، وعدهم بأن يحيل طلباتهم إلى الدوائر العليا.

وبعد عدة أسابيع من الانتظار، استدعى الآباء يوم سبت صباحا إلى المكتب الإقليمي لمصلحة الاستعلامات. واستقبلهم نائب رئيس الناحية بكل ترحيب، وقدم لهم الشاي لمن شاء أو القهوة أو عصير الفواكه وحدثهم عن الحياة حلوها ومرها.

ولم يعرف المدعوون كيف يشكرون نائب رئيس الناحية على كرمه، ولما رأوا كيف تحولت هذه المكاتب المشهورة بصرامتها إلى مقاه يحلو فيها الجلوس، لم يعودوا يشكون في أن مطالبهم ستنفد وبدأوا يبتسمون ويتبادلون فيما بينهم النظرات أمام النائب الساخر عليهم في أعماقه.

ولكنهم سيستيقظون من أوهامهم سريعا، وسيشاهدون مشاهد تفوق تمثيل **طارطوف** نفسه، حين قدم عندهم شاووش ينادي عليهم الواحد تلو الواحد، ويقودهم إلى مكتب آخر في نفس المصلحة وهناك وجدوا أنفسهم (عوض رئيس الناحية كما كانوا يعتقدون) أمام السيد Brunot مدير التعليم المغربي، وتساءلوا مندهشين عما جاء يعمل هذا الشخص هناك بينما كانت له مكاتب أحسن وأضخم بادارته، كان في وسعه أن يستقبلهم بها. ولكن وأسفاه لم يكن الآباء يعرفون أن إدارة التعليم المغربي، وإدارة الاستعلامات المتجاورتان كانت من صنف واحد إن صح التعبير، وأن إدارة التعليم لا تسير إلا وفق تعاليم إدارة الاستعلامات.

وباختصار استقبل Brunot الآباء واحدا واحدا وقال لهم تقريبا هذا الكلام :

– اسمع أنت يافلان، إنك تريد أن ترسل ابنك إلى الخارج ليتعلم، إنك لا تعرف الأخطار التي ترمي فيها طفلك الصغير. هل تصورت الهمّ الذي سيعتريك إذا ما فارقته، ووردت عليك أنباء عن إصابته بالمرض، ماذا ستفعل في هذه الحالة من الذي سيتكلف برعايته وعلاجه، كيف ستكون حالة **أمه المسكينة** إنك بحق عديم الشخصية.

– إن الشفقة هي بالذات التي تحثني على إعطاء ابني تعليما متينا شبيها بالتعليم الذي تعطونه لأبنائكم، ولا يهمني أن يموت ابني، إذا ما مات وهو على مقعد بمدرسة جديرة بهذا الإسم.

– ولكن لكم هنا معاهد لها نفس قيمة تلك التي تأخذ إليها ابنكم بالخارج.

– ما هي النتائج التي أعطتها منذ 20 عاما. **هل لنا طبيب** مغربي واحد ؟ هل لنا مهندس واحد ؟

– هل فكرت قبل أن تضع هذه الأسئلة. ألا تعرف ابن فلان القائد كذا، وابن فلان الآخر الباشا كذا، أما المترجمون فهم كثيرون.

– اسمحوا لي أن اخبركم أني لا أريد لإبني أن يتوظف في قيادة، أو في باشوية، ولكن أملي أن أوجهه ليعمل في الميدان الحر.

– تيقنوا أن أبناءكم لن يحققوا في الخارج أي تقدم، وسيقلبون ظهر المحن لتقاليدكم النبيلة، هذه التقاليد التي ورثتموها عن أجدادكم سينهدم التفاهم بينكم. لن يقبلوا أن يأكلوا كما تأكلون. لن يجلسوا على الشكل الشرقي كما تفعلون.

– لا تستهزئ بنا مسيو Brunot. لن تثنينا مثل هذه العراقيل عن القيام بواجباتنا الأبوية.

– وفيم إذا تزوج أبناؤكم بأروبية ؟ ثم لا تنسوا إن الالحاد قد يهدد أبناءكم. إنكم تنسون أن فرنسا بلد الكفار. كما أن السياسة داء قد يصيب أبناءكم. ثقوا بي واحتفظوا بأبنائكم بجانبكم. إنهم نوعا ما أبنائي. إني أشفق عليهم مثلكم، وأعرف أكثر منكم الطريق المثلى لسعادتهم. لا يمكن لي أبدا أن أترككم تبعدونهم عني. إنهم فراخى، وليس هناك دجاجة لا تدافع عن فراخها. ثم إنني مسؤول عنهم أمام الله، وأتصور من الآن اليوم الذي تقفون فيه أمام الله وتصيحون وتقولون لي : أنت الذي كنت سبب خسران ابنائنا لأنك لم تحذرنا من الأخطار التي كانوا سيتعرضون لها في

الخارج. أنت الذي ألقيتهم عن قصد وإصرار في أحضان الشقاء. ثم ستديرون وجوهكم نحو الله، وتطلبون منه أن يقتص مني. فكروا جيدا واستشيروا مع العقلاء، وسترون أن نصائحي نابعة من قلب صادق مخلص.

وبعدما أنهى مسيو Brunot تقديم نصائحه إلى مخاطبيه، قادهم نحو الباب، والغضب يخنق أنفاسهم، ويمنعهم عن النطق ببنت شفة.

وربما نفض Brunot يديه، وهو يومن بأنه حالفه النجاح الذي سيفر به أكثر من الإقامة، ولكن الآباء جددوا الكرة، وضغطوا أكثر على المكتب الإقليمي، خصوصا وهم يرون أن شهر أكتوبر يقترب. وحينئذ التجأت سلطات الحماية إلى الدواء الناجع، إلى الشبح الذي يحركونه كلما رأوا من الاحتياط أن يقابلوا طلبا بالرفض. فقد استدعوا كما يفعلون دائما إلى مكتب الاستعلامات الآباء، ثم بواسطة الباشا أخبر هؤلاء، إنه لا يمكن أن يُتخذ أي قرار في هذا الشأن قبل عودة السلطان الذي كان في ذلك الوقت بفرنسا.

ولكن رجع الملك بعد ذلك ببضعة أيام ولازال الآباء ينتظرون الجواب.

خطب في مواضيع إسلامية
تلقي الضوء على مراحل من حياتي

كلمات في مناسبات

حرصت وأنا أسجل ذكرياتي في مذكراتي الوطنية، أنني وأنا في بداية عملي الوطني لم أبلغ الثمانية عشرة من عمري، رسمت خطا لتوجهاتي المستقبلية. وهذا الخط يسير في عملين أساسيين : العمل الأول : التوجيه العقائدي الإسلامي، الذي يجب أن تسير عليه النهضة الوطنية الإسلامية المتفتحة والملتزمة، لتسيير الحركة الوطنية في ضوئها، وحسب توجهاتها الأساسية العقائدية والاجتماعية والثقافية.

والعمل الثاني : مكافحة الاستعمار الأجنبي، ومكافحة مخططاته، والدفاع عن القضايا الوطنية، والعمل المستمر لتحرير بلادنا من قبضة الاستعمار، وإجاع كرامتها وعزتها، حيث تسير شؤونها بنفسها، في دائرة نظام ملكي دستوري سليم، وأنشر ضمن هذه المذكرات، خطبا كنت ألقيها في المساجد، بمناسبة بعض الذكريات، وهي تفصح عما كنت أومن به، وما أدعو له.

خطاب بمناسبة ذكرى تأسيس
جمعية المحافظة على القرآن الكريم

الحمد لله بعزته يعتز المومنون، وبتوفيقه وعنايته يهتدي الضالون، الحمد لله الذي يمد بنصره من اعتصم بحبله المتين، وكتابه المبين، وسنة رسوله الأمين، الذي يخذل من طغى وبغى واستكبر في الأرض بغير الحق. والصلاة على سيدنا محمد الذي ارتسم للحق سبيلا، وللإخلاص خليلا، فانتصر جنده، وانهزم عدوه، وعلى ءاله وأصحابه الذين لم يخشوا في الحق لومة لائم، والذين جعلوا الحق فوق رؤوسهم، والباطل تحت أقدامهم، وكذلك يفعل المخلصون، أما بعد فلقد مضى على اجتماعنا وتآلفنا بهذا المسجد العتيق، وقيامنا بهذا الواجب الديني، واجب الاعتناء بالقرآن الكريم والاشتغال بتلاوته، ودعوة الناس إلى قراءته وتدبره سنتان كاملتان.

مضت علينا سنتان. حيث أننا ابتدأنا هذا العمل بمعونة الله في سادس وعشرين من ذي الحجة الحرام عام إحدى وخمسين وثلاثمائة وألف.

ولقد سرنا في خطتنا والحمد لله كما ينبغي، غير مبالين بحوادث الأيام، ولا ملتفتين لما يقف أمامنا من العقاب، ولا يزحزحنا عن مبدئنا مزحزح، ولا يردنا راد. غايتنا خدمة القرآن الكريم، وإرشاد الناس لوجوب العمل به، والالتفاف حوله، معتقدين أن الله معنا، وأن النصر سيكون حليفنا، مادمنا على هذه الخطة. ولقد رأينا والحمد لله ثمرة عملنا، حيث شاركنا في هذا العمل، سائر الإخوان المخلصين، واقتدت بنا أغلب بلدان المملكة المغربية، وبذلك اتحد اتجاهنا ومقصدنا وغايتنا، التي هي إرجاع مجد الإسلام، والتبشير به، وإرشاد الناس لوجوب التمسك به.

معشر السادات : إن الأمم التي تكون صاعدة ذروة المجد والعز، ثم تنحط إلى درك الهوان والخمول، لابد أن يهيئ الله لها طائفة من أبنائها، يبحثون عن علة ضعفها وانحدارها، ويبحثون عن الوسيلة التي تعيد إليها شباب مجدها، وترد لها مهابتها، وإننا إذا أمعنا النظر في حالة المسلمين، وما أصابهم من وهن وانحلال، واختلاف، وما آلت إليه حالتهم الوخيمة من الذل والهوان. نجد أن ذلك راجع لسبب واحد، ألا وهو إهمالهم لدينهم، وانصرافهم عن نصائح كتابهم، وعدم قيامهم بواجب العمل له، فسعادتنا في أن نكون بهذا الدين عاملين، وشقاوتنا في أن نكون عن طريقه منحرفين، عزنا أن يكون الله معنا. ذلنا أن يكون الله علينا ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم مُحسنون﴾.

إخواني لقد أصبح المسلمون اليوم وهم كما ترون، لا كلمة تجمعهم، ولا رادع يردعهم، طوائف مختلفة، وأحزاب متضاربة، كل هذا وكتاب الله يناديهم أن اتحدوا، وسنة رسوله تدعوهم أن بي اعملوا، وبحبل الله اعتصموا، قال الله تعالى : ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا﴾ الآية، وقال : ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا﴾ الآية، وقال : ﴿إنما المومنون إخوة﴾ كتاب الله يأمرنا بتأدية الأمانة، والوفاء بالعهود، ويقول : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله﴾ الآية، ويقول : ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم﴾ فهل نحن موفون ؟ القرآن يأمرنا بأن تكون صدورنا سالمة، ويقول : ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا﴾ الآية ورسول الله يقول : (إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث) (ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا الحديث) فهل صدورنا سالمة؟ قرآننا ينهانا عن السخرية بالخلق، والتنابز بالألقاب، ويقول : ﴿ياأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم﴾ الآية، قرآننا ينهانا أن نكون من ذوي الوجهين، وذوي اللسانين، حيث يقول : ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة﴾ الآية، القرآن يأمرنا بتربية أبنائنا على الدين، ويقول ﴿وأمر أهلك بالصلاة﴾ الآية ويقول : ﴿وانذر عشيرتك الأقربين﴾ القرآن ينهانا عن أن نرضي الخلق فيما يغضب الخالق بقوله : ﴿فلا تخشوا الناس

واخشون﴾ وقوله : ﴿أتخشونهم﴾؛ الآية، ولقد كتبت عائشة رضي الله عنها إلى معاوية : سلام عليك، أما بعد فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : (من التمس رضا الله بسخط الناس، كفاه الله الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله، وكله الله إلى الناس) رواه الترمذي، القرآن يقول : ﴿وتعاونوا على البر﴾ الآية، ديننا يأمرنا بإغاثة الملهوف، ونحن نرى الفقراء واليتامى متشردين في الطرقات، فلا نتأثر لحالهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله، أهملنا القرآن، وأهملنا العمل به، وصار يصدق علينا قوله تعالى : ﴿وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا﴾، فحقت علينا كلمة العذاب، وسلط الله علينا الأشرار، وأصابنا القحط، قال ربنا في كتابه : ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا﴾ الآية.

إخواني إن ديننا دين أعمال، وليس بدين أقوال. دين إخلاص، وليس بدين نفاق، فواجبنا أن نشعر بحقيقة موقفنا، ونعالج أمراضنا بصبر وثبات، فكفانا يا أيها المسلمون ما نحن فيه من الذل لغيرنا، كفى ما نحن فيه من تفريق الكلمة، وانصداع الوحدة، كفى ما نحن فيه من السعي وراء الغايات الشخصية، وإن كان في ذلك معصية..... وضياع بلادنا، والقضاء على مصالحنا، كفى ما نحن فيه من تزلف، ونفاق، وتنابذ، وشقاق، كفى يا إخوان، حانات الخمور مفتحة في الطرقات، تباع فيها العقول، ويشترى منها الجنون، كفى بيوت الزنا مفتحة الأبواب، مسهلة للزوار، وتنتهك فيها الأعراض.

أيها المسلمون لقد كنا للدين، فكان لنا، وكنا للقرآن مبجلين ومتبعين، فكان لنا منه النصر المبين، فلما تركنا الدين والقرآن جانبا، ولت عنا الدنيا، هاربة، وامتلكت نواصينا، وأصبحنا أذلاء غرباء، فلنرجع أيها الإخوان إلى القرآن، ولنتعاهد على إعلاء كلمة الدين، ولنطهر قلوبنا من سائر الأحقاد والأمراض.

لنتجنب الخيانة، ولنعتن بمصالح المسلمين، لنترك الخلافات الفرعية، جانبا، ولنعمل على توثيق عرى الرابطة بين سائر المسلمين.

إخواني بانقضاء هذا اليوم نودع هذا العام المبارك، ونستقبل عاما آخر جديداً، نطلب الله أن يجعله على المسلمين سعيدا، حتى يعود لهم مجدهم الأول، وإننا نذكر بقدومه هجرة المصطفى ﷺ، فنذكر معها مجداً تالداً وعزا خالدا، حيث كانت سببا في نصرة الإسلام، وتآخي المهاجرين والأنصار، فلنعمل على إحياء هذه الذكرى، ولنقم بواجب الدعاية لها، ولنتخذ هذا اليوم يوم عيد، ولنتآخ فيه مع بعضنا اقتداء بفعل نبينا.

وفي الختام نسأل الله أن يصلح حالنا وحال المسلمين، وأن يعيننا على خدمة ديننا الشريف، ويوفقنا لما فيه صلاح العباد والبلاد، والسلام عليكم ورحمة الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾

مرور سنتين على تأسيس جمعية المحافظة على القرآن الكريم

الحمد لله الذي أمر بالإخلاص في العمل، ورفع المخلصين إلى أعلى الدرجات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي بين لنا الطريق المستقيم. الذي دعا الناس إلى اتباع القرآن والعمل به، وأمرنا بتبليغه وتبيينه، حتى يعم العلم والعمل به سائر طبقات المسلمين.

أما بعد سادتي وإخواني، أحييكم أطيب تحية، وأشكركم كثيرا على تلبيتكم دعوتنا، ومشاركتكم لنا في هذا الحفل السعيد، الذي أقيم بمناسبة مرور سنتين على تأسيس هذه الجماعة المباركة، جماعة المحافظين على القرآن الكريم. ولقد برهنتم بذلك على تعاونكم معنا، وعطفكم علينا، وما تنطوي عليه نفوسكم من حب لمشروعنا وإعجاب به.

هذا وقد أبى الإخوان إلا أن أقول كلمة ولو قصيرة، أستفتح بها هذه الحفلة السعيدة، وأتكلم فيها بعض الكلام عن جماعتنا، وعلى غايتها، التي ترمي إليها وتتطلبها فأقول :

كان سلفنا الصالح يعتني بالقرآن الكريم أدق عناية، ويجاهدون في هذا السبيل أقوم جهاد، فكانوا يحفظونه في الصدور، ويرتلونه بتأن، ويجوّدون حروفه. فيفهمون معانيه وأسراره ومراميه، فيؤثر فيهم تأثيرا عظيما، ويملك مشاعرهم، فتراهم عاملين بما يأمر به، منتهين عما ينهى عنه، ساعين في رفع شأنه. جادين في تعليمه، ساعين في إرشاد الناس إلى العمل به، معتقدين أن الخير كل الخير في القرآن، معتقدين أن النجاح كل النجاح في إتباع القرآن، معتقدين أن الله ناصرهم إن هم اتبعوه، معتقدين أن

الله خاذلهم إن هم هجروه. لا يتزحزحون عنه قدر شبر، لا يميلون عنه قيد أنملة. إذا أقبلوا على قراءته، نسوا ما في هذه الدنيا المزخرفة من الملاعيب، وسمت روحهم إلى عالم آخر. فطهرت نفوسهم، وعلموا أنه كلام رب العالمين، الذي لا يخلق ولا يبلى. علموا أنه الكلام الذي فتح الله به أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا. علموا أنه كلام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد. علموا أنه الكلام الذي تحدى به الرسول العرب، علموا أنه الكلام الذي خاطب القلوب بالموعظة، والعقول بالدليل، ولفت النظر إلى ما في الكون من عبر وآيات، فانشرحت له صدورهم، وانفتحت له قلوبهم، فآمنوا بما فيه، وآمنوا بالذي دعا إليه. وسرت معانيه في عروقهم سريان الكهرباء في الأسلاك، فبعث فيهم إيمانا متينا، وبعث فيهم قوة لا تضاهيها قوة في العالم، وجمعهم بعد تفرق، وآخاهم بعد تقاطع، فانطلقوا في الأرض يبشرون. وانطلقوا في الأرض يدعون. يدعون الناس إلى اتباعه. يدعون الناس إلى الاهتداء بهديه، فآمن بما فيه خلق كثير، وصدقه ثلث المعمورة، وخضعت له أكاسرة الفرس، وخنعت له قياصرة الروم. كل هذا وهم لا يزيدون إلا إيمانا، به وهم لا يزيدون إلا خضوعا لأوامره.

هكذا كانوا، وهكذا فعلوا، فجزاهم الله على عملهم، والحمد لله على توفيقهم.

أما نحن فقد هجرنا القرآن ونبذناه وراء ظهرنا، هجرناه ونبذنا العمل به، وقصرنا في واجبنا نحوه، فخرسنا عن الدعوة، واشتغلنا بما لا يفيد، نسينا ما يعرض علينا، وعددنا الاشتغال به ضياعا للوقت، فنزع منا الإيمان، وكثر النفاق، واستولى علينا الجزع، وامتلكنا اليأس، وصرنا إلى ما نحن عليه وصدق علينا قوله تعالى : ﴿وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا﴾ كل هذا حل بنا ونحن في غفلة ساهون، كل هذا ونحن عن العمل متقاعسون، فلا سعي ولا عمل، ولا اتحاد ولا إخاء.

ولما أراد الله سبحانه التوفيق والهداية هيأ هذه الطائفة من الشباب وجمعها على كتابه وألف فيما بينها ﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين﴾

الآية، فصارت تجتمع كل يوم في بيت الله، تتلو كتاب الله، وتتدارسه بينها، وان في تلاوة القرآن لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، ففي كتاب الله نبأ ما قبلنا، وفيه خبر ما بعدنا، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة. (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت الآية) من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله.

وبعدما أتممنا السنة في هذا العمل الجليل، رأينا أن ننشئ هذه الجمعية، وكانت غايتنا من تكوينها وإيجادها، القيام بالدعوة الملقاة على عاتقنا، والعمل على توثيق الرابطة بيننا، وتبادل النصح لبعضنا، وإلقاء محاضرات وخطب إصلاحية، تغرس في الشباب روح الإيمان، وتنمي فيه روح الإحسان، وتربي نفسه على العمل لما فيه مصلحة أمته ودينه، حتى تتكون طائفة مؤمنة كاملة الإيمان، متخلقة بأحسن الأخلاق، عاملة بكتاب الله وسنة رسوله، ساعية في رفع منار الإسلام، والرجوع به إلى سالف مجده، تريد أن تكون كلمة الإسلام هي الكلمة العليا، تريد أن يكون المسلمون كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. تنظر إلى القرآن بعين ملؤها الإجلال والإعظام. تسعى أن تكون أوامره مطاعة في كل الأصقاع. تقبل نصح الناصحين المخلصين. تعمل لوحدة الشعوب الإسلامية، والارتباط بها. تدعو إلى الإصلاح. وإلى محاسن الأخلاق، تأمر بالمعروف، تنهى عن المنكر، وتحمل كل أذى في سبلها، لا تجارى السفهاء، لا تعتبر كلام الأغبياء، تبث الآداب الإسلامية، تريد أن تكون المثل الأعلى للشباب.

هذه بعض مبادئ الجمعية، وهي ولاشك مبادئ شريفة، جديرة بأن يتحلى بها كل إنسان، وهذه هي غايات أعضائها، الذين سيألون الجهد في نشرها، ويضحون في سبيلها بكل رخيص وغال.

وقد أدركنا والحمد لله أمنيتنا، وجنينا الثمرة المطلوبة. فقديما لم نكن نرى شبابا يجتمع لمثل هذه الغايات، واليوم ها نحن نراه بأعيننا، ونتمنى له كل توفيق وتقدم ونجاح. فالحمد لله على كل حال. وقبل الختام يجمل بنا أن نذكر أولئك الأشخاص الذين آزرونا وزودونا بنصائحهم الغالية،

وأعانونا في مشروعنا وهم : رئيس هذه الجمعية، الشرفي وحامل لوائها، المدافع عنها الخطيب المصقع السيد الحاج محمد عواد، والعضوان الشرفيان، الفقيه العدل السيد عبد الهادي أطوبي، والفقيه المدرس مولاي الشريف القادري، فقد كانوا رحمهم الله، لسان هذه الجمعية، الناطق بفضلها، والمبشر بدعوتها، فجزاهم الله خيرا، وأسكنهم أعلى عليين، مع النبيين والصديقين، كما لا ننسى دينك الشخصين اللذين ساعدانا على هذا العمل، في أول الأمر، وأعاناانا على تنفيذها، وهما السيد محمد المالقي، والمرحوم المعلم علال البقالي طيب الله ثراهما.

أما أخونا وصديقنا المرحوم السيد محمد السفياني، فقد كان رحمه الله من أفذاذ الجمعية، المضحين في سبيلها، فجزاه الله أحسن الجزاء.

إخواني، إني تارك لحضرات الخطباء بعدي تفصيل الكلام على هذه الجمعية، وما قامت به من الأعمال، وأختم كلمتي بالابتهال إلى الله أن يحفظ لنا ملكنا الهمام سيد محمد نصره الله، وأن يجعل لنا من ولي عهده الرجل القوي الموفق، وأن يحقق لنا الآمال. والسلام عليكم ورحمة الله.

خطاب في المسجد الأعظم بسلا

ذكرى المولد النبوي

الحمد لله على نعمة الإسلام، والصلاة والسلام على أشرف الأنام. سيد ولد عدنان، الذي أوضح للمسلمين مناهج الخير، وأبان لهم مسالك الرَّدى، ليتبعوا الذي هو أحسن، وليكونوا خير أمة أخرجت للناس، وعلى ءاله وأصحابه الذين نصروا الدين ونشروه، فكانوا أحسن الخلق أجمعين.

وبعد، فما من أمة إلا ولها أعياد ومواسم، تستروح فيها من نسيم الحياة، وتستريح إلى نعيمها، وتعد للمستقبل عدته من قوة وإعداد وعمل، وأعرق الأمم بالحياة، أحرصها على تلك الأعياد، وأشدها ارتقابا لها، واعتدادا بها، وأن فيها لتقويما وتعليما، وعظة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وأن أعيادنا معشر المومنين قليلة، إذا قيست بأعياد الأمم الأخرى، ومن جملتها عيد ميلاد أشرف الخلق، الذي أنقذ الله بسببه الأمم مما كانت متخبطة فيه من ظلمات الغواية. فلقد كانت أحوال العالم قبل ظهوره مضطربة اضطرابا لم يعهد له مثيل، إذ غيرت الكتب السماوية، وأصابها من التحريف ما أصابها، وحجبت كلمات الله عن العقول البشرية، وانحطت الأمم إلى مهاوي الرذيلة، وانقلبت الرذيلة فضيلة، وأقبل عليها الناس تقربا إلى الله، تنزه الله عما كانوا يفعلون، وكان الفرس والروم في حروب مستمرة، ذهبت بقوة الغالب والمغلوب، والشقاق حل بيد الأفراد والجماعات، محل الألفة والوئام، ووقفت العقول عن التفكير، واستعبد أصحاب الأموال، الفقراء بالربا الفاحش.

تلك حالة الأمم قبل بعثة هذا النبي الكريم، قد غمرتها أمواج الجهالة، وغشيتها سحب الضلالة، وكان هذا العالم بأسره يتشوق مشرئبا إلى من ينقده من المرض، ويعالجه من أسقامه، فأرسل الله لتلك الأمم مصلحا كبيرا، ومرشدا عظيما، وإماما عادلا، وقائدا راحما، آخر مبعوث وأفضل مرسول، ذلك النبي هو محمد ﷺ، أرسله رحمة للإنسانية المعذبة، وعاطفا على تلك البشرية المضطهدة، قال تعالى : ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾، ولد رسول الله يتيما، إذ توفي والده قبل أن يولد، ولم يترك له من المال إلا خمس إبل، وبعض نعاج، وجارية، فأرضعته حليمة السعدية، فشرب اللبن وترعرع في البادية، ولما بلغ سنه السادسة من عمره، توفيت أمه آمنة، فاحتضنه جده عبد المطلب، وبعد سنتين من كفالته توفي جده أيضا، فكفله عمه أبو طالب، وكان يحبه حبا جما. ولما بلغ سنه الخمس والعشرين، تزوج بخديجة بطلب منها. وكان ﷺ كلما تقدم في السن، نمى في قلبه حب الخلوة والانفراد، فكان يخلو بغار حراء، يعبد الله فيه، ويفكر في صنع الله الجميل، وخلقه المتقن، وفي حال أمته، وما هي عليه من الجهل والضلال، ولما بلغ سنه الأربعين، نزل عليه الوحي في ذلك الغار، وأمره الخالق بقوله : ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾، فرجف بها فؤاده، ورجع إلى خديجة خائفا، وقد فتر الوحي، ثم عاد يأمره الله العظيم بقوله : ﴿يا أيها المدثر﴾، الآية، فقام إذ ذاك الرسول بجأش ثابت إلى تلك الأمم البعيدة عن مناحي الدين والأخلاق، وطفق يدعوهم إلى توحيد الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فلبى دعوته أناس، ونفر عنه آخرون، ووضعوا في سبيل دعوته كل عقبة كئود، ونالوه بضروب من الأذى، لا يطيقها أحد في العالم أبدا، ومع ذلك كله فلم يفتر له عزم، وما فترت له قوة في سبيل التبليغ ونشر الدعوة، وأظهر منتهى الجلد والصبر والثبات، لما فوجئ بموت أبي طالب عمه وملاذه، وبموت خديجة زوجته، التي واصلته بحبها ورقة نفسها، وطهارة قلبها، وقوة إيمانها، فكانت تهون عليه كل شدة، وتزيل عن نفسه كل وحشة. وما أن فقد النبي هذين النصيرين، حتى بدأت قريش تزيد في إيذائه، وأيسر ما كان يذوقه من سفهاء قريش، رمي القاذورات على رأسه، فكانت

ابنته فاطمة تزيلها وتغسله باكية بدموع حارة، تفتت الكبد، وتكلم الفؤاد، وليس أوجع للنفوس من أن يسمع الأب بكاء أبنائه وبناته، فلله تلك النفس المطمئنة الطاهرة القوية، التي بلغت من مراتب اليقين أعظمها رقيا، وأسماها جلالا، وفيا لله من ذلك الثبات والصبر الجميل، الذي لم تزده المصائب إلا عزا وقوة بمعونة الله، ووثوقا بنصره إياه، ولقد قال لابنته : لا تبك يا بنية، فإن الله مانع أباك، ومازال النبي يجاهد في سبيل الدين، وتحرير الإنسانية، حتى بدت تباشير الفوز والنجاح، وأحرز في عشر سنوات من النصر والمجد، ما تعجز عنه الملوك في مئات القرون وآلاف السنين. ولقد كان ﷺ متصفا بأسمى الأخلاق الحسنة، متجافيا عن كل نقيصة، متباعدا عن كل عيب، وقد اشتهر ﷺ بالصدق والأمانة، حتى كانت تسمِّيهِ قريش «الأمين» واشتهر بالثبات والصبر، وحسبك دليلا على ذلك صبره على مناوأة قريش له، وقد اشتهر بالحلم والشفقة، ونال من العداوة والأذى ما الله به عليم : وكان عليه السلام نصير الحق، شديد العدل، فقال لقومه : لقد شقيت إن لم أعدل، وكان عليه السلام متواضعا كثيرا، وديموقراطيا عظيما، وكفى قوله لأبي هريرة حينما أراد أن يحمل، سراويل له اشتراها فأبى وقال : صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله إلا أن يكون ضعيفا يعجز عنه فيعينه المسلم، وكان عليه السلام شديد الشجاعة، عليما بالسياسة، وحسبك من ذلك برهانا، أنه قضى في مدة وجيزة على دولتين من أعظم دول العالم، وهما الروم والفرس، إلى غير ذلك من الصفات السامية، والأخلاق العالية، التي لابد منها لمن يقود الشعوب، ويرشد الأمم وحسبك قول الله له : وإنك لعلى خلق عظيم، وقوله عليه السلام بعثت لأتمم مكارم الأخلاق.

وإلى هنا تقف العقول حائرة في هذا النبي الكريم، والرسول الأعظم، أمي لا يقرأ ولا يكتب، كان يدعو قومه إلى فهم ما يقرؤون ويكتبون، أمي لا يقرأ ولا يكتب، أتى بمعجزة القرآن التي سجدت لفصاحته البلغاء، وطأطأت لبلاغته رؤوس الكتاب والشعراء، وما قدر ولن يقدر أن يأتي أحد من الإنس والجن بمثله إلى يومنا هذا وأبدا، أمي تسنَّم السياسة، وبلغ مقاليدها، وظهر بمظهر عظيم، أدهش العالم بأسره، حتى تضعضعت خوفا

منه أركان القياصرة والأكاسرة، أمي كان لا يتكلم إلا بالحكمة وفصل الخطاب، أمي أخرج العالم أجمع من طور الجهل والهمجية، إلى طور العلم والمدنية، ووضع لهم دستورا قيما، وقانونا محكما، قرآنا عربيا، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، يواجه الإنسانية في كل عصر، ويصافح المدنية جنبا إلى جنب.

نعم، كان ذلك برهانا قاطعا، ودليلا صادقا، على صحة نبوته، وصدق رسالته، أليس ذلك حجة بالغة بأن جميع ما أتى به من عند الله، وبعون الله فجدير بالمسلمين أن يحتفلوا بمولد هذا المنقذ العظيم، والمرشد الكبير، جدير بهم أن يحتفلوا بهذا اليوم المجيد، الذي نشرت فيه شموس الهدى خيوطها، وتحررت فيه النفوس من الضغف والهوان، وتخلصت الإنسانية من ظلمها جدير بالعالم أجمع، أن يتبع سنن هذا النبي الأمين ويتبع سنن هذا المرشد، إن أراد الرقي الحقيقي الدائم، والسلم العام، ويتخلق بأخلاقه الحميدة، ويتمسك بأهداب دينه الذي اصطفاه الله لخلقه قال تعالى : ﴿ومن يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه﴾ وقال ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾.

أيها المسلمون، إن تعدوا نعمة الله لا تحصوها، لقد أرسل الله لكم محمدا أفضل من طلعت عليه الشمس، رسولا اختار لكم الإسلام خير أديان البشرية دينا، وتخلق سلفكم الصالح بخلق ذلك المنقذ العظيم، وتمسكوا بأهداب ذلك الدين القويم وبذلك.... بنوا عزا.. ومجدا طاول الثريا، كما بين ذلك التاريخ، أما نحن فقد تركنا الدين وراء أظهرنا، وتركنا كل ما أمرنا به، وارتكبنا كل ما نهانا عنه، تركنا كل ما أمر به من الاتحاد والتضامن، والتعاضد والمحبة، وإنصاف ذوي الحقوق، فانفرط عقدنا وتفرقت كلمتنا وأصبحنا أعداء بعضنا، يفتك المسلم بأخيه المسلم، وينتهك المسلم عرض أخيه، ويخونه في ماله، ولا يغيثه عند اللهفة، ويستعين عليه بعدوه حتى أضعفنا أنفسنا بأيدينا، وفرقنا شملنا بأعمالنا، وأضعنا سيادتنا بالانتماء لأعدائنا، وفرطنا فيما كان لنا من العز والجاه، ولم نفق من غفلتنا إلا بعد أن أصبحنا عبيدا لغيرنا، مستعبدين في أوطاننا، نعم تركنا آداب ديننا، وأهملنا العمل بها، فأصبح الزنا منتشرا بصورة مخزية، وفتحت الخمارات حتى بجانب

مساجدنا، ورخص لبيوت الدعارة جهارا، وانتشر الفسق والفجور، وتركت الصلاة، ومنعت الزكاة، واستولى الران على القلوب، وضعف الإيمان، وعدمنا كل قوة لنا، وأصبحنا غرباء في ديارنا، وتوالت علينا المصائب من كل جهة، أهملنا القرآن وأهملنا العمل به، وصار يصدق علينا قول الله تعالى : ﴿وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا﴾.

فلنرجع أيها الإخوان إلى القرآن نهتدي بأوامره، ولنتعاط على نصرته والعمل به ما استطعنا، لنحارب الزنا والخمور، لنقم قومة رجل واحد لإصلاح أحوالنا، ونرشد إخواننا، حتى يرجعوا عما هم عليه، لنطهر قلوبنا من سائر الأحقاد والأمراض، لنتجنب الخيانة، ولنعتن بمصالح المسلمين في سائر بقاع الأرض، لنترك الخلافات الفرعية جانبا، ولنعمل على توثيق عرى الرابطة بين سائر المسلمين، لنراقب الله في أعمالنا، لنتعاهد أبناءنا ولنعلمهم تعليما دينيا، لنحافظ عليهم أشد المحافظة، ليكونوا على بينة من أمور دينهم، لنأمر بالمعروف ولننه عن المنكر، ولا نخشى في الحق لومة لائم، لنتدبر قرآننا الكريم، ولنعلم أن ما نحن عليه الآن من الذل والهوان، هو بسبب أفعالنا «وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلُها مصلحون»، لنقتد بنبينا، لنسع بالوفاق لنصلح... البين، والقضاء على الحزازات التي في الصدور..... ولنعمل بقول الشاعر :

نبني كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثل ما فعلوا

أيها المسلمون، إن خير الأعياد ما يعيد إلى الذاكرة.. ماله شأن في تاريخ الأمة، ولا ريب في أن يوم عيد ميلاد أشرف الخلق، لأكبر عيد إسلامي يذكرنا بعظمة الإسلام والدين، وأن إحياء ليلة ميلاد أشرف المرسلين، قيام ببعض ما يجب علينا من تذكر أحوال نبينا، ويوم عيدنا الحقيقي هو اليوم الذي نعمل فيه جميعا على استرداد عزنا المفقود، واسترجاع عزنا المنشود، هو اليوم الذي يسترد الإسلام فيه مكانته، ويسترجع قوته وعظمته، هو اليوم الذي يضحي فيه المسلم بروحه وماله في سبيل إعزاز دينه وإعلاء شأنه، ورفع منارته، هو اليوم الذي لا يخشى فيه

المسلم غير ربه، إذ يقول الحق لا يبغي به بديلا، ويعمل على تحقيقه ما استطاع إلى ذلك سبيلا، هو اليوم الذي ننتزع فيه بذور الأحقاد والأضغان من صدورنا، ونبذر فيه بذور الحب والإخلاص لبعضنا، ذلك هو اليوم الذي يسمى عيدا، وذلك هو الذي يكون فيه المسلم سعيدا.

أيها المسلمون ليس الاحتفال بذكرى المولد أن نشعل مصابيح في شوارعنا، ونترنم بسماع الأناشيد في مجالسنا، بل الذكرى هي أن يتذكر كل واحد منا، ويبكي بدمع الأسف مجدا ضاع، وعزا فقد. إنما نحتفل لنرى كيف كنا، وإلى أي حالة صرنا، وإنما نحتفل بهذه الذكرى، لنذكر ما كان عليه ذاك النبي العربي، من خصال سامية، وصفات حميدة، لنتخلق بخلقه، ونتبع سنته، ونستميت في سبيل التمسك بشرعه، والدفاع عن دينه، أيها المسلمون إن في الأفق نسمات أمل لطيفة العليل، وفي الجو بارقات حركة تدل على اليمن والبركة، ولكن هناك عقبات دونها المخاطر والأهوال، وليس ثمة من وسيلة تنقد الأمة من براثن المهاوي والأهوال. فتنشلها، إلا رجوعنا إلى شرعتنا السموح، وتمسكنا بأوامر خالقنا ورازقنا، وتمشيا على سنة نبينا، هذا هو الدواء الحقيقي والقرآن دستورنا، إن أردنا العز. وإلى إحياء شريعتنا الإسلامية، والسنة النبوية إن ابتغينا المجد والفوز، وإلى توحيد الكلمة، وتنظيم العمل، وتطهير القلوب، أدعوكم يا بني أمتي.

وفي الختام، نطلب من الله الكريم المتعالي، أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وأن يجعل كل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وأن يعيننا على نصرة الإسلام ويحفظنا.

وأغتنم هذه الفرصة لأزفّ إلى المسلمين عامة، خالص التهنئات بهذا العيد السعيد، وأدعو الله أن يجعله فاتحة عهد جديد، وأن يؤيد فيه الإسلام وينصره، ويخذل الكافرين والمنافقين، وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، ويجعل كل أفعالنا وأقوالنا خالصة لوجهه الكريم، بحق منقذ العالم من الضلال، سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

خطاب في مسجد سيدي أحمد حجي

ذكرى المولد النبوي

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ والصلاة والسلام على المرسل رحمة للعالمين، الداعي إلى الحق وإلى الصراط المستقيم.

سادتي وإخواني.

في مثل الليلة الماضية منذ ألف وأربعمائة وثمانية أعوام، اهتز العالم بأجمعه هزة عنيفة، كان لها تأثير عظيم في أعماق النفوس، واتصال وثيق بحياة القلوب، في تلك الليلة هتف هاتف أن بزغ في سماء الوجود هلال وضاء، لا نظير له في عالم الكائنات، ولأجله كانت هذه الموجودات، في تلك الليلة سطع نور على وجه الأرض، نفذت أشعته القوية إلى مروج الظلم فدكتها، وإلى أفئدة الجبابرة فلينتها، وإلى أصنام الشرك فحطمتها، في تلك الليلة، سمعت الأرواح صوتا عاليا ينبعث من عالم المعنويات، ينادي : يا أيها الناس طيبوا نفوسا، وقروا عيونا، فلقد ولد اليوم منقذ الإنسانية من الضلال، ومرشد الخلق إلى محجة الصواب.

في تلك الليلة ولد الرسول المحبوب، سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، الذي نحتفل اليوم بذكرى مولده الشريف، إن هذا الطفل الذي ولد، سيكون له شأن عظيم. ويحمده أهل الأرض، كما يحمده أهل السماء. إذ يأتي بمكارم الأخلاق، وجلائل الأعمال، وتجتمع له صفات لا تجتمع في غيره أبدا، فيكون صادقا أمينا، ويكون حليما رحيما. قوي العزيمة، صلب الإدارة. تهابه الملوك والعظماء، وتدين لعظمته العروش وتعنو لجلاله الصوالج والتيجان.

لقد ولد المصطفى، والعالم في فوضى واضطراب، فهناك حرب مستعرة بين القبائل وبين الملوك. وهناك بنات مظلومات، يحفر لهن قبور يُأذن فيها، وهناك موؤودات، ولا يعلمن ماذا ارتكبن ؟ هناك بنت الحان تصنع بالعقول ما تصنع، فتفسد الأخلاق، وتضيع الأموال، وتهتك الأعراض، وتجلب كل الأوصاب والأمراض، هناك الإباحة السافرة، والفضيحة والعار، هناك خشونة في الطباع، وسجود لمعبودات ما أنزل الله بها من سلطان. هناك قسوس ورهبان، يعتقدون أنهم يحللون ويحرمون، ويعفون ويغفرون، فضلوا وأضلوا، وسلكوا طريق الاعوجاج. في هذا الوسط المملوء بالآثام. وعطفا على تلك البشرية المضطهدة، بزغ نور النبي محمد ﷺ، وكان ذلك في صباح اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام الفيل.

لقد ولد النبي من أبوين كريمين، فأبوه عبد الله بن عبد المطلب، زعيم قريش وسيدها، وأمه آمنة بنت وهب سيد بني زهرة نسبا وشرفا. تزوج أبو الرسول وهو في الثامنة عشرة من عمره بآمنة، فحملت منه بسيد الخلق، وتوفي عبد الله وآمنة لازالت لم تضع، فتألم عبد المطلب لوفاة ولده ألما ممضا، أثار الشجون، وأسال العيون. وبعد وفاته بمدة وضعت آمنة وليدها سيدنا محمد يتيما، فأرضعته أياما معدودات، ثم حملته حليمة السعدية إلى مستقرها، قريرة العين به، إذ درت عليها البركات، وتوالت عليها النعم مدة وجوده معها. وما كاد ﷺ يتم سنتي رضاعه، حتى رجعت به إلى أمه وهي جد حريصة على بقائه عندها. ولذلك طلبت من أمه أن تعود به إلى البادية، فأذنت لها، ولمّا رجع إلى أمه، وقعت حادثة شق الصدر. ولما بلغ السنة السادسة أخرجته أمه إلى أخواله بالمدينة، فتوفيت بالأبواء، وحضنته أم أيمن رضي الله عنها، كما كفله جده عبد المطلب، وبعد سنتين من كفالته، توفي جده أيضا، فكفله عمه أبو طالب، وكان يحبه حبا جما. وفي السنة التاسعة من عمره سافر إلى الشام مع عمه أبي طالب، كما سافر مرة أخرى بتجارة خديجة بنت خويلد، صحبة غلامها ميسرة، وكان له من العمر إذ ذاك خمسة وعشرين سنة. وبعد رجوعه من تجارته، خطبته السيدة خديجة لنفسها، لما رأت من أمانته وطهارته وسهولة معاملته، فرضي المصطفى بزواجها، وعاش معها على أتم وفاق وألفة، وصفاء وغبطة، ولقد كان يحبها محبة عظيمة، ولذلك لم يفكر في الزواج بغيرها، حتى وافتها منيتها ولقد

قال في شأنها : ءامنت بي حين كفر بي الناس، وصدقتني حين كذبني الناس، وأعطتني مالها حين حرمني الناس.

وفي السنة الخامسة والثلاثين من عمره، صدع سيل جارف جدران الكعبة، فصارت قريش تبنيها، والرسول يشاركهم، ولما أرادوا وضع الحجر الأسود، اختلفوا فيمن يضعه، حتى كاد ينجم عن خلافهم قتال، لولا أن حكموا الذي كانوا يدعونه بالأمين عليه السلام.

وكان ﷺ كلما تقدم به السن، نما في قلبه حب الخلوة والانفراد، والانقطاع إلى مراقبة الله، والتعبد بمناجاته، فكان يخلو بغار حراء الليالي ذوات العدد. ولما بلغ الأربعين، نزل عليه الروح الأمين وأمره بقوله : ﴿اقرأ باسم ربك﴾ الآية فرجف بها فؤاده، ورجع إلى خديجة خائفا، وفتر الوحي مدة، ثم عاد فأمره الخالق العظيم بقوله : ﴿يأيها المدثر قم فأنذر﴾. فقام الرسول بعزيمة ثابتة، إلى تلك الأمم البعيدة عن الدين والأخلاق، وطفق يدعوهم إلى توحيد الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فلباه أناس، ونفر عنه آخرون، ووضعوا في سبيل دعوته كل عقبة كؤود، ونالوه بضروب من الأذى لا يطيقها أحد، ومع ذلك لم يُثن له عزم، ولم تفتر له قوة، في سبيل التبليغ ونشر الدعوة. وابتدأت الدعوة سرا، خوفا من مفاجأة الناس بأمر غريب، ثم أمره الله بالجهر بقوله : ﴿فأصدع بما تومر، وأَعرض عن المشركين﴾ فلبى داعي الله، وخاض غمرات الدعوة، ودعا الناس إلى عبادة الله وحده، وأن يتركوا ما كان عليه ءاباؤهم من الشرك، والكفر، وعبادة الأوثان، ودعاء الأصنام، فكان ﷺ يطوف على الناس في منازلهم يقول : يأيها الناس إن الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأبو لهب وراءه يقول : يأيها الناس ان هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم.

وفي السنة الخامسة من النبوة، أمر الرسول أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، وهي أول هجرة في الإسلام، وعدة أصحابها عشرة رجال، وخمس نسوة، وفي السنة نفسها، أسلم سيدنا حمزة، وسيدنا عمر بن الخطاب، الذي أيد الله به الإسلام، وجعله فاروقا بين الحق والباطل، وكان المسلمون إذ ذاك بضعة وأربعين رجلا، وإحدى عشرة امرأة. ولما مضت على نبوته سبع سنوات، أمر أصحابه بالهجرة الثانية للحبشة، وعدد

المهاجرين 83 رجلا، وثماني عشرة امرأة، فاستقر المسلمون بالحبشة، ورحب بهم النجاشي، وأكرم مثواهم. ولقد أرادت قريش أن تغري النجاشي، فأرسلت إليه بهدايا وتحف، رجاء أن يرد المسلمين، فأبى وأسلم لما دعاه النبي إلى الإسلام، ثم مات مسلما، وصلى عليه الرسول، لما أعلمه جبريل بموته، وهذه هي أصل صلاة الجنازة على الغائب.

وفي السنة العاشرة، فوجئ ﷺ بموت خديجة، الزوجة الصالحة، وبعد وفاتها بشهرين، توفي عمه أبو طالب، وكان يدرأ عنه الأعداء ويمنعه ممن يريد أذاه، وما أن فقد النبي هذين النصيرين، حتى بدأت قريش تزيد في إيذائه، وهو لا يزيد إلا ثباتا، رماه بعض سفهاء قريش يوما بقاذورات على رأسه، فكانت فاطمة تزيلها وهي تبكي، فقال لها : لا تبك يا بنية فإن الله مانع أباك. ولما اشتد أذى قريش على الرسول، هاجر إلى الطائف، ومعه زيد بن حارثة، فأقام بها شهرا يدعو بني ثقيف، فلم يجيبوا، بل بالغوا في إيذائه، فرجع إلى مكة حيث أكرمه الله بالإسراء والمعراج. وكان في السنة الحادية عشرة. ولما حالت قريش بين الرسول وتأدية الرسالة، صار ﷺ يخرج إلى مواسم العرب، ويعرض نفسه على القبائل. فكلم النبي يوما نفرا من عرب يثرب، يبلغون الستة، ودعاهم إلى الإسلام فقال بعضهم : إنه النبي الذي كانت تعدكم به يهود، فلا يسبقنكم إليه، فآمنوا به وصدقوه، وقالوا : انا تركنا قومنا بينهم من العداوة والبغضاء، فإن يجمعهم الله عليك، فلا رجل أعز منك. وكان هؤلاء الستة، سبب انتشار الإسلام في المدينة. ولما كان العام القابل، وهو العام 12 للنبوة، لقيه اثنا عشر رجلا 10 من الأوس، و2 من الخزرج. فاجتمعوا عند العقبة، وأسلموا وآمنوا، ثم انصرفوا إلى المدينة، ومعهم مصعب بن عمير، وعبد الله بن أم مكتوم يقرآنهم القرآن، ويفقهانهم في الدين. ولقد حدث أن قال سعد بن معاذ رئيس قبيلة الأوس، لأسيد بن حضير : ألا تقوم إلى هذين الرجلين اللذين أتيا يسفهان ضعفاءنا، لتزجرهما، فقام لهما السيد بحربته، ولما وقف عليهما قال : ما جاء بكما تسفهان ضعفاءنا، اعتزلا ان كان لكما بأنفسكما حاجة، فقال مصعب : أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمرا قبلته، وإن كرهته كففنا عنك ما تكره، فجلس وقرأ عليه مصعب آيات من القرآن، فأخذت بمجامع لبه، وسيطرت عليه روحانية القرآن، فما قام حتى دخل في دين الإسلام، ثم رجع إلى سعد قال : والله ما رأيت

بالرجلين بأسا، فغضب سعد، فقام لهما متغيظا، ففعل معه مصعب مثل ما فعل مع صاحبه، فلم يلبث أن صار يقول : أشهد الله أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله ثم رجع إلى قومه قائلا : رجالكم ونساؤكم على حرام، حتى تسلموا، فلم يبق بيت من بيوت بني عبد الأشهل إلا أجابه.

وفي السنة الثالثة عشر للنبوة، وقف على النبي منهم سبعون رجلا فأسلموا، وبايعوه عند العقبة، وهي العقبة الثانية، ولقد حضر في هذه البيعة مع النبي، عمه العباس، وكان لم يسلم، وخاطب المدنيين قائلا : إن كنتم ترون أنكم وافون بما وعدتموه، فإنه لبمكان عظيم، فقال كبيرهم : والله لو كان لنا في أنفسنا غير ما ننطق به لقلناه، ولكنا نريد الوفاء والصدق، وبذل مهجنا دون رسول الله. ثم نقب عليهم الرسول اثني عشر نقيبا، لكل عشيرة نقيب، وانصرفوا إلى المدينة، فازداد الإسلام بها انتشارا، وصارت الدور لا تتحدث إلا عن محمد، وعن دين محمد، وعن تعاليم محمد.

ولما رأى كفار قريش، أن الإسلام بدأ ينتشر، بالغوا في إذاية الرسول وصحبه الكرام، فأمر عليه السلام المسلمين بالهجرة إلى المدينة، وكان أول من خرج أبو سلمة المخزومي، ثم صار المسلمون يتسللون ويخرجون، حتى لم يبق بمكة إلا القليل، وإذ ذاك تحير قريش فاجتمعوا بدار الندوة وقرروا قتل الرسول، وتفريق دمه بين القبائل، فكانت المعجزة، إذ أعلم الله نبيه بما دبره له أعداؤه من الكيد، وأمره باللحاق بدار هجرته، وهي الدار التي ينتشر فيها الإسلام، ويكون فيها للرسول العزة والمنعة. فخرج الرسول من مكة في الليلة التي التف فيها الشبان حول داره لاغتياله، فألقى الله عليهم النوم، ولم يره أحد منهم (وجعلنا من بين أيديهم الخ) ولم يزل عليه السلام سائرا إلى أن التقى مع صاحبه الصديق، فسارا حتى دخلا غار ثور، واختفيا فيه. أما المشركون فإنهم لما علموا بفساد مكرهم، هاجوا وماجوا، وأرسلوا الطلاب إلى كل جهة، وجعلوا لمن يأتي به أو يدل عليه، مائة ناقة، فقام سراقة، وركب فرسه، ثم سار مقتفيا آثار النبي وصاحبه، ولم يزل سائرا حتى دنا من الرسول، فعثرت به قوائم فرسه، فسقط ثم ركب، وواصل السير، حتى صار يسمع تلاوة الرسول، وأبو بكر يكثر من الالتفات، خوفا على رسول الله من أعدائه الماكرين، ولما قرب سراقة منهما، وظن أنه فاز

بالمائة ناقة، ساخت قوائم فرسه في الأرض، وسطع غبار في السماء، مثل الدخان، فعلم سراقة أن عمله ضائع، وداخله رعب عظيم، فصار ينادي طالبا الأمان، فأمنه الرسول. يقول سراقة : وقع في نفسي حين لقيت ما لقيت، أن سيظهر أمر رسول الله، فصرت أخبره بما اتفق عليه كفار قريش، وصرت أتحدث إليه بكل ما وقع. ولم يزل عليه السلام مواصلا السير، حتى بلغ قباء، يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول، على أحد القولين وهو أول تاريخ جديد لظهور الإسلام، ولكنه رد إلى المحرَّم، في خلافة عمر بن الخطاب. نزل ﷺ بقباء، على شيخ بني عمرو، وبنى مسجدها الذي وصفه الله بأنه أول مسجد أسس على التقوى، وصلى فيه بمن معه من المهاجرين والأنصار، ثم برح قباء، فأدركته الجمعة في الطريق، فنزل وصلاها، وهي أول جمعة في الإسلام، ثم توجه إلى المدينة، والأنصار محيطون به، متقلدون سيوفهم، والمسلمون في سرور. وقد خرج لملاقاته النساء والصبيان والولائد ينشدن :

طلع البدر علينا الخ. ثم دخل المدينة، وسار كل من مر على داره يتضرع إليه أن ينزل عنده، إلى أن وصل إلى دار أبي أيوب الأنصاري، فبركت الناقة فقال عليه السلام هاهنا المنزل إن شاء الله (رب أنزلني منزلا مباركا الخ) فصار يفخر ولائد بني النجار ويقلن :

نحن جوار من بني النجار يا حبذا محمد من جار

أما المهاجرون، فقد تنافس فيهم الأنصار، فحكموا القرعة بينهم، فما نزل مهاجر على أنصاري إلا بقرعة. ولقد كان الأنصار يوثرون المهاجرين على أنفسهم وفيهم نزل : ﴿والذين تبوؤوا الدار والإيمان الخ﴾ ولما استقر عليه السلام بالمدينة، أرسل زيد بن حارثة، وأبا رافع إلى مكة، ليأتيا بمن تخلف من أهله، وأرسل معهما عبد الله بن أريقط، يدلهما على الطريق، فقدما بفاطمة، وأم كلثوم، وغيرهما.

أما المشركون فقد منعوا بعض المسلمين من الهجرة، وحبسوهم وعذبوهم، فكان عليه السلام يدعو لهم في صلاته، وهذا أصل القنوت. ثم

شرع عليه السلام في بناء مسجده الشريف، وعمل فيه بنفسه، ترغيبا للمسلمين في العمل، وصاروا يرتجزون وهو يقول معهم : اللهم لا خير إلا خير الآخرة، فارحم الأنصار والمهاجرة، أما يهود المدينة، فلما رأوا أن قدم الإسلام قد رسخت، هاجتهم العداوة والحسد، فتحزبوا على المسلمين، وعقد الرسول معهم معاهدة على أن يتركوا أذاه، ويترك محاربتهم، ثم شرع القتال بعد ذلك ونزل : ﴿أذن للذين يقاتلون الخ﴾ ثم قاتلوا في سبيل الله، فكانت الغزوات، وكان من جملتها غزوة الفتح، التي أيد الله فيها رسوله، ففتح مكة، وهدم الأصنام، وخضعت له قريش، واستسلمت، وبذلك علت كلمة الإسلام، وصار الناس يدخلون في دين الله أفواجا.

ولما علت كلمة الإسلام، وأمنت الطرف من قريش، صارت تفد على النبي الوفود من كل جهة، ثم أنفذ النبي رسله إلى مختلف الأقطار، وأرسل البعوث إلى ملوك الفرس، والروم، ومصر، والحبشة، فأسلم بعضهم، ورد البعض ردا حسنا، واستكبر البعض وتجبر.

وفي السنة العاشرة من الهجرة حج رسول الله حجة الوداع، وخطب خطبة في عرفة، ودع فيها المسلمين وبين فيها أصول الدين وفروعه، ولقد قال فيها : أما بعد أيها الناس، اسمعوا مني أبين لكم، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، في موقفي هذا. أيها الناس إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم، إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، الا هل بلغت اللهم فاشهد.

إلى أن قال أيها الناس إنما المومنون إخوة، ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس، ألا هل بلغت، اللهم فاشهد، فلا ترجعن بعدي كفارا، يضرب بعضكم رقاب بعض، فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا بعدي، كتاب الله، ألا هل بلغت، اللهم فاشهد. أيها الناس ان ربكم واحد، وأباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، ان أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي فضل على عجمي، إلا بالتقوى، ألا هل بلغت، اللهم فاشهد. وفي هذا اليوم نزل قوله تعالى : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ وبذلك أكمل الرسول شعائر الإسلام، وأتم رسالته على أكمل وجه، ثم عاد إلى المدينة،

ولما رآها كبر ثلاثا وقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، آيبون تائبون، عابدون، ساجدون لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وحزم الأحزاب وحده.

وبعد عودته من الحج، مرض ثلاثة أيام، ولما اشتد عليه المرض، قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، رجع رسول الله من البقيع، وأنا أجد صداعا في رأسي، وأنا أقول : وارأساه، فقال : بل أنا والله يا عائشة وارأساه، واشتد به وجعه، وهو في بيت عائشة، وخرج يمشي بين رجلين من أهله، أحدهما : فضل بن عباس، والآخر علي بن أبي طالب، عاصبا رأسه، تخط قدماه، حتى دخل بيت عائشة رضي الله عنها.

وفي يوم من أيام شكواه، اجتمع نفر من المسلمين في بيت عائشة، فرحب بهم رسول الله ﷺ وحياهم، ودعا لهم بالهدى والنصر والتوفيق، وقال : أوصيكم بتقوى الله، وأوصي الله بكم، وأستخلفه عليكم، إني لكم منه نذير مبين، ألا تعلو على الله في عباده وبلاده، فإن الله قال لي ولكم : ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا، والعاقبة للمتقين﴾، وقال : ﴿أليس في جهنم مثوى للمتكبرين﴾.

وثقل به ﷺ وجعه، فقال : أصلى الناس ؟ قلنا : لا، هم ينتظرونك يارسول الله ! فقال : ضعوا لي ماء في المخضب، ففعلوا، فاغتسل، ثم خطب لينوء، فأغمي عليه، ثم أفاق، فقال : أصلَّى الناس ؟ قالوا : هم ينتظرونك يارسول الله ! والناس عكوف في المسجد، ينتظرون رسول الله ﷺ لصلاة العشاء، فأرسل رسول الله ﷺ إلى أبي بكر، بأن يصلي بالناس قائلا : مروا أبا بكر فليصل بالناس.

وكانت عامة وصية رسول الله ﷺ، حين حضرته الوفاة : (الصلاة وما ملكت أيمانكم) حتى جعل يغرغر بها صدره، وما يكاد يفيض بها لسانه. وكانت آخر كلمة تكلم بها قبل وفاته : (اللهم الرفيق الأعلى). وكانت وفاته عليه السلام يوم الاثنين 13 ربيع الأول سنة 11 للهجرة الموافق 8 يونيه 633م وكان عمره 63 سنة قمرية.

بعد أحداث الظهير البربري
1933-1932

بعد الأحداث الهامة التي هزت المغرب والعالم الإسلامي، بمناسبة صدور الظهير البربري، وبعد نفي بعض القادة الذين تزعموا حركة مناهضة السياسة البربرية، صرنا ننظم بعض الاتصالات، ونتذاكر حول قضايا وطنية عامة. كما كنا نغتنم فرصة ذكرى 16 ماي، لنجدد احتجاجنا ضد الظهير البريري، بواسطة ذهابنا إلى المسجد، وتلاوة القرآن الكريم، وقراءة اسم الله اللطيف، ثم توزيع منشورات بطريقة البريد أحيانا، وبطريقة سرية أحيانا أخرى، تستنكر صدور الظهير البريري، وتهيب بالمغاربة أن يقفوا صفا واحدا ضد السياسة البربرية.

وفي سنة 1932 سُرِّحَ المعتقلون من أجل الاحتجاج ضد السياسة البربرية، فنظمنا اتصالا مع الإخوان الرباطيين، وعلى رأسهم الأخ محمد اليزيدي الذي كنت أزوره كل يوم خميس بانتظام، كما كنت أجتمع أسبوعيا تقريبا مع الشيخ المكي الناصري عندما يكون بالرباط.

وفي هذه الفترة أي سنة 1932 صدرت مجلة «مغرب» الفرنسية بفرنسا، أصدرها الأستاذ بلافريج، بمساعدة لجنة من الفرنسيين، ولقد كانت المجلة تصلنا بعدة طرق، فكنا نوزعها على بعض الأشخاص، ونجمع لها الاشتراكات، ونساعدها جهدا ستطاعتنا.

والواقع أن صدور المجلة المذكورة كان له أثر بيِّن في التعريف بالقضية المغربية في الأوساط الفرنسية، وفي الأوساط المغربية التي تحسن الفرنسية. ولقد صدر أمر بمنع المجلة المذكورة من الدخول إلى المغرب، فقامت قيامة لجنة رعايتها، واحتجت لدى الحكومة الفرنسية التي كان يرأسها إدوار هيريو. فكان أن رفع المنع، وصارت تدخل من جديد.

أخذت هذه الصورة بمنزل ال حجي بسلا بمناسبة مرور سنة على إصدار جريدة «مغرب» سنة **1933**
ويظهر في الصورة الزعيم محمد بن الحسن الوزاني يلقي الخطاب الرئيس ويظهر إلى جانبه الأيمن الحاج عمر بن عبد الجليل
ويظهر في الصورة الزعيم محمد علال الفاسي والأستاذ محمد اليزيدي ومحمد اشماعو والحاج الحسن بوعياد والهاشمي العلالي.

ولقد تشجع الجميع بهذا الانتصار على الإدارة الاستعمارية بالمغرب، وصار الوطنيون يفكرون في القفز بالحركة خطوة إلى الأمام.

وصارت الوطنية تنظم نفسها بعض الشيء.

وذات يوم من أيام سنة 1933 بينما كنت متصلا بالأخ اليزيدي، سألني هل يمكن أن نعقد اجتماعا مكبرا بإحدى الدور بسلا، نظرا لأننا عجزنا عن إيجاد منزل صالح، سواء بفاس، أو الرباط، فطلبت منه مهلة يوم أو يومين، ثم أجيب نفيا أو إثباتا، وهكذا اتصلت بالأخ عبد الكريم حجي، الذي كان رجع من أمريكا، واقترحت عليه أن ينظم هذا الاجتماع بمنزل أبيه، فوافق وعرض الأمر على أبيه بدوره فوافق.

ولقد عقد هذا الاجتماع بمناسبة مرور سنة على إصدار «مغرب» وحضره ممثلون من الرباط، وفاس، زيادة على الذين شاركوا فيه من سلا وكانوا نخبة طيبة، جمعت زيادة على الشباب الوطني، بعض المدعوين من العلماء والأعيان، وكان هذا الاجتماع شبه مؤتمر وطني أول من نوعه. وتحدث فيه بإسهاب السيد محمد بن الحسن الوزاني، بخطاب هام، كما تحدث فيه الأستاذ علال الفاسي والسيد عبد الرحمان الدكالي.

وخلال الاجتماع قام الأستاذ الحاج عمر بن عبد الجليل، وبشر الحاضرين بأن «مغرب» التي نحتفل بذكراها الأولى، ستلد قريبا جريدة أسبوعية تسمى «عمل الشعب».

وبعد مدة يسيرة صدرت جريدة «عمل الشعب» وكان يديرها السيد محمد بن الحسن الوزاني ويعمل فيها بنشاط السيد الحاج عمر بن عبد الجليل كما كان يكتب فيها المرحوم محمد حصار تحت عنوان : حديث شاب...

ولقد جمعنا لهذه الجريدة عدة اشتراكات، سواء من المغاربة، أو من الفرنسيين، ولقد كان للأخ المرحوم محمد حصار دورهم في جمع هذه الاشتراكات، وابتدأ بالمراقبة المدنية، التي طلب من رئيسها إذ ذاك

المراقب «كَابريالي» أن يدفع اشتراكه، فما كان منه إلا أن فعل، واقتدى به بعض الموظفين بالمراقبة المدنية.

ولا أريد بهذه المناسبة أن أتحدث عن إصدار هذه الجريدة، وكيف كان الخلاف حولها، حيث كانت هناك عدة تيارات واحد يقول بضرورة الخطة الهجومية، وسلوك «عمل الشعب» مثل سلوك «مغرب»، وآخر يدعو إلى خلق جوٍّ تعاوني يعمل لإيجاد مشاريع ضرورية للأمة، مثل تأسيس الجمعيات، وإرسال البعثات، وكان يمثل هذا الرأي الأخير المرحوم سعيد حجي وبعض أصدقائه.

وبعد إصدار هذه الجريدة، صدرت مجلة «السلام» بتطوان، وجريدة «الحياة» الأسبوعية، التي كان يصدرها المرحوم عبد الخالق الطريس. وكانت جريدة قوية، وجدت نشاطا ورواجا عندنا، وجمعنا لها عدة اشتراكات من مختلف الطبقات.

ولقد تقوى الوجود الوطني بصدور هاته الجرائد التي كانت تعارض السياسة الاستعمارية الفرنسية معارضة قوية، وتفضح أعمالها، وتنتقد سلوك الإدارة انتقادات مرة.

ولقد كانت الظروف مواتية، حيث أن المقيم الفرنسي «بونصو» لم يكن قرر إذ ذاك السياسة التي عليه أن يسلك، فلم يناهض هاته الجرائد، كما أنه لم تظهر عليه اهتمامات بالقضية الوطنية، أو محاولة الاتصال بالوطنيين.

ويجب أن أذكر هنا أن الإدارة الاستعمارية، المتمثلة في إدارة الأمور الأهلية، كانت تغلى حنقا على صدور هذه الجرائد، وعلى دخول مجلة «مغرب» التي تصدر في فرنسا. وتبحث عن الوسيلة التي يمكنها بها خنق هذه الصحف، ومنعها من الروجان.

ولقد اغتنمت الإدارة الفرنسية فرصة الحادث الذي وقع بمناسبة زيارة جلالة الملك محمد الخامس إلى فاس في شهر ماي سنة 1934

وأصدرت أمرا يمنع جريدة «عمل الشعب» من الصدور ومنع «الحياة» و«السلام» و«مغرب» من الدخول إلى المغرب (المنطقة السلطانية).

فاجتمع الوطنيون لدراسة الموقف، فكان الرأي مختلفا، طائفة تدعو إلى اغتنام الفرصة ووضع قضية الحريات العامة في وضعها الصحيح، وطائفة تدعو إلى عدم الاصطدام. وهذه النظريات الأخيرة هي التي انتصرت، حيث كان من جملة المبررات لها، العمل على إيجاد برنامج للإصلاحات التي يريدها الوطنيون والتي كانت أساس مطالب الشعب المغربي التي قدمتها لجنة العمل المغربي المسماة فيما بعد بالكتلة الوطنية.

استدراكات واستطرادات تاريخية
في أحاديث صحافية

أجرت معي جريدة (الصحراء المغربية) سلسلة أحاديث نشرتها في شهر أكتوبر من سنة 2006، ورأيت أن أنشرها في هذا الجزء من مذكراتي في الحركة الوطنية، لما انطوت عليه من معلومات لاشك أنها تشكل إضافة إلى ما سبق أن نشرته في الأجزاء الخمسة السابقة. ويمكن اعتبار هذه الأحاديث استطرادات واستدراكات وإضافات إلى المذكرات الخاصة بفترة شبابي ونضالي الوطني المبكر ولذلك فإني أقدمها إلى القارئ لتعمّ فائدتها.

حديث مع جريدة الصحراء المغربية

هكذا تكلم أبو بكر القادري(*)

1) الظهير البربري هز ضميري، ودفعني إلى الانخراط في العمل الوطني :

شكلت أحداث الظهير البربري لسنة 1930 هزة عنيفة وقوية في نفس الأستاذ أبو بكر القادري، ودفعته إلى اتجاه جديد في حياته، إذ أشعره الظهير بخطر يهدد دينه ولغته ووحدة بلاده، وبأن مهمته نحو وطنه، ليست في القراءة فحسب، فقرر المقاومة والنضال، إلى جانب شباب آخرين، لمجابهة ما يحاك ضد المغرب، بعد أن ترسخت لديه فكرة أن الظهير البربري يرغب في إضعاف السلطة المغربية الحاكمة، فوجد أبو بكر القادري نفسه أمام تحدي تأهيل نفسه علميا ؛ والزيادة في تثقيف ذاته، فعزم على تعلم اللغة الفرنسية، إلى جانب معارفه الوافية باللغة العربية وتعاليم الدين الإسلامي.

ع.غ

انخرطت في العمل الوطني بطريقة جدية وعملية وأنا في السادسة عشرة من عمري، كنت ما أزال شابا في طور التعلم، أتابع دراستي العتيقة بسلا.

حقيقة جرى انضمامي إلى الحركة الوطنية في ظروف لم أكن فيها مؤهلا، ولا متوفرا على تكوين مزدوج، كما لم أكن مراكما لتجربة في الميدان.

ويعود انخراطي في العمل الوطني إلى ما كان يعرف آنذاك بالقضية البربرية، على إثر صدور الظهير البربري الاستعماري يوم 16 ماي 1930، الذي هز ضميري وجعلني أندفع بقوة، احتجاجا واستنكارا على ما ورد فيه، فانتفضت كما انتفض العديد من الشباب الوطنيين، فقذف الظهير البربري في نفسي حب الوطن، وكراهية الاستعمار، وقادني بعزم إلى مجابهة المستعمر الفرنسي.

(*) جريدة (الصحراء المغربية) : من 2006/10/3 إلى 2006/10/16، سجلت الأحاديث : عزيزة غلام.

كان الظهير البربري بمثابة الجمرة التي حركت مشاعري من ناحيتين، الأولى لأنه مس وطنيتي، والثانية لأنه اعتدى على ديني وهويتي ولم يحترم معتقدي، خصوصا وأنني نشأت في أسرة وبلد ومجتمع مسلم.

وكان يشاطرني في ذلك التوجه، مجموعة من الشباب الذين كانوا أكثر تعرفاً بتاريخ البلاد رغم صغر سننا.

تبين لي حينذاك، وطائفة من الشباب، أن خطة الاستعمار الفرنسي، ترغب في إخراج بلادنا من سيادة مصيرها، وإلحاقها بدولة فرنسا، إسوة بما فعلته مع الجزائر، منذ احتلالها لها سنة 1830، وضمتها إليها، واعتبرتها جزءا منها.

فاعتبرنا الظهير البربري اعتداء على الكيان المغربي، خصوصا وأننا كنا شبابا مندفعين، نعتبر المغرب موحدا خلال الأحقاب التاريخية، ورفضنا مخططات الاستعمار، التي كانت ترمي إلى تقسيم الوطن، وخلق نزاع بين مكونات الشعب المغربي.

ومما زاد في غيظنا وتخوفنا من السياسة الاستعمارية، كوننا بتنا نسمع ونرى بأمهات أعيننا، الدعوات التبشيرية إلى المسيحية، تمارس خاصة في المناطق البربرية، حيث كان يرغب الفرنسيون نزع الذات المغربية، والقضاء على الدين الذي يعتقد به الجميع، فاهتز لذلك كيان عدد واسع من الشباب.

وفي الواقع كان الاستعمار يود خلق نوع من الفصل بين المغاربة الذين يتحدثون اللغة العربية، والذين يتكلمون بالأمازيغية، وكانوا يحاولون إقناع الأمازيغيين، بأنهم سكان المغرب الأولون، وليس لهم ارتباط باللذين يتكلمون العربية.

وأكثر من ذلك كانوا يقنعونهم بالابتعاد عن الكتابة باللغة العربية، وتعلمها، أو حتى التكلم بها، وبالموازاة مع ذلك، كانوا يدعون إلى العودة إلى تنفيذ الأعراف القديمة، من قبل منع المرأة من الإرث، وعدم الخضوع لأحكام الشرع في القضاء.

وكرد فعل على ذلك، كنت ومجموعة من الشباب، ننظم جولات في الأسواق في مدينة سلا، بهدف إقناع أصحاب الدكاكين، بالتوجه إلى المسجد، والالتحاق بالوطنيين وباقي أفراد الشعب، لترديد اسم الله «اللطيف».

وبالفعل ظهر تجاوب جدي مع تحركنا، وتعاطف واسع مع الأفكار التي كنا ننادي بها، فالتحق بنا الشيوخ والشباب، والرجال والنساء.

وتسابق المصلون لترديد «اللهم يا لطيف، نسألك اللطف بما جرت به المقادير، ولا تفرق بيننا وبين إخواننا البرابرة».

كانت هذه الصيغة، السلاح الوحيد المتوفر لدينا حينها، للتعبير عن استنكارنا الشعبي لظهير التفرقة اللعين.

صراحة كانت الانتفاضة وحدوية، وكنا نشعر أننا شعب واحد، ونؤمن بأنه من أراد تفرقتنا، فنحن له بالمرصاد، وبالفعل كانت الانتفاضة وسيلتنا، ولذلك اندفعت كباقي الشباب الذين عرفتهم في تلك الفترة.

لكن هذه الانتفاضة الشعبية، لم يكن الاستعمار ليستسيغها بسهولة، إذ أحدثت ضجة كبيرة، ورد فعل قوي عند سلطات الحماية، التي نفذت حملة من الاعتقالات والمنافي، وكان من أول المنفيين، شخص يدعى عبد اللطيف الصبيحي، الذي كان أول من دعا إلى مقاومة الظهير البربري.

التأثر بدعوة عبد اللطيف الصبيحي :

حقيقة كنت معجبا كثيرا بشخصية عبد اللطيف الصبيحي، وكان له الفضل المعنوي، في عزمي على تعلم اللغة الفرنسية.

في بادئ الأمر، لم يكن لي اتصال به، لكن في ما بعد، التقيته وتحدثت إليه، وسوف أبين الأسباب التي جعلتني أعجب به.

كان الصبيحي شاباً يكبرني بـ 18 سنة، درس في المغرب وفرنسا، فأتقن إلى جانب اللغة العربية، اللغة الفرنسية، وكانت له شخصية قوية جدا.

بعد عودته من فرنسا إلى المغرب، عين موظفا في إدارة الأمور الشريفة، حيث كانت كل الظهائر التي تصدر في المغرب، تمر من هذه الإدارة لترجمتها إلى اللغة العربية، قبل تقديمها إلى السلطان للتوقيع عليها.

ولذلك كان الصبيحي أول مغربي اطلع على محتويات الظهير البربري، بصيغته الفرنسية، قبل نشره باللغة العربية.

وشد انتباه عبد اللطيف الصبيحي، المادة السادسة من الظهير البربري، التي تقضي بإزالة نفوذ السلطان على البرابرة، وجعله بين يدي رئيس الجمهورية الفرنسية، وذلك بإنشاء محاكم فرنسية محضة، يرجع إليها كثير من القضايا التي تقع في الأوساط البربرية.

فهز الظهير كيانه، ونسي أنه موظف بالإدارة الفرنسية، وصار يبشر أصدقاءه من الذين يكونون معه مجموعة تمثيلية فنية بمدينة سلا، أتذكر أنها شخصت رواية «هارون الرشيد» وروايات أخرى، فغرس فيهم روح الانتفاضة ضد الظهير البربري، وقربهم من المخاطر التي تحيق بالمغرب، فالتف حوله عدد كبير من الشباب، وقامت الانتفاضة.

صراحة كان لعبد اللطيف الصبيحي، دور بارز في استقطاب الشباب الذين يعرفهم، فتأثر كثير منهم بدعوته، وانضموا للمقاومة السياسية معه، وصار الجميع يلتقي على كلمة واحدة في المسجد، لقراءة اللطيف، كما ينظمون لقاءات في المنازل، لترتيب شؤون المقاومة والاستمرار فيها.

وبعد مضي أيام وأسابيع على قراءة اللطيف، احتار الفرنسيون في كيفية توقيفها، فنهجوا أسلوب الترغيب والترهيب في آن واحد، من خلال تهديدهم للآباء والأولياء، وحاولوا إقناع الجميع بأن ما يعتقده الشباب كذب وبهتان، إلى أن ضعفت المقاومة، ولم يعد سوى القليلين ممن يلتحقون لقراءة اللطيف.

هذه الفئة القليلة، التي حدثتكم عنها، هي التي شكلت النواة الحقيقية للحركة الوطنية المقاومة للظهير البربري في مدينة سلا، ومنها انتقلت إلى

مدينة الرباط، وفاس، ومراكش، والدار البيضاء وغيرها من المدن، وهم الذين حملوا المشعل لتغيير الأوضاع بالمغرب، في مختلف مناحيها.

فمع عبد اللطيف الصبيحي، بدأت الانطلاقة لمكافحة السياسة الاستعمارية، لتأخذ طريقها انطلاقا من مقاومة الظهير البربري.

فاستقطبت الدعوة لقراءة اللطيف في المساجد، الشيوخ وكبار السن لصف الحركة الوطنية مع الشباب، فتوحدت جميع مكونات الشعب المغربي، في التصدي للظهير البربري، وبالتالي للمستعمر.

وحقيقة جعلني عبد اللطيف الصبيحي أنتبه إلى تكويني العتيق، ودفعني إلى التفكير في تطوير تكويني، من خلال عدم الاكتفاء بالثقافة القديمة، واهتمامي بالثقافة العامة، وكنت حينها أعمل على تكويني في الحركات الوطنية، إلى جانب متابعتي لدروسي في المدرسة.

لكن مع الانتفاضة ضد الظهير البربري، قررت وبإصرار شديد، الانكباب على المطالعة، وكانت أول خطوة نفذتها لأجل ذلك، أن اتصلت ببعض أصدقائي الشباب، بهدف تنظيم المطالعة الجماعية، ومن بينهم صديقي المرحوم سعيد حجي، الذي كنت أطالع رفقته يوميا موضوعا معينا، سواء في الأدب العربي، أو مادة التاريخ المغربي أو غيرهما.

كنت أضع جدولا زمنيا دقيقا، وأحترمه بتفاصيله، وكأن هو رقيبا يلزمني باحترامه.

وأنا أبحث بين ملفاتي لأطلعك على بعض الوثائق الرسمية، التي تؤرخ لكل مرحلة من المراحل، عثرت على جدول زمني ينظم بدقة حصص المطالعة، التي كنت أنفذها بتفاصيلها وكأن عين رقيب تتابعني.

كنت أستيقظ على الساعة السادسة صباحا، أتوضأ وأصلي، وفي السابعة أشرع في المطالعة إلى حدود التاسعة، ومن التاسعة إلى العاشرة صباحا، أتناول وجبة الفطور، ومن العاشرة إلى الثانية عشرة زوالا، أستأنف المطالعة، والتوزيع ذاته ينفذ في الفترة المسائية.

وبعد مرور فترة على تنفيذ مثل هذا العمل، سافر سعيد حجي إلى الخارج، لاستكمال دراسته، ذهب خلالها إلى فلسطين، ومنها إلى سوريا وإلى مصر. وخلال مدة غيابه كنت أبعث إليه برسائل عديدة، وكان ذلك ابتداء من سنة 1932.

وهنا لابد أن أتحدث قليلا عن شخصية سعيد حجي، الذي كان شخصية تعددت مواهبها، إذ كان شابا وطنيا ملتزما بقضية وطنه، وكان من الصحافيين الذين تعاطوا للصحافة الوطنية في بداية نهضتها.

كان مقتدرا وباحثا اجتماعيا، وكان فكره ناضجا رغم صغر سنه، ونشاطه في مختلف مجالات الحياة مدعاة للتقدير والإعجاب، إذ ساهم في تحضير مطالب الشعب المغربي سنة 1934، وأصدر أول جريدة يومية في المغرب، وكان اسمها (المغرب) سنة 1937، وظلت تصدر إلى سنة 1942، السنة التي توقفت فيها حياة سعيد حجي رحمه الله.

وأعترف أن سعيد حجي، أول شخصية استفدت من معلوماتها، وتجاربها الوطنية والسياسية، كان يعجبني فيه فكره النزيه المتفتح، ومعرفته الدقيقة بالأشخاص.

ففي هذه الفترة، التي كنت أتطلع وأبحث فيها عن الطريق، وعن مخطط عمل بعد صدور الظهير البربري، للاحتجاج والتعرف على باقي المخططات الاستعمارية بالمغرب، لوضع برنامج للتصدي لها، فطنت إلى أنه لابد لي من تعلم اللغة الفرنسية، فقررت الدخول إلى المدرسة الابتدائية رغم أن عمري كان حينها 17 سنة.

ومن الصدف أنني كنت أتعلم على يد الأستاذ زين العابدين بنعبود، أخ الدكتور المهدي بنعبود، الذي كان يدرس اللغة العربية في مدرسة أبناء الأعيان بمدينة سلا، وفي الوقت نفسه يقدم بعض الدروس في المسجد التي كنت أحرص على حضورها.

وبلغني أنه يقدم درسا في المدرسة المذكورة في علم البلاغة، فطلبت منه تيسير دخولي مدرسة أبناء الأعيان، لحضور هذه الدروس بصفة استثنائية، زيادة في تثقيفي.

فوعدني خيرا، واستأذن المدير من أجل ذلك، فسمح بتمتيعي برخصة حضور الدرس من الساعة 8 إلى 9 صباحا، كنت أغادر بعدها فضاء المدرسة.

في اليوم الأول من التحاقي بمدرسة «أبناء الأعيان»، لاحظت أن من بين التلاميذ الذين يتابعون دروسهم، منهم من يصغرني سنا، ومنهم من يكبرني بكثير من السنوات، فدفعني ذلك للتجرؤ أكثر، فطلبت تسجيلي في المدرسة تلميذا رسميا.

في بادئ الأمر صادفتني صعوبات كبيرة، بسبب عدم قبول الإدارة التلاميذ ممن هم في سني، لكنني لم أستسلم، خصوصا وأنني كنت حينها شابا متحمسا، فالتجأت إلى عدة وسائل، واستعنت بتوصيات من شخصيات لديها تأثير ووزن، إلى أن تمكنت من ولوج المدرسة والتسجيل بها بشكل رسمي.

وبالفعل دخلت القسم الأول ابتدائي، وأنا في 17 من عمري، هدفي الوحيد التعلم في مدرسة مفتوحة للجميع، والوصول إلى مستوى الشهادة الذي يتطلب مني قضاء خمس سنوات بالمدرسة، وما أحكي عنه الآن حدث سنة 1932.

عجيبة هي بعض الأمور، لم يمض على التحاقي بهذا القسم ثلاثة أشهر، حتى قررت الإدارة نقلي إلى المستوى الثاني، بعد أن فطنت معلمتي وكانت فرنسية، إلى أنني تلميذ مجد، ولاحظت تقدمي في التعلم بشكل سريع.

وبعد أقل من سنة على التحاقي بالمدرسة، انتقلت إلى المستوى الثالث، وبعد العطلة الصيفية، ولجت مباشرة مستوى قسم «الشهادة».

فاستعظمت الأمر، ونبهني أستاذي بنعبود إلى ضرورة مضاعفة جهودي لأكون في مستوى الثقة التي وضعت فيَّ، بعد بلوغي المستوى التعليمي الابتدائي الأخير.

وأتذكر أنه خلال هذه الفترة، كان يعلمني أستاذ فرنسي، طلب مني منحه دروسا في اللغة العربية، خلال فترات الاستراحة بين الحصص، وطلبه ذاك جاء لكوني كنت معروفا بين تلامذة وأساتذة المدرسة، بأنني لم أكن بمرتبة تلميذ خصوصا في اللغة العربية.

وأتذكر أن معلمي عبد الرحمان حجي وكان شاعرا، أعفاني من حضور دروس اللغة العربية، وطلب مني مساعدته في تحضير الدروس، ومراقبة سير تعلم التلاميذ، وتصحيح كراساتهم، نظرا لإعجابه بمستواي التعليمي في اللغة العربية، وتفوقي فيها، وهكذا أصبحت في نظر التلاميذ وكأنني معلمهم.

وصراحة أفادني الأمر في معرفة طريقة التعليم، ومراقبة الدروس عندما أسست مدرسة خاصة في ما بعد، وسأحكي عن هذه التجربة في حينها.

لم أتمم دراستي بمدرسة «أبناء الأعيان» بسبب طردي منها، بعد أن رفضت الاعتذار لمعلمة فرنسية عن إساءة لم أرتكبها أصلا.

فخلال فترة الاستراحة بين الحصص، بينما كان التلاميذ صغار السن، يلعبون ويجرون في الساحة، كنت أقف في زاوية بعيدا عن ساحة الاستراحة، فتقدمت نحوي معلمة فرنسية، كانت عانسا تدعى الآنسة دووفور.

أمرتني بالاتحاق بالتلاميذ الآخرين، فرفضت اقتراحها بسبب أن سني يفوق سنهم بكثير، لم يعجبها ردي فأوشت بي عند مدير المدرسة.

وكان المدير شخصا فظا، واستعماريا قبيحا، فطلب مني الاعتذار لها، فرفضت بعد أن قلت له، أن الاعتذار يكون مبنيا على إساءة.

فخيرني بين الرضوخ لطلبه، أو تعريضي للطرد من المدرسة.

ولما صممت على رفض الاعتذار، طردت من مدرسة «أبناء الأعيان».

2) كانت انطلاقته الوطنية من المسجد :

شعر الأستاذ أبو بكر القادري بعد طرده من مدرسة «أبناء الأعيان»، أن الإدارة الاستعمارية الفرنسية تضع مخططا تهدف من ورائه إلى طمس الشخصية المغربية، والقضاء على اللغة العربية، والتمييز بين سكان الحواضر، وسكان البادية، ونشر تعليم يعتمد على اللغة الفرنسية، ولا تعطى فيه أهمية للغة العربية، فثار أبو بكر القادري ضد المستعمر الفرنسي، انطلاقا من المسجد، وفيه عقد أولى اجتماعاته التعبوية، وألقى خطبه السياسية الاستنهاضية، فكان المسجد الفضاء الذي وحد فيه تلاوة القرآن، ومنه انطلق مع شباب اقتنعوا بأفكاره، وصمدوا إلى جانبه، لمواجهة المخططات الاستعمارية، وانضموا إلى الحركة الوطنية.

«عزيزة غلام»

بعد أن طردت من مدرسة «أبناء الأعيان»، من قبل مديرها الفرنسي الاستعماري، انتفض التلاميذ، ونظمت حركة تضامنية معي، احتجاجا على القرار الذي اتخذته الإدارة ضدي، انتفضوا لأنهم اعتبروني بطلا بعدما رفضت الاعتذار للمعلمة الفرنسية، وكان التلاميذ الذين كانوا يتدارسون معي البلاغة، من أكثر من تحمسوا لمناصرتي.

ومن بين الأعمال التي نفذوها، أنهم صاروا يلاحقون المعلمة الفرنسية، الآنسة دووفور، التي كانت وقحة، ويرشقونها بالحجارة.

ولوقف الاحتجاج الذي عرقل سير الدروس بالمدرسة، لجأ مديرها إلى طرد ثلاثة تلاميذ طردا نهائيا، اتصلوا بي بعدها لإخباري بالنبأ، واستفساري حول أشكال الرد التي يمكن التخطيط لها وتنفيذها، احتجاجا على قرار طردهم.

وأتذكر أنه حين طردت من المدرسة، لم أستسلم للأمر الواقع، بل نظمت احتجاجات أمام الإدارة المسؤولة عن التعليم، وكانت تسمى حينها بمندوبية التعليم، وكتبت رسالة خطية لمدير التعليم، أحتج فيها على قرار طردي بشكل تعسفي، لكن لم أتلق جوابا من هذه الإدارة[1].

وأفتح قوسا هنا لأشير إلى أنه من الأشياء الغريبة التي وقعت أخيرا، أنه بعد مرور العديد من السنوات على كتابة هذه الرسالة، جاء لزيارتي هذه

السنة ـ 2006 ـ باحث شاب، زار بعض المكتبات بفرنسا، حين كان يبحث عن بعض الوثائق المتعلقة بالحركة الوطنية، فعثر على الرسالة التي بعثت بها إلى إدارة المدرسة، مكتوبة بخط يدي، وأتاني بنسخة منها مصورة.

فشكرته، لأني صراحة لم أكن أملك نسخة عنها، وفرحت لحيازتها من جديد، خصوصا وأنني أحرص على حفظ الوثائق الرسمية، التي تسجل أحداثا تاريخية، وهنا أغلق القوس.

صراحة جعلتني هذه التطورات، ألج مرحلة أخرى من مراحل حياتي، فطلبت من الطلبة أنفسهم الذين طردوا عهدا بمساندتي، وتنفيذ خطتي، والوقوف بجانبي في ما أنوي تنفيذه للسير في الكفاح.

فوافق اثنان منهم، فيما الثالث رفض، وقرر ولوج مدرسة تعليمية أخرى.

في الجلسة نفسها، تحدثت إلى التلميذين المطرودين بلهجة صارمة، وضربت لهما موعدا للقائهما في المسجد، بعد صلاة المغرب لليوم ذاته، إذ كانت لي حقيقة إرادة قوية في تحقيق عمل إيجابي.

وبالموازاة مع ذلك، قررت الإبقاء على التواصل مع تلاميذ مدرسة «أبناء الأعيان» من الذين ساندوني وناصروني بعد الطرد، ولم تكن لي من وسيلة سوى اللقاء بهم في المسجد، عقب صلاة المغرب، هذا الفضاء الذي كان يلعب دورا تواصليا عظيما في مجال التوعية، وتنظيم الشباب، والدفع به إلى الاهتمام بالقضايا الوطنية.

ومن الصدف التي حدثت يومها، أن إمام المسجد الذي كان معتادا على فتح الحزب، استهل بالآية الكريمة التي تقول ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة، فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم﴾.

فكان لهذه اللفظة صدى قوي على نفسي، وأثرت في بشكل كبير، فعجبت لهذه الصدفة التي تزامنت واتفاقي مع شابين للتنظيم في إطار حركة مناهضة للمستعمر الفرنسي.

توالت لقاءاتنا في المسجد، والتحق بنا عدد كبير من الشباب، إلى أن ارتفع عدد التلاميذ المنضمين إلينا قرابة مائة شخص، فصار المسجد يغصّ بأعدادهم الكبيرة.

فكانت بداية حركة قرآنية مباركة، اعتبرتها بداية عملي الوطني، المستند على تنفيذ برنامج سياسي إصلاحي تنويري وتعبوي ونهضوي، كمرحلة أولى تجنبا لإجهاز المستعمر علينا.

ومن أولى الخطوات التي شرعنا في تنفيذها، وضع مخطط لتغيير قراءة القرآن التقليدية، التي كانت قراءة تبعث على النوم، والسبب يعود إلى غياب وحدة في القراءة، إذ كان يسمح لكل تلميذ بقراءة السورة القرآنية التي يريد، وتلاوتها بالشكل الذي يرغب فيه.

ونظرا لعدم رضانا على هذا الأسلوب، قررنا العمل على ترسيخ قراءة تريح أذان المستمعين، تكون جذابة، وذلك من خلال إدماج النغمات القرآنية.

ومن حسن الحظ، أن الشابين اللذين ناصراني كانا يتمتعان بصوت رخيم، ما خلق جوا روحانيا داخل المسجد، خاصة عندما نهجنا أسلوب القراءة القرآنية الموحدة بصوت واحد، عوضا عن الطريقة القديمة.

على العموم كانت كل البوادر طيبة، فتزايد عدد المقبلين على الصلاة، وأصبحت أتصرف في المسجد بشكل حر، أحرص داخله على تغيير صيغ التلاوة القرآنية، من قبيل الدعوة إلى رفع الصوت وتغليظه عند نطق الكلمات الدالة على الظلم أو الجور على المستضعفين، ككلمة «القوم الظالمين أو الكافرين».

وإلى حدود هذه اللحظة لم أكن أعرف أسماء الوطنيين المغاربة الذين يمكن لي أن أقول إنني تأثرت بهم، وعانقت بسببهم الفكرة الوطنية.

بالفعل تطورت الأمور، فصار آباء التلاميذ بدورهم، يأتون إلى المسجد، وباتوا يحضرون باستمرار بعد اطمئنانهم على أبنائهم، لقراءة القرآن بعد صلاة المغرب.

وفي داخل المسجد كنا عند الانتهاء من الختم القرآني، نردد بعض الأبيات الشعرية لقصيدة غذت هي شعارنا حينذاك، كانت أبياتها تهتز لها القلوب، وتتحمس لها المشاعر، وهي :

يا رب وافتح فتحك المبين لمن تولي وأعز الدين
وانصره يا ذا الطول وانصر حزبه واملأ بما يرضيك عنه قلبه
يا رب وانصر ديننا المحمدي واجعل ختام عزه كما بُدِي

فكان لذلك تأثير بالغ على نفوس جميع أفراد المجتمع.

فتوسع احتكاكنا بباقي فئات الشعب، وتوالى الاتصال بيننا يوميا، وأخذنا نتبادل الآراء والمعلومات.

كنا معجبين في تلك الفترة بالحركة الاحتجاجية السلمية التي كان يقودها «غاندي» في الهند، ضد الاستعمار الإنجليزي، والحركة التي تزعمها كمال أتاتورك، ونهضة مصطى كمال، وسعد زغلول، والحركة السورية.

وكانت لقاءاتنا فرصة للاطلاع على الجرائد، والكتب الآتية من الشرق، وكانت تهب موجة عالمية للتحرر في جميع أرجاء الدنيا، خصوصا وأن انتماءنا إلى الديانة الإسلامية وحد بيننا بشكل كبير.

فخلال هذه الفترة كنت أراسل صديقي سعيد حجي، الذي كان يخبرني بما يقع في الشرق، وأخبره بما كان يجري في المغرب، وبدأنا نراسل الصحف الشرقية، ونزودها بالأخبار التي تقع في المغرب.

وأجرينا اتصالات ببعض الشخصيات الوطنية من الرباط وفاس، ومدن أخرى في وقت لاحق، لتوحيد العمل الوطني.

في هذه المرحلة، أي في سنة 1933، شرعنا في تنفيذ العمل النضالي، وحصلت العديد من التطورات، من أهمها تنظيم لقاءات كل يوم جمعة

بالتناوب، بمنازل الشبان البارزين، نلقي خلالها الأحاديث الثقافية والدينية، وفي بعض الأحيان ننظم دروسا، ونتبادل التوجيهات ذات طبيعة وطنية وسياسية، بالإضافة إلى التدريب على حفظ الأناشيد الوطنية، اعتمادا على تلك التي كانت تلقى في الدول العربية، خصوصا في مصر وسوريا، التي كانت تتميز بنغماتها الجديدة والحماسية، التي تهز الأحاسيس والأفئدة.

صراحة استخلصنا حركتنا الوطنية كذلك من تجربة عبد الكريم الخطابي، ونهلنا من روحها الثورية، الرافضة للاستعمار، إذ كان هدفنا النهوض بالشعب وتوعيته، وتربيته تربية وطنية وحدوية، والتأكيد على أن للمغرب هوية وذاتية خاصة به، وأنه لعب أدوارا حضارية في التاريخ، وتفنيد ما كان يدعيه الاستعمار، الذي كان يريد أن يرسخ في أذهان المغاربة، أنه لم يسبق لهم أن أسسوا دولة، وأنهم كانوا عبارة عن قبائل متطاحنة.

بعد مضي سنة على هذا التأطير النضالي ونجاحه، ألقيت خطبة بعد صلاة الجمعة، وكان الخطاب الأول من نوعه الذي ألقيه في المسجد، ومن الأشياء التي ركزت عليها فيه، طلب توفيق الله لنا في عملنا، والتأكيد على أن تنظيمنا ليس مجرد سحابة صيف، كما ادعاه البعض. فكان الخطاب فرصة أعلنت خلاله عزمي مع أصدقائي على تنفيذ أمرين اثنين، أولهما تنظيم نزهة إحياء لمرور سنة على عملنا التنظيمي، في مكان يشرف تقريبا على البحر بسلا، استدعينا إليه بعض الوطنيين الكبار من مدينة فاس، والرباط، وبعض المدن الأخرى. فحضره الزعيم علال الفاسي، ومحمد اليزيدي، وأحمد بلافريج.

وأشير إلى أن المناسبة كانت انطلاقة لربط علاقات اجتماعية، وطنية وسياسية مع كبار الشخصيات، وتوطيد ارتباطي بباقي إخواني المناضلين في باقي المدن الأخرى.

ومن الأمور التنظيمية للحفل إعطاء الكلمة للمدعوين من المدن الأخرى، أحضر الزعيم علال الفاسي كلمة ألقيتها بالنيابة عنه.

أما الأمر الثاني الذي أعلنت عنه في الاحتفال، فكان هو تأسيس جمعية «المحافظة على القرآن الكريم»، بعثت من أجلها مراسلات، إلى

المسؤولين بـ«جمعية المحافظة على القرآن الكريم» الموجودة بالقاهرة لربط جسور التواصل والتعاون معهم، ولتزويدنا بالبرامج وتقريبنا من طريقة عملهم[2].

وخلال هذه الفترة لم تحظ الجمعية باعتراف رسمي، من طرف السلطات الفرنسية، فاشتغلنا على هامش القانون، والتزمنا بعقد اجتماعات دورية كل يوم جمعة.

ونحن نهيء الدعاية للحفل، علم الفرنسيون بالأمر، فاستُدعيت وإخوان آخرون معي للحضور عند باشا المدينة، الذي سألني حول تحضيرنا لتجمع سياسي، ولاستدعاء شخصيات من مدن أخرى لحضوره.

فأجبته أنه تحضير لتجمع ديني وقرآني، فرد علي بأنه سيصدر أمرا للسلطة لمنع عقد الاجتماع، فأسرعت بالقول، إنه ليس من حق الفرنسيين التدخل في أمورنا الدينية وأمور ملكنا، وذكرته بأن الفرنسيين موجودون بالمغرب من أجل ضمان الحماية للمغرب في ما يتعلق بالأمور الدينية وأمور الملك ولا يحق لهم التدخل في شؤوننا الدينية.

فتعجب لما سمع واندهش لردي، الذي اعتبره استفزازا له.

فتحديناه تحديا كبيرا، بعد أن دخلنا معه في مشاداة كلامية، ونظمنا الحفل، إلا أن ظروفا سياسية طرأت، اضطرتنا إلى أن نجعل المدة الزمنية للاحتفال قصيرة جدا، ألقيت فيها خطابات أخرى.

والظروف التي طرأت، هي كون التحضير له تزامن وتنظيم مظاهرة احتجاجية من قبل أشخاص فرنسيين، ضد حكومتهم، فتسرب الوسواس إلى أفئدة الفرنسيين، وربطوا بين الحفل والمظاهرة.

ولأول مرة اشتم الفرنسيون أن حركتنا ليست حركة دينية وإسلامية فحسب، وإنما هي حركة وطنية وسياسية.

---

(2) أنظر جواب جمعية المحافظة على القرآن الكريم بمصر في الملاحق.

لم تكن لي معرفة كافية بالزعيم علال الفاسي، ومحمد اليزيدي، وأحمد بلافريج. ولم أعرف اليزيدي وعلال الفاسي وبلافريج معرفة جيدة، إلا حين عودة اليزيدي من المنفى سنة 1932، وزيارة علال الفاسي لنا، ولقد قررنا في إطار الجماعة التي كنا ننتظم فيها، تنظيم احتفال للذين عادوا من المنفى وحضره عدد كبير من المدعوين[3].

3) قلت لباشا سلا ليس من حق الفرنسيين التدخل في أمور ديننا وملكنا :

كان من نتائج الوضعية العامة التي عاشها المغرب في مستهل سنة 1933، أن اتجه تفكير الأستاذ أبو بكر القادري إلى الاشتغال بالتعليم، كتعبير عن حاجة المجتمع إلى أداة فعالة للتنوير، فقرر في البداية فتح مدرسة عربية إسلامية بالزاوية القادرية، أقبل عليها أبناء سلا، وتلاميذ مدرسة «أبناء الأعيان» الذين أصر آباؤهم على تعليمهم اللغة العربية خلال أوقات فراغهم، وأثناء العطل الصيفية والأسبوعية.

كان أبو بكر القادري يؤمن أن المدرسة أساس كل إصلاح اجتماعي، من خلالها يجري تعلم الأبناء، وولوج المجتمع المغربي برمته إلى المعرفة، وبواسطتها ترفع معنويات الآباء للنهوض بالوطن.

وشكل تأسيس المدارس الحرة، أولى المخططات التي وضعتها الحركة الوطنية لمواجهة المخططات الاستعمارية، إذ كانت تهدف إلى نشر التعليم، والحفاظ على اللغة العربية، والاحتفاظ بشخصية الأمة العربية.

ع.غ

بعد أن طردت من مدرسة «أبناء الأعيان» من طرف مديرها الاستعماري، كانت ردود فعلي قوية، خاصة عندما فسرت أسباب هذا القرار بكونه يعود إلى رغبة المستعمر الفرنسي في منع المغاربة من التعلم، ليبقوا في الجهل يتخبطون، لا يعلمون ولا يفقهون ما يدور حولهم.

ففكرت حينها في الكثير من الحلول، ومن جملتها تأسيس مدرسة تعليمية حرة، يستفيد منها الأطفال، إذ قررت تخصيص حصص في تعليمهم القراءة والكتابة، استنكارا على ما أقدمت عليه السلطات الفرنسية من تعسير لعملية التعلم، ولإعطائها فرصا غير متكافئة بين جميع المغاربة في هذا المجال.

(3) **تنبيه** : انظر صورة الاحتفال ف الملاحق.

ومن هنا جاءت تجربتي مع المدارس الحرة في المغرب.

في البداية، لم تكن لدي الوسائل الضرورية لتنفيذ المشروع التعليمي، الذي كنت أفكر فيه، إذ لم أكن أتوفر على مقر، ولا على موارد مالية لأداء أتعاب المعلمين، أو لتسديد النفقات المرافقة لتأسيس مدرسة تعليمية.

حينها فكرت في طلب مشاركة من التلاميذ، الذين طردوا بعدي من مدرسة «أبناء الأعيان»، والذين ساندوني في تلك الفترة، على إخراج الفكرة إلى حيز التطبيق وتنفيذها في الواقع.

وبالفعل، اقتنعوا بالموضوع، ورحبوا بالفكرة، وشرعنا في العمل، فأسست المكتب الإسلامي سنة 1933، كخطوة أولى، إذ لم يكن حينها مخول لها، بموجب القانون، إطلاق اسم «المدرسة» على المشروع، كما لم تكن الظروف العامة مواتية لتسمح الإدارة الفرنسية بفتح مدرسة تعليمية.

فالأمر كان يحتاج إلى بذل جهد شاق، وتخطي عراقيل كثيرة لا تعداد لها.

وبعد مرور فترة على ذلك، أطلقت على «المكتب الإسلامي» اسم «المدرسة القرآنية»، وفي مرحلة ثالثة، في سنوات الأربعينيات، أصبحت المؤسسة التعليمية تسمى «مدرسة النهضة».

وسأحدثكم في أوانه، كيف بدأ العمل في هذه المدرسة، وبما أنني قادري، وأنتمي إلى الزاوية القادرية، أجريت العديد من الاتصالات مع شخصيات أعرف مدى استعدادها وقدرتها على مساعدتي، وصرت أتمتع بجزء من فضاء الزاوية القادرية لتنفيذ مشروعي.

ولما قبل طلبي، شرعنا في تقديم أولى الدروس التعليمية، فالتحق بنا عدد كبير من التلاميذ، وتوالى إقبال الأبناء السلاويين على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية.

وبعد هذا النجاح الأولي، أنشأنا بالمدرسة عدة أقسام، تتوزع حسب مستويات التلاميذ الوافدين عليها، وخصصنا للمدرسة إدارة تربوية،

وأخرى إدارية، كنت أتولى أمورهما، إلى جانب تقديمي لدروس لفائدة تلاميذ القسم العالي، أي القسم الخامس الابتدائي.

ومع هذه الانطلاقة، أعلن بعض الأصدقاء عن تطوعهم لإلقاء بعض الدروس مجانا، في إطار مساعدتنا على تجاوز الصعوبات المالية التي كنا نواجهها مواجهة حقيقية.

وبعد مرور حوالي سنة على تأسيس المكتب الإسلامي، شرعنا في تقديم دروس خصوصية، أيام الآحاد والعطل، لفائدة تلاميذ مدرسة أبناء الأعيان، الذين رغبوا في تعلم اللغة العربية، ومبادئ الدين الإسلامي.

ونظرا لهذا الإقبال الكبير، أصبح العمل نوعا ما منهكا ومتعبا، لكنه كان يسرنا، إذ كنا نتبع جدولا زمنيا صارما، تفتح بموجبه الحصة التعليمية الأولى في السابعة صباحا، وتستمر إلى التاسعة، ومن التاسعة إلى العاشرة يسمح للتلاميذ بفترة استراحة، أما من العاشرة إلى الثانية عشرة ظهرا، فتستأنف الدروس من جديد، وفي المساء ينفذ توزيع مشابه لسابقه.

ومن توفيق الله التحق بعض آباء التلاميذ بالمكتب الإسلامي إلى جانب أطفالهم، ليأخذوا دروسا تعليمية أولية في المساء.

ففي البداية كان هدفهم الاستماع إلى شروحات الدروس التي تلقى على أبنائهم، لكن بعدها تطلعوا إلى قراءة القرآن الكريم، فأوحى إلى الأمر بفكرة تخصيص حصص تعليمية لمحاربة أمية الكبار، فلقيت الفكرة استحسانا كبيرا وسطهم.

وبالفعل تزايد الإقبال على هذه الدروس أسبوعا بعد آخر، وانتشرت الدعاية في أوساط مدرسة «أبناء الأعيان» وغيرها من المدارس الرسمية، فرأى أولياؤهم ضرورة إلحاقهم بالمدرسة، في فترات العطل الرسمية، والعطلة الصيفية، وأيام الآحاد.

فوجدنا أنفسنا أمام جيش من التلاميذ، ومن مختلف المستويات الدراسية، التي كان لابد لنا من قبولها. فاضطررنا للبحث عن أساتذة مساعدين مؤقتين، وأعلنا التجنيد العام.

ولأن الروح الوطنية كانت كبيرة، وحب تعميم المصلحة والفائدة كانت قوية، تطوع في سلك المعلمين، كل الإخوان الذين يجدون في أنفسهم الاستعداد للتدريس، كسعيد حجي ومحمد حصار وغيرهما.

وبذلك غدت المدرسة عبارة عن مركز تكويني للشباب والفتيان السلاويين، وزادت في الدعاية للمدرسة، الاحتفالات التي كنا نقيمها بمناسبة نهاية السنة الدراسية، التي كانت تتميز بإلقاء التلاميذ خلالها لقصائد استنهاضية، وخطب وطنية وروايات، يتدربون من خلالها على الإلقاء، ويبرهنون على مقدراتهم وفصاحتهم في لغة الضاد.

لقد كنا نعمل بنوع من الاندفاع والقوة، فاعتبرت ما ننفذه جهادا، ولذلك كرست كل وقتي وجهدي في التدريس والتشجيع على نشر العلم ومحاربة الجهل والأمية.

وأمام النجاح الذي أحرزناه، صرنا نفكر في الرفع من مستوانا التنظيمي، من خلال تخويل المتخرجين من المدرسة شهادة الكفاءة، أطلقنا عليها اسم «شهادة حفظ القرآن الكريم»، وكان أول متخرج من المدرسة هو المرحوم العربي بن الفقيه البارودي. ومع توالي المتخرجين صرنا نفكر في تهييء بعثات إلى جامعة القرويين.

وتشكلت أول بعثة طلابية من المرحوم محمد بن قاسم، والمرحوم عبد المجيد السرغيني، والمرحوم الحسين الشرقاوي.

وأغاظ النجاح الذي لاقته المدرسة الإدارة الاستعمارية، فحاولت أكثر من مرة التربص بنا، في محاولة منها للبحث عن وسيلة تمكنها من القضاء على المؤسسة التعليمية.

وأتذكر أنه أتيح للمرحوم محمد حصار أن قابل المراقب المدني الفرنسي في ذلك الإبان، ولما استشف منه محاولة التدخل والعرقلة، أشعره بأن أي تدخل من المراقبة المدنية، سيعتبر تحديا للوطنيين جميعهم، وبأنه سيلقى منهم كل المقاومة والاستنكار.

ولما ضاقت الإدارة الاستعمارية ذرعا بالمدرسة، فكرت في السيطرة والقضاء على المشروع بطريقة غير مباشرة، فأوعزت إلى القاضي الشرعي إذ ذاك، لكي يتدخل بوسيلة أو أخرى للقضاء على المدرسة، باعتباره قاضيا شرعيا يمثل جلالة الملك، وباعتبار المؤسسة التعليمية مدرسة إسلامية، تستوجب مراقبة وتتبع ما يلقى بها من دروس.

وذات يوم طلب القاضي مقابلتي بواسطة عدلين، قالا إنهما مبعوثان من قبل القاضي للاطلاع على برامج الدراسة وسير الدروس، فلم أتردد في الرد عليهما بأن المدرسة مؤسسة حرة، ولا يتوفر تشريع يوجب تدخل القاضي في مدرسة تعلم أبناء المسلمين مبادئ دينهم ولغتهم.

فرجع العدلان دون أن يحصلا على موافقة مني للمراقبة، واستأنفنا عملنا دون إعارة ما حدث أي اهتمام.

وبعد صلاة المغرب من اليوم نفسه، زارني في بيتي العدلان المذكوران، وأخبراني أنهما مأموران بالإشهاد علي إن رفضت أمر القاضي، فأبلغتهما رفضي مرة أخرى لأي تدخل في المؤسسة. فانكببت وباقي المعلمين على إتمام عملنا، وبعد توالي الإقبال على المدرسة، ضاقت الزاوية بالتلاميذ، صرت أفكر في مكان آخر ليكون فرعا لها.

ومن حسن الحظ، أنه كانت هناك مدرسة حرة، عبارة عن منزل حبسه المرحوم أحمد الصابونجي، على تعليم القرآن ومبادئ الدين، وكان المتصرف فيها ابنه محمد الصابونجي.

وكانت هذه المؤسسة مزدهرة في وقتها، حيث تعتبر أول مدرسة حرة أسست بسلا سنة 1389، لكن مع مرور السنوات تراخى القائمون بها على حسن سير العمل فيها، بسبب انشغال بعضهم بالتجارة في الأسواق، فلم يبق سوى فصل واحد به عدد قليل من الأطفال.

ولما رأى محمد الصابونجي ما آلت إليها المدرسة، زارني ومنحني حق التصرف فيها، وإلحاقها بمؤسستي بالزاوية القادرية.

وبناء على ذلك، مكنني من الرسم العدلي الذي تحت يده، والذي يعتبر بمقتضاه الناظر الوحيد للمدرسة، والمتصرف الشرعي فيها.

وبعد التأكد من الرسم قبلت العرض، فعينت معلما بها، وأرسلت جماعة من تلاميذ الزاوية، كخطوة أولى لإحيائها من جديد.

وما أن علمت المراقبة المدنية والإدارة الاستعمارية بهذا الاندماج، حتى ارتجت أركانها، كأن حدثا خطيرا وقع، من شأنه أن يعكر صفو الأمن العام، فوجه المراقب المدني بسلا أمرا إلى باشا المدينة يأمره باتخاذ كل الإجراءات لمنعي من التصرف في المدرسة أو إدماجها مع المدرسة الأولى.

كانت المراقبة المدنية ترغب في أن تبقى المدرسة المحبسة عبارة عن أماكن للسكنى، والبعض الآخر حجرة واحدة للتلاميذ، لا يحضرها معلم، إذ لم تكن ترغب في أن تعود إليها الحياة من جديد، فاستعملت كل الوسائل لإبقائها ميتة.

ولأنني كنت أعلم بنيات الطرف الآخر، بقيت متشبتا بأن المدرسة أصبحت تحت تصرفي بطريقة شرعية، ولا يمكنني أن أتنازل عنها، ولما استدعاني الباشا وطلب مني تمكينه من مفتاح المدرسة. رفضت رفضا قطعيا، فأمر بإلقاء القبض عليّ وعلى المعلم الذي وجهته لها ورمى بي وبالمعلم في السجن، كما رمى بناظر المدرسة الذي مكنني من مفتاحها حسب التوكيل الذي كان لديه[1] من طرف والده المحبس للمدرسة.

ورغم ما حدث خلال هذه الفترة، ظل إقبال التلاميذ في تزايد مستمر على المدرسة، ما منحني جرأة وشجاعة للبحث عن مقر آخر في حي من أحياء المدينة، خصصته لإلقاء الدروس، تعميما للفائدة، وتجنبا لحرمان أطفال الأحياء البعيدة من التعلم، وهكذا اكتريت روضاً كان يسمى روض «المالقي» وجعلته فرعا للمدرسة.

كان الروض المذكور يفتقر إلى العديد من المرافق، ويلزم لتشغيله تنفيذ مجموعة من الإصلاحات.

ولأن الروض كان في ملك ورثة القائد المرحوم الشرقاوي، والنائب عنهم كان المرحوم الحاج العربي ملين الرباطي، شعرت بمدى صعوبة حصولي على موافقتهم وسماحهم على كرائه لي بإصلاحه، فاهتديت

(1) انظر بعض التفاصيل في الموضوع، في كتابي : (قصة النهضة).

إلى أن أكاتب جلالة الملك المرحوم محمد الخامس، ليعطي أمره للحاج العربي مُلين، ليساعدنا في تحقيق هدفنا.

فكانت النتيجة إيجابية، ووافق الحاج العربي على الطلب، ولم يعترض على الإصلاحات التي كنا ننوي تنفيذها.

ولم تمض على ذلك إلا بضعة أشهر، حتى كان الروض جاهزا للعمل، مؤثثا بالكراسي اللازمة، وجميع الحاجيات التي تتطلبها مدرسة عصرية، وأصبح للروض شكل جذاب.

ولإعطاء خطوات التعليم العربي الحر ما تستحقه من اعتبار، ولإثبات أن الحركة الوطنية تخوض معركة التعليم تحت رعاية ملكية خاصة، وجهت خطابا لجلالة الملك المرحوم محمد الخامس، ألتمس فيه بأن يأذن لصاحب السمو الملكي أمير الأطلس، وولي العهد (آنذاك) مولانا الحسن، بتدشين المركز الجديد لمدرسة النهضة.

فلم يسعه قدس الله روحه، إلا أن لبى لنا هذه الرغبة، وحقق هذه الأمنية، فأذن له بزيارة سلا، وتدشين فرع مدرسة النهضة الجديد.

صراحة كان يوم التدشين مشهودا، وتجند الجميع لاستقبال ولي العهد المحبوب، إذ تكلفت لجنة التزيين بتجميل الطرقات بالرايات الحمراء، كما اصطفت الجماهير بالطرقات للتعبير عن تعلقها بملكها وولي عهده، وتضامنها مع هذه النهضة التعليمية التي تحقق الأمل في التحرر من الجهالة، ورفض الإلحاق بالأجنبي الدخيل.

فألقى رحمه الله خطابا كله توجيه وتأييد، ونصح وترغيب، ودعوة إلى الارتواء من منبع الدين الحنيف.

وبعدها انطلق العمل في المدرسة، وشعر سكان تلك الأحياء، أن أبناءهم سينالون من التعليم والتربية ما يعينهم على حفظ كرامتهم وصون حريتهم، ولم تمض إلا أسابيع حتى كانت جميع حجرات الروض، مكتظة بالتلاميذ الجدد، يتلقون دروسهم بكل نشاط.

كانت الجدية متجلية لدى المعلمين والتلاميذ على حد سواء، والجميع كان يقدر الخطوة التي خطاها التعليم، والجهد الذي يبذل لتحقيق تلك المطامح.

4) الاستعماريون يمنعون المغاربة من التعليم ليبقوا في الجهل يتخبطون :

ساهم الأستاذ أبو بكر القادري في محو الأمية بين أبناء المغاربة، إذ اهتم بتعليم الذكور كما الإناث، من خلال تأسيسه لمجموعة من المدارس الحرة.

وركز اهتمامه على تعليم الفتاة المغربية، بعد أن شد انتباهه، افتقار المغرب إلى مؤسسات تقدم هذه الخدمة المهمة.

إذ إلى غاية سنة 1946 لم يكن يتوفر المغرب سوى على عدد لا يتجاوز أصابع اليد من مدارس الفتيات، كان يحرص المستعمر الفرنسي داخلها أن يعلمهن الخياطة والطرز، وصناعة الزرابي، والمبادئ الأولية للقراءة والكتابة، وكانت بدورها مقسمة إلى مدارس لبنات الأعيان، ومدارس لبنات الشعب.

وقرر الأستاذ القادري الاهتمام بتعليم الفتيات، وأنشأ في ظل ذلك أول قسم ثانوي في مدرسة النهضة خاص بالفتيات، تلاه تدشين مدرسة خاصة بهن في سنة 1947، تفضل المغفور له الملك محمد الخامس، ببعث كريمته الأميرة للاعائشة لتدشينها، فحملت اسمها، وأطلق عليها «معهد الأميرة للاعائشة العلوية، لتعليم الفتاة السلاوية».

(ع.غ)

المحطة الثانية من مشوار تنفيذي للمشروع التعليمي، تتجلى في عزمي على تطوير العمل بمدرسة النهضة من المستوى الابتدائي، إلى التكميلي إلى الثانوي.

فمع توالي إقبال المنخرطين على المدرسة، وتأسيس فروع لها، صرت أفكر في موضوع إدماج المرأة في التعليم، خصوصا وأن الفتاة المغربية كانت ممنوعة من الدراسة، بسبب تخوف بعض العائلات والعلماء من أن يؤدي تعلمها إلى قربها من الذكور، وبالتالي تسهيل ارتكابها لبعض السلوكات التي كانت مرفوضة بشكل قطعي، ومنها مراسلة الفتيان.

وبعد فرض الحماية الفرنسية على المغرب، فتحت بعض المدارس للبنات، لكن اقتصر برنامجها على تعليم مبادئ اللغة الفرنسية وبعض الصناعات النسوية.

وفي ظل هذه الظروف، استحضرت قول الرسول صلوات الله عليه، الذي أوصى فيه بتعليم الذكر والأنثى، على السواء، فقلت مع نفسي لماذا لا أخوض تجربة تطوير تعليم الفتيات.

وبالفعل انضم إلى المكتب الإسلامي، إلى جانب الذكور، تلميذتان، إحداهن ابنة أخي، والأخرى ابنة أحد أصدقائي.

فكان ذلك خطوة مشجعة لتوالي التحاق العديد من التلميذات، وفي الواقع لم تعترضنا مشكلة بخصوص اختلاط الفتيات والفتيان في حجرة دراسية واحدة، كما كان يقع مثلا في مصر، إلا أننا كنا نحرص على تخصيص صف للفتيان، وآخر للفتيات.

وأسجل، أنه خلال 48 سنة من تحملي لمسؤولية إدارة المدرسة، لم يقع بها ما يشين في علاقة الذكور بالإناث، ولم يحدث شيء ينافي الأخلاق أو الحشمة.

وأذكر أن التخوف من تعليم الفتاة، لم يطل كثيرا في المغرب، خصوصا لدى بعض النابهين من العلماء، إذ دعوا إلى تعليمها، بعد أن وعوا أنها ظلت محرومة منه إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، بسبب عدم توفر المغرب على مدارس لتعليم الفتاة التعليم المنشود خلال سنوات الثلاثينيات، رغم اهتمام الحركة الوطنية بفتح مدارس في مختلف حواضر المغرب وبواديه.

ولكن هذه الأفكار تبلورت خلال الاستعداد للمطالبة باستقلال المغرب، في فترة الحرب العالمية الثانية، إذ شعر الجميع بضرورة استقطاب جميع مكونات المجتمع، من ذكور وإناث، لخوض معركة الحرية، وبناء النهضة على أسس متينة، والقضاء على الجهل اللعين.

ومن المدارس الأولى التي فتحت أبوابها لهذه الغاية، مدرسة باب «احساين» بسلا، التي أصبحت فرعا لمدرسة النهضة، ودشنته الأميرة للاعائشة سنة 1947.

فعندما قررت فتح مدرسة خاصة بتعليم الفتاة السلاوية، استأذنت صاحب الجلالة الملك محمد الخامس رحمه الله، في أن تدشنها صاحبة السمو الملكي الأميرة للا عائشة، وأن تحمل اسمها الكريم.

وبعد مدة وجيزة، تلقيت رسالة من مندوبية المعارف الإسلامية بدار المخزن الشريف، أذن صاحب الجلالة فيها بأن يطلق على هذه المدرسة الخاصة بالفتيات اسم «معهد الأميرة للا عائشة العلوية، لتعليم الفتاة السلاوية»، وأن سمو الأميرة ستترأس تدشينها بنفسها.

وأذكر أن حفل التدشين، الذي نظم، كان حفلا تاريخيا، مر في جو بهيج، شكلت من أجل إنجاحه لجن للتزيين، من مدن الدار البيضاء والرباط، وسلا والقنيطرة، وشارك فيه جمهور عظيم من علية القوم، وكان في طليعتهم، شيخ الإسلام السيد محمد بن العربي العلوي وزعيم التحرير، المفكر الإسلامي سيدي محمد علال الفاسي الذي كان لم يمض على رجوعه من المنفى السحيق إلا بضعة شهور.

شعرت في هذا اليوم بالفخر والاعتزاز، كما ساد إحساس حماسي لدى العديد من الوطنيين، لحضور صاحبة السمو الملكي للا عائشة، التي أعطت المثل بنفسها على تنوع ثقافتها، إذ ألقت خطابا باللغة الفرنسية، بعد إلقائها لخطابها الأساسي باللغة العربية بأمر من المغفور له محمد الخامس، مبرهنا على أنه رغم حرصه على اللغة الأم، فلا مانع لدى المغاربة من الاطلاع على الثقافات واللغات الأجنبية.

ولابأس هنا من أن أذكر بمقتطف من خطاب الأميرة الجليلة حين قالت «فلقد أوحى أرباب الأغراض السيئة، والنيات الفاسدة، إلى طبقات الأمة المغربية، أن المرأة خلقت لتكون فريسة للجهل، ومطية للأوهام. فظلت زمنا طويلا تعيش في عالم ضيق الأرجاء، بعيدة عن العرفان، جاهلة لكل ما تتوقف عليه حياة الإنسان، تفصلها في بعض الأحيان عن قرينها أو ابنها حواجز جمة من الأفكار والعادات، حتى كان بين عصرها أحقابا وقرونا، وبين فكرها وفكره، سهولا وحزونا، ألف المغاربة تلك الحال، وظنوها كافية لصيانة المرأة، وحفظها من الهوان، فما فتأوا يحيطونها

بسياج الجهالة، ويطفئون دونها أنوار الثقافة، حتى عمي بصرها وبصيرتها، وكان يستحيل إنقاذها، لولا أن من الله عليها بشجاعة ملكنا المفدى، وسيدنا المرتجى، الذي أعلن أن الجهل لا يمكن أن يكون صائنا للمرأة، ولا ملجأ للفضيلة. بل إن العلم، والعلم وحده، هو منبع الكرامة، ومصدر الأخلاق الفاضلة، وحمى الفتاة الظاهر، بل هو حياة الأمة، والسبيل الوحيد لإنقاذها وتنويرها ورقيها».

وكان للاحتفال دلالتان، أولهما أنه رمز لفتح واجهة جديدة من واجهات محاربة الجهل، بتعليم الفتاة المغربية التي كانت محرومة من التعليم، بينما الأمر الثاني، فيشكل تحديا للمخططات الاستعمارية، التي كانت ترمي إليه من تجهيل وحرب للمعرفة.

وبالمناسبة أذكر أنه في السنوات الأولى للأربعينات، اتفقت والمرحوم المهدي بنبركة، الذي كان نابغة وأستاذاً لمادة الرياضيات، على خلق مستوى تعليمي تجريبي تكميلي للبنات، أبعث بمقتضاه تلاميذ مدينة سلا إلى المدرسة الحرة التي كان يعمل فيها بمدينة الرباط، محطة أولى للبداية في المشروع.

فواجهتنا مشكلة الحصول على الموارد المالية، وجلب الأساتذة المختصين في تدريس بعض المواد، بسبب الخصاص الذي كنا نعاني في عدد الأساتذة.

فبعد ضمان تمتيع الفتاة بتعليم ابتدائي، تبين لنا أن قضية تعليم الفتاة تعليما ثانويا أمر يستوجب منا كل البحث، خاصة وأن رجال الحركة الوطنية، متشبثون بضرورة متابعة الفتاة لدراستها الثانوية، مع اشتراطهم الاهتمام بقضية البرامج، لتكون منسجمة مع المتطلبات التي تحتمها مسؤولية المرأة في المجتمع.

أما قضية اختلاط الجنسين في مدرسة واحدة، فأثارت نقاشا حادا بين المسؤولين في الحركة الوطنية، إذ كان الكثير منهم يطالبون بالتحفظ على هذا الاختلاط، وتجنب ما يجره على المجتمع من عواقب وخيمة.

ولقد كان لموقف بعض العلماء، أمثال الفقيه الحجوي، ومحمد بن العربي العلوي، أثر عظيم في تجاوز هذه المرحلة من التطور المجتمعي بسلام، بعدما ناصروا تعليم الفتاة، مثل ما دعت إليه الحركة الوطنية، وجلالة الملك المغفور له محمد الخامس.

في خضم هذه التطورات، توجه تفكيرنا نحو طلب المساعدة والاستعانة بالطلبة، الذين أنهوا تعليمهم الثانوي، وبالوطنيين الذين تربطنا بهم علاقة نضال وأخوة، ليساهموا في هذا العمل، من خلال منح دروس إضافية لفائدة التلاميذ الجدد بشكل تطوعي، فأسسنا قسما مشتركا، لأن عدد التلاميذ كان محدودا.

ولَدَى التحضير لمشروع مواصلة تعليم الفتاة إلى مستويات تفوق المستوى الابتدائي، صادفتنا مشكلة حول صعوبة نقل الفتيات من مدينتهن سلا إلى الرباط، لأجل استكمال الدراسة، وبالتالي صعوبة إقناع الآباء بهذا الموضوع، ناهيك عن المشقة التي ستتكبدها الفتيات عند عبور وادي (أبي رقراق) عن طريق القوارب الصغيرة، لأنه لم تكن تتوفر وسائل نقل عمومية حينذاك.

حينها فكرت في تأسيس أقسام تكميلية خاصة بالفتيات في مدينة سلا، فبعثت برسالة إلى الملك الراحل محمد الخامس، طلبت منه أن يأذن لي فيها بتأسيس قسم تكميلي ثانوي خاص بالفتيات. وكنت أرجو من خلال الطلب مساعدتي ماديا ومعنويا، وبالفعل، توصلت برد إيجابي، فأصبحت تتوفر المدرسة على قسم ثانوي خاص بتعليم الفتيات، قبل تخصيص قسم ثانوي للذكور، وأصبح بإمكان التلاميذ اجتياز امتحانات الباكالوريا، والالتحاق بالتعليم الجامعي.

وأتذكر بهذه المناسبة أن الفتيات، كن مثاليات في الاجتهاد والتحصيل الدراسي، كما كن مثاليات في تحليهن بالأخلاق الحميدة، ولذلك لم تقع ضجة ضد تعليم الفتيات بالمغرب، كما وقع حينذاك في مصر.

بل إن الملك الراحل محمد الخامس، كان من المشجعين والمؤيدين لتعليم الفتيات رغم العراقيل، التي كانت تمارسها عليه السلطة الاستعمارية، التي كانت ضد التعليم بشكل عام.

وهنا يجب أن أسجل موقف المغفور له محمد الخامس، الذي أعطى المثال من بناته اللواتي أقبلن على التعليم، ويدعون إليه في كل المناسبات.

وهكذا توالى فتح المدارس الخاصة في بعض المدن المغربية، كانت تطبق فيها برامج تعليمية، أقرتها الهيآت الثقافية والشخصيات العلمية، ولم تترك مجالا لإثارة مشاكل، كان يتخوف مجتمعنا المغربي المسلم من الوقوع فيها.

5) المطالبة بالاستقلال مرحلة حاسمة في معركة بناء مغرب عصري :

كانت الحركة الوطنية ترمي، منذ تأسيسها، إلى الاستقلال، ورفض الحماية الفرنسية على المغرب، فمن محاربة الظهير البربري، إلى المطالبة بالاصلاحات، إلى مجيء الحرب العالمية الثانية، إلى بلوغنا مرحلة المطالبة بالاستقلال، هذه الأخيرة، التي شكلت مرحلة حاسمة في معركة بناء مغرب عصري.

«ع.غ»

في هذه الفترة ظهرت حقيقة عمل الحركة الوطنية من خلال رفضها للاستعمار، وإصرارها على طرده من جهة، ومن جهة ثانية، تبين للفرنسيين والعالم، أنها حركة تريد وتعمل على تطوير المغرب في دائرة الاستقلال، لا في دائرة الحماية، في جو تتاح فيه ممارسة الديموقراطية، والتمتع بالحريات الأساسية.

ودخلنا لأجل تحقيق ذلك في معركة مع السلطات الفرنسية، خصوصا مع الجنرال جوان، فتوضح للفرنسين أنه خاب ما كانوا يأملون فيه من إلحاق المغرب بفرنسا، واعتباره امتدادا لها، أو مقاطعة فرنسية ضمن الإمبراطورية الفرنسية الكبرى، التي كانوا يحلمون بها، وتبخر كل شيء.

لقد كشفت لهم مطالبتنا بالاستقلال، حقيقة كانوا يغضون الطرف عنها دائما، فعلموا أن ما يفعله الوطنيون دليل على أن المغرب ينشد الاستقلال، وأن المغاربة يتطلعون إلى الحرية، ما زاد في غضب سلطات الحماية الفرنسية.

وعندما سافر محمد الخامس سنة 1947 إلى طنجة، تبينت للفرنسيين مجموعة من الحقائق، من بينها أن الملك محمد الخامس يسير على خطى موازية لموقف الحركة الوطنية، وأنه كشف علنا عن رفضه الاندماج في فرنسا من جهة، وأنه يربط مصير المغرب ووجوده بالعائلة الإسلامية وبالجامعة العربية.

أدرك الفرنسيون أن المغرب يسير في اتجاه غير الذي خططوا له، وتأكد ذلك من خلال الخطاب الذي ألقاه المغفور له محمد الخامس في 9 أبريل من سنة 1947، ليرسم التوجهات التي يعتزم تنفيذها المغرب الحر المستقل، سواء في وحدته الترابية، أو ارتباطاته الدولية، أو تنظيماته الداخلية.

لقد جعلهم الخطاب الملكي يحنقون بصفة خاصة على الملك، ويقاومون السياسة التي كان يسلكها المقيم العام (إريك لامون) ويطالبون بإعفائه من الإقامة العامة، وأدى الأمر إلى تعويضه بالجنرال جوان.

فجاء جوان بقوته وغطرسته، معتمدا على مكانته في الجيش، بفكرة محو لفظة الاستقلال من أفواه المغاربة.

حقيقة، في هذه الفترة دخلنا ملكا وشعبا في مواجهة مع السلطات الفرنسية، خصوصا وأن جوان كان يريد فرض سياسة التبعية بالقوة.

وهي معركة طويلة امتدت أحداثها من سنة 1947 إلى حدود سنة 1953، السنة التي نفي فيها محمد الخامس متعه الله بفسيح جنانه.

وهنا لابد أن أشير إلى حقيقة تاريخية مهمة، وإن كنت سأعود قليلا إلى الماضي، إلى سنة 1946، فبعد خروجنا من السجن، استدعي محمد الخامس لزيارة فرنسا، واستقبلوه استقبالا كبيرا، ومنحوه اعتبارا عظيما، إذ استقبله الرئيس الفرنسي شارل دوغول، وزيادة في اعتباره، وشحه بوسام رفيق التحرير، يعترف من خلاله بمساهمة جلالة الملك المغفور له محمد الخامس في تحرير العالم، بعد مساندته للحلفاء، ضد التوسع الألماني.

وبعبارة أخرى، كانوا يعتبرون محمد الخامس رفيق التحرير، فقررنا في العمل الوطني استغلال هذه النقطة، عند المطالبة بالحرية والاستقلال، مستندين في ذلك على أنه مادام المغاربة من دعاة الحرية، ومن المساهمين في حرية الشعوب، فكيف لنا أن نحرم كمغاربة من استنشاق هذه الحرية.

لقد اغتنم محمد الخامس وجوده مع دوغول، لمناقشته حول مطالب المغرب بالاستقلال، فجامله دوغول من خلال اعترافه للمغاربة بالمساهمة في تحريرهم، لكن رفض أن يناقشه في موضوع الاستقلال، بما يفيد أن الفرنسيين كانوا يرفضون رفضا باتا الحديث حول استقلال المغرب، كما يرفضون أن يتوجه تفكير المغاربة نحو معانقة الحرية، وخروج فرنسا من المغرب.

فلما أصبح رفض الاستقلال حقيقة واقعية عندهم، جاء جوان بإصلاحات قدمها للملك، وذلك كان ما بين سنة 1949 وسنة 1950، فدخل الجنرال نفسه في عراك مع الملك محمد الخامس، حيث أراد أن يفرضها عليه، وكانت تلك الإصلاحات ترمي إلى مشاركة الجالية الفرنسية في القرارات التي ستتخذ لما يطالب به الشعب المغربي.

فالفرنسيون كانوا يطمحون إلى أن تشكل مجالس بلدية مشتركة، ينتخب أعضاؤها بالتساوي بين المغاربة والفرنسين، وكان في ذلك تطاول على حقوق المغاربة، خصوصا وأن سكان المغرب يتجاوز عددهم تسعة ملايين نسمة، بينما الفرنسيون كان 450 ألف نسمة لا غير.

كان كل هم الفرنسيين التمتع بحق التقرير وفرض ما يريدون، بل وتعدى مطمحهم إلى المشاركة في الحكومة، وتقرير ما يشاؤون داخلها.

إجمالا كانوا يريدون فرنسة المغرب بطريقتهم الخاصة، فرفض المغفور له محمد الخامس ما أسموه بالاصلاحات، بعدها نشر الفرنسيون دعايات صحفية عالمية، مضمونها أن الملك يرفض الإصلاحات، ويرفض الانتخاب.

وفي مقابل ذلك قام رجال الحركة الوطنية بدعاية موسعة داخل وخارج المغرب، بمساهمة من البعثة الطلابية المغربية التي درست في مصر، والتي شكلت «لجنة الدفاع عن مراكش» (أي المغرب) لأنه حينذاك كان يطلق على المغرب اسم مراكش.

وبذلت الحركة الوطنية جهدا كبيرا للرد على الدعاية الفرنسية لتسفيهها، وبلغ الاحتجاج إلى الجامعة العربية، إذ أدلى أمينها العام، المجاهد عبد الرحمان عزام، بتصريحات لصالح المغرب، وتأييد مطالبه في الحرية والاستقلال.

فهز ذلك الفرنسيين، بعدما توصلوا إلى قناعة بأن قضية المغرب امتدت إلى أقطار عربية، بعد تأسيس الأمم المتحدة في السنوات الأولى للخمسينيات، لم يكن يتوفر المغرب حينها على حق العضوية فيها، لوجودنا تحت الحماية الفرنسية، لكن مع ذلك كنا نصر على تبليغ صوتنا إلى المنتظم الدولي، ففكر أحمد بلافريج في أخذ عضوية الوفد الباكستاني بالأمم المتحدة، لإلقاء كلمة تحدث فيها عن المغرب باسم باكستان إلى جانب عبد الرحمان عزام الذي كان يتحدث باسم الدول العربية.

ففي هذه الفترة أصبح ينظر إلى الملك محمد الخامس أنه ليس بملك الحماية، وإنما ملك الاستقلال.

وفي واقع الأمر كانت هذه المرحلة فترة شد وجذب، ومرحلة نشوب أزمة بين الملك والفرنسيين.

بسبب ذلك فكر الفرنسيون في إرغام الملك على توقيع ما كانوا يسمونها إصلاحات بالإكراه، بعد أن تشبث الملك بموقفه المضاد لها، وتحت الضغط والإكراه، وقع الملك على اقتراحات المقيم العام، ومن جملتها إبعاد جميع أعضاء ديوانه الملكي من الذين ينشطون في الدفاع عن وطنيتهم من القصر، وكان توقيع المغفور له محمد الخامس، يكتب دائما بعبارة «صار بالبال»، فطبق الفرنسيون سياستهم.

وبالموازاة مع ذلك، واكبت الصحافة بالمشرق العربي خاصة المصرية، كل هذه الأحداث، وكانت تنشر حقائق الأحداث، وتؤيد مطالب الشعب المغربي.

وزيادة في التعريف بمطالب الشعب، بعثت مصر بأشهر صحافييها وكان اسمه عزمي، وطلب مقابلة الملك محمد الخامس، فقبل طلبه، وصرح له الملك أن توقيعه على مقترحات الفرنسيين كان تحت الإكراه.

فكتب الصحافي الخبر وانفجرت قنبلة، مفادها أن الفرنسيين كذبوا على الملك.

في هذه الفترة استبدل الجنرال جوان بالجنرال كيوم، بعد أن أصبحت للأول مهام عسكرية موسعة على النطاق الدولي.

أما كيوم فدخل المغرب مسلحا بحقد وجبروت جوان مضاعفا، إذ هدد محمد الخامس بخلعه إذا لم ينفذ الإصلاحات المقترحة من الفرنسيين.

ومع تطور الأحداث عمل الجنرال على الضغط على بعض رجال البادية للمطالبة بخلع الملك، لأنه يرفض الإصلاحات، أو بعبارة أخرى أرادوا إقناعه بثورة شعبه عليه.

وأمام إصرار الملك على رفض إصلاحاتهم، وصل بهم جنونهم إلى نفي جلالته مع أفراد عائلته الملكية إلى كورسيكا ثم إلى مدغشقر.

فخلف النفي ثورة شعبية في المغرب، اندلعت بعدها ضجة في العالم بأكمله.

وحقيقة لعب بعض الإخوان في العالم العربي، أدوارا مهمة جعلت فترة نفيه محدودة في الزمان.

وفي واقع الأمر، كان لنفي محمد الخامس أثر كبير على قلوب المغاربة، بعد أن ظن الفرنسيون أن الشعب سيرضخ أمام القوة الاستعمارية،

فإذا به حدث عكس ما كان متوقعا، ونشأت هزة في المغرب، ما أعطى لذلك أهمية كبرى، وبعد النفي، جاء نداء القاهرة في صوت العرب، بعد نصف ساعة من نفيه ألقاه الزعيم علال الفاسي، مفاده رفض المغاربة لأي بديل لمحمد الخامس، ودعا إلى مقاومة بديلة.

واستجابة لذلك، استشهد علال بن عبد الله حين أراد تصفية بن عرفة، بعد أن حركه شعوره لينتقم للملك بمبادرة فردية.

بعد هذه المرحلة أصبح الدفاع والمقاومة منظمين، ومن أبطالهما الأوائل حقيقة كان هو محمد الزرقطوني رحمه الله، الذي ضحى بنفسه لكي لا يبوح بالسر حين اعتقاله.

فانطلقت المقاومة من المدن، وتقوت في الدار البيضاء وانتشرت في الرباط ومراكش، وبلغت البادية كأبي الجعد، وواد زم.

واحتجاجا على إبعاد محمد الخامس، كانت الدعوة إلى مقاطعة التدخين بصفته منتوجا أجنبيا، ولم يحتفل بعيد الأضحى كتعبير عن الحزن، بينما دعي الجميع لأداء صلاة الجمعة والدعاء للملك محمد الخامس، وإلى تصفية بعض المناصرين لابن عرفة الملك المزعوم.

فتفاجأ الفرنسيون من موقف الشعب نحو ملكهم، فلما نفي الملك كنت آنذاك ومجموعة من الإخوان في السجن، حيث كانت تصلنا أصداء ما يقع من أحداث ومقاومات.

كنت متهما بالتضامن مع الجهات التي دعت إلى شن إضرابات احتجاجية على مقتل فرحات حشاد، والذي نفذ على نطاق كل طبقات الشعب المغربي وكانت القوات الفرنسية تفتك فتكا عظيما بالعمال المغاربة، وبعد المظاهرات في مختلف المدن والبوادي، قدم الكثيرون إلى المحاكم العسكرية.

بعد كل هذه الأحداث تطورت أمور الفداء إلى التفكير في إنشاء جيش التحرير، من خلال الهجوم على مناطق الجيش وأخذ الأسلحة منه، والتصدي لمقاومة المستعمر.

فتخوف الفرنسيون، وأجروا مشاورات بين بعض عقلاء الفرنسيين، لإيجاد حلول للأزمة فظهرت طائفتان، الأولى متشددة ترغب في الهجوم على المغاربة، وطائفة ثانية كانت تبحث عن حل سياسي.

فجاءت مفاوضات «إيكس ليبان» التي دعيت لحضورها شخصيات وطنية وغير وطنية، وانطلق التفاوض بين المغرب وفرنسا، نتيجة الأحداث التي كانت تقع في المغرب، لذلك تشبث وفد حزب الاستقلال الذي كان في «إيكس ليبان» بضرورة عودة محمد الخامس إلى أرض الوطن، ليكون التفاوض معه، لتشييد أسس علاقات سياسية بين المغرب وفرنسا، يحصل بموجبها المغرب على حريته.

ولن أطيل في الحديث عن «إيكس ليبان» لأنه موضوع شاسع جدا، وعرف العديد من التطورات، من بدايته إلى فترة عودة محمد الخامس من المنفى إلى فرنسا، ومنها إلى المغرب. فعودة الملك كانت في الواقع انتصارا لا جدال فيه، والخطأ الذي ارتكب في مفاوضات «إيكس ليبان» هو القبول بدمج مفاوضين من الذين ساندوا فعلا الملك محمد الخامس، مع آخرين كانوا يصنفون ضمن الخونة، من قبيل الكلاوي وعبد الحي الكتاني وما شابههم.

وبعد تحقيق الاستقلال، استعد الوطنيون لحكم البلاد، لكن لم تسر الأمور بالشكل المطلوب، والواقع أن الفكر الوطني كان مقسما إلى قسمين، إذ شكل فريق يدافع على أهلية رجال الحركة الوطنية لتسيير البلاد، الذين كافحوا من أجل الاستقلال، وفريق آخر يدافع على فكرة إشراك جميع المغاربة في حكم وتسيير البلاد، لكن اللين الذي نهجه الفريق الثاني هو الذي «أدخل علينا الماء» صراحة.

فالآن نعيش تبعات سلبية ذلك القرار، أي منذ سنة 1958 إلى اليوم وشخصيا لست راضيا على تلك النتائج.

6) استعملت سلطات الحماية المناورات والتهديدات لفرنسة المغرب :

الأداء السياسي لدى بعض الشخصيات السياسية كان قاصرا بسبب تغليب المادة والمصالح المادية على الروح الوطنية.

ع. ع.

لقد ظن بعض الأشخاص أن النضال انتهى مع حصول المغرب على الاستقلال من القوى الأجنبية، لكن في واقع الأمر، لايزال وطننا محتاجا إلى وطنيين، يضحون بما امتلكوا من قدرات مالية ومعنوية.

أنا متأسف جدا للتواكل الحاصل في الممارسة الحزبية، ولنترك للظروف تبرهن لنا على ما سيحدث في المستقبل البعيد والقريب.

لكن لابد أن أذكر أن الروح النضالية الحقيقية، تتطلب شروطا لتنفيذها، تتطلب من السياسيين إعطاء المثل والعبرة، من خلال العدول عن كثرة الكلام دون عمل جدّي، فالخطابات في الصالونات لا تفيد، والمهم هو الخروج إلى الميدان، وتحمل المسؤولية، وتنفيذ الإصلاحات المنشودة، وتقديم البرهان للعامة لكي ينظروا بعين الجد إلى إصلاحات الساسة.

والجري وراء المناصب الحكومية، أو العضوية في البرلمان على سبيل المثال، دون تقديم خدمات حقيقية للوطن، يفقد ثقة الشعب في هؤلاء، ويخلق شرخا بين الساسة وعموم الشعب.

أنا لست فاقدا للأمل في الغد، ولا يائسا من شباب وشابات المغرب، بل هناك العديد من التطورات التي ينتظر حصولها بالمغرب، لكن لابد من الصمود، والتنزه عن الماديات، والالتزام بالانضباط الأخلاقي.

في نظري الوطنية أخلاق وسلوك قبل أي شيء آخر. فالوطني هو الذي لا يشعر الآخر بتغليب مصلحته الشخصية والمادية على عمله الوطني، بل الوطني هو الشخص المتسلح بالإيثار، لاستعادة الثقة في نفوس الشعب، ومحاسبة الذات ومراجعتها، لأن المغاربة في عمقهم لهم روح النضال، لكن لابد من إعطاء المثال.

فمحمد الخامس لما أعطى المثال، أصبح يرى في القمر من طرف عيون الشعب.

وأعتقد أن السبب وراء شكل وأسلوب الأداء السياسي الحالي، أن بعض المسؤولين في تسيير شؤون البلاد الآن، وجدوا المغرب مهيأ ومستقلا، ولم يعرفوا أن استقلاله لم يحقق بشكل سهل، لذلك فمن الواجب عليهم الحفاظ على المغرب، وعلى هذا المكتسب، لكي تمشي الأمور بسلام.

فعندما يؤسس حزب كيفما كان نوعه وتوجهه الفكري، من المفروض أنه يتوفر على برنامج سياسي ومبادئ، تحتم على العاملين فيه، محاسبة الذات بناء على ما طبق من البرامج.

فعندما يأتي اليوم الذي تحاسب فيه الأحزاب نفسها حقيقة، وتتحمل النتائج بصدق وارتياح ضمير، وثقة في النفس، سنعيش في الرغد السياسي في مختلف المجالات الأخرى.

مع الأسف اليوم نعاني من كثرة الأحزاب، لكن دون تربية صحيحة، ولا ينبغي أن يفسر الأمر بأنني ضد التعددية الحزبية.

ويجب الانتباه إلى التطور الذي يحصل في المغرب حتى يسير التطور في المنهج السديد، الذي من شأنه أن يؤدي إلى تحرك شعبي قويم.

وعندما تتضح بعض الحقائق، حين ذاك، سيتمتع المغرب بمكانته التي يستحقها.

أقول ذلك لأنني كفرد من مؤسسي حزب الاستقلال، بذلت جهدي في العمل الوطني، ووجودي الوطني دام 72 سنة، وأحب أن تسير القافلة الوطنية في الطريق السديد.

ومن واجبي القول، إن الأحزاب ملزمة بتعليم الأجيال أصول التربية الوطنية، من خلال برمجة دروس في تاريخ نهضات الأمم، وشروط حركة نجاح الحركة الوطنية المغربية، وتربية الشباب على ذلك في الكشفيات

والمخيمات والجمعيات، لكن على أساس أن يتحلى المربي بالمثل العليا ويعطى المثل من نفسه.

إن الوطنية الحقيقية شرف، والوطني الحقيقي لابد أن يكون شريفا، نقي القلب، طاهر اللسان.

وإذا كانت الوطنية تخدم بالسياسية، فالسياسة الوطنية لابد لها من أخلاق، وإذا انتفت الأخلاق فيحكم عليها بالاضمحلال، الوطنية شرف وشرفها في أخلاقها ونزاهتها.

7) اعتقلونا وعذبونا وأعدموا رفاقنا الوطنيين :

اعتقلت لأول مرة بعد مرور سنتين على فتحي للمكتب الإسلامي بسلا سنة 1933.

وكان سب الاعتقال أنني قررت تأسيس فرع جديد له استجابة للأعداد المتزايدة عليه من التلاميذ الجدد، ونجاحه كمشروع تربوي وتعليمي، ولأنني لم أكترث لمعارضات سلطات الحماية الفرنسية، كما لم أعر أي اهتمام لموضوع انتظار الإذن منها.

ولأنني لم أكن أملك مقرا لتنفيذ مشروعي، مكنني شخص كان اسمه محمد الصابونجي، من رسم منزل حبسه والده لأجل دراسة الأبناء.

وعلى الفور، قررت تعيين معلم كان يدرس بالمدرسة الأولى ليعلم التلاميذ الجدد.

وبمجرد انطلاقنا في هذه الخطوة، قامت الإدارة الفرنسية وقعدت رافضة ما أقدمت عليه، فاستدعاني الباشا، كما استدعى المعلم الذي عينته بفرع المدرسة، واستقبلني بفظاظة واستجوبني عن دواعي فتح مؤسسة تعليمية دون إذن منه.

فأوضحت له في الحين، ودون تردد أنني حر في التصرف في محل أصبح ضمن أملاكي، وأنه لا دخل لأي كان لمنعي من التصرف فيه.

وزدت في القول بكل إصرار إن المدرسة، مدرسة عربية قرآنية، وذكرته بأنه ليس من حق الفرنسيين التدخل في الأمور الدينية.

فطلب مني كل من الباشا والمندوب المخزني الفرنسي تمكينه من مفتاح المنزل، فرفضت بإصرار.

عندها أمروا باعتقالي في مكان منعزل، وبعدها نقلوني إلى سجن مدينة الرباط.

ولم يكفهم ذلك، فأمروا المعلم، الذي كان وطنيا حرا، بالامتناع عن الذهاب إلى المدرسة، فرفض الخضوع لأوامرهم، بعد أن أخبرهم أنه لا يشتغل معهم، فأمروا باعتقاله أيضا، فحشرونا أولا مع المجرمين، ثم أخذونا إلى زنزانة خاصة.

أمام كل هذه التطورات، أمروا بالبحث عن صاحب الملك الذي حبس المنزل، ومكنني منه فلم يجدوه في سلا، لكن ألقي عليه القبض في مدينة الخميسات، وأحضر إلى سلا، حيث أدخلوه إلى الباشا، واعترف بكونه منحني حق التصرف في ملكه، فحاولوا الضغط عليه لاسترداد ملكه، لكنه رفض، فاعتقلوه بدوره وساقوه إلى سجن الرباط.

كان الفرنسيون يعتبرونه مجرما، في ما نحن كنا نعتبره رجلا وطنيا كريما، وفاعل خير.

لما ألقي بنا نحن الثلاثة في السجن، نظمت التظاهرات تضامنا معنا، وقدمت خلالها عرائض موقعة من قبل الشعب، تحتج على إلقاء القبض علينا.

وبعد فترة قدمنا إلى المحاكمة في دار الباشا، فعلم أصدقاؤنا من شباب الحركة الوطنية بموعد المحاكمة، فغصت بهم قاعة المحكمة، وصدر حكم يقضي بأن الفترة القصيرة التي قضيناها في السجن، كافية لعقابنا، فأطلق سراحنا.

ونحن خارجون من القاعة، صفق الأصدقاء دلالة على الانتصار، مما أغاظ الفرنسيين، ونظرا لحمقهم، أمروا باعتقال الشباب المبادرين بالتصفيقات، ولم يطلق سراحهم سوى أيام بعد ذلك.

وهكذا لم نغادر نحن السجن، حتى دخله آخرون، وكان من بينهم صديقي سعيد حجي.

وفي سنة 1936، ألقي علي القبض للمرة الثانية، بسبب مظاهرة صاخبة، كنا من الداعين والمنظمين لها، للمطالبة بتنفيذ الإصلاحات المستعجلة.

كنا في هذه الفترة نعقد الاجتماعات، وننظم المظاهرات، لتمتيعنا بالحريات العامة، إلى أن ألقي القبض علينا من قبل الإدارة الفرنسية.

ودامت مدة اعتقالنا 26 يوما، أثيرت بسببها ضجة في فرنسا، فأمر الباشا بإحضارنا إليه، وطلب منا استنكار المظاهرات، والتبرؤ من المطالبة المستعجلة.

وبطبيعة الحال رفضنا الاستجابة، لكنه اضطر إلى الإفراج علينا، أما الاعتقال الثالث، فنفذ في حقي في سنة 1937 بسبب قرار الحزب الوطني قطع الاتصالات مع الإدارة الفرنسية، فأصدرت الإقامة العامة الفرنسية قرارا يقضي بالحكم على كل من ألقى خطبة في المسجد، بسنة أو سنتين سجنا نافذا، لأنه في المسجد يدعى الجميع لتنظيم المظاهرات، ومنه تنطلق بعد الصلوات، وهكذا قضيت سنة كاملة في السجن.

اعتقالات سنوات الأربعينيات بعدما طالبنا بالاستقلال في 11 يناير من سنة 1944، وكنت أحد الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال، اعتقلت للمرة الرابعة، وحكم علي بما يقارب سنتين سجنا، انتقلت خلالها بين سجن الرباط، وسجن غبيلة بالدار البيضاء، وسجن العاذر بالقرب من مدينة الجديدة.

كانت السلطات الفرنسية خلال هذه الفترة، لا تأذن لنا بالخروج من الزنازن سوى نصف ساعة في الصباح، ومثلها في الفترة المسائية لشم الهواء.

وكانت فترة الاستراحة هذه فرصة ثمينة للوطنيين السجناء، إذ كنا نتبادل الحديث بيننا من خلال زوايا الساحة المسيجة بالقضبان الحديدية الغليظة.

كان الشهران الأولان في السجن، بعد حوادث 11 يناير 1944، قاسيين جدا بسبب اكتظاظ الزنزانة بالسجناء، وفقدان الأكل بالمرة في بعض الظروف، ومع ذلك كانت إدارة السجن لا تسمح لأهالينا بتزويدنا بما كنا نحتاجه من أكل، وأصرت أن نكتفي بما يهيأ للسجناء من حساء، الذي كان عبارة عن ماء أسود توضع فيه بعض الحبات من الفول أو العدس، وكانت تقدم لنا حوالي الساعة الخامسة مساء مع خبزة صغيرة باردة، واستوى في ذلك أبناء الميسورين، وأبناء الفقراء.

ومن الوجوه التي كانت معنا في السجن، الوطنيون الذين قضوا فترة في معتقل «كانكارني»، حيث ذاقوا كل صنوف العذاب على أيدي العسكريين القساة، وغلاظ القلوب، وحكى لنا المرحوم عبد السلام النجار، الذي كنا نطلق عليه «شرطي الوطن»، والذي أدى دورا مهما وجريئا وشجاعا يوم المظاهرة، كيف كانوا يلزمونه بتنفيذ خدمات قاسية، إذ كانوا يأمرونه بخلع قميصه ليجفف به الزنزانة، التي يقطن بها، ثم يلبسه على الحالة التي هو عليها.

وفضلا عن ذلك، أذاقوه عذابا وأشبعوه ضربا ففي السجن، كان البعض منا يقضي وقته في قراءة القرآن والمذاكرة، وآخرون يقضون وقتهم في التعاليق والأحاديث والحكايات، إلى غير ذلك من الأمور التي يحاولون بها أن يقتلوا الوقت.

كان السجناء يقفون وقفة الشهم في ما بينهم، ولقد رأيت من الشاب المناضل عبد الرحمان بن عبد العالي تصرفا نبيلا، بعد أن لاحظ أن بعض رفقائه الوطنيين يلبس لباسا رثا لا يكاد يقيه من البرد، وبتلقائية وتطوع، خلع جلبابه، وألبسه إياه.

فوجدت في ذلك من خلق الإيثار، ما لم يتصف به سوى القليلين، الذين تربوا على الأخلاق الإسلامية المثلى، الداعية إلى الإحسان، وفعل المعروف، وحب الخير للآخرين.

ففي السجن كان يوجد الوطنيون الذين عرفوا مقاصدهم ومطالبهم، كما كان به آخرون جرفهم السيل ولاشيء غير ذلك، ولربما كانوا مارين في الشارع، فاتهموا بمشاركتهم في المظاهرة، واعتقلوا.

ولم تمض إلا نحو 15 يوما أو أكثر بقليل على هذه الحالة، حتى صار يستدعى للاستنطاق بعض الأفراد، وكانت البداية بالذين لم يعرف عنهم انتماؤهم إلى الوطنيين.

فأخلي سبيل أغلبهم، بعد أن التزموا بابتعادهم عن كل ما من شأنه الإخلال بالأمن العام، بينما حكم على آخرين بمدد مختلفة تبتدئ بالشهر، وتنتهي بالسنة.

وبذلك صار يتناقص عددنا شيئا فشيئا، إلى أن بقينا أربعة، عبد ربه، وعبد الرحيم بوعبيد، وقاسم الزهيري ومحمد البقالي.

لكن لم ندع للاستنطاق، ولم نعلم حينها بالسبب، لكن علمنا في ما بعد أن الإدارة الاستعمارية كانت تبيت لنا أمرا أدهى، لتحيلنا على المحكمة العسكرية، كمسؤولين أساسيين عن كل الأحداث التي وقعت في سلا.

ونظرا لقلة عددنا، نقلنا إلى زنزانة أصغر من التي كنا فيها، ثم صرنا ننتقل من زنزانة إلى أخرى.

إعدام المناضل أحمد بنعبود :

فتحت لنا أبواب السجن المدني بالرباط عشية 30 يناير من سنة 1944، أي بعد مرور عشرين يوما على تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال.

وذات ليلة ونحن في زنزانة صغيرة في القسم المسمى بالقسم الأوروبي، وأتذكر أنه كانت مضت على دخولنا السجن نحو 50 يوما.

وسمعت في غسق الليل، صوتا يناديني باسمي، فأرخيت أذني وأرهفت سمعي، واستيقظ من معي في الزنزانة، وأنصتنا إلى ذلك الصوت الآتي من بعيد، يتسلل إلينا من ثقبة مفتاح باب الزنزانة.

فإذا بهذا الصوت يقول (أسيدي بوبكر لا تخف علي، لا تخف علي، أنا أحمد بنعبود).

وسكت الصوت، وانطلقنا نفكر ونخمن ونؤول، ماذا يقصد بقوله ذلك.

في الصباح الباكر أو في المساء، لست أذكر بالضبط، وحركة السجن هادئة، فتحت النافذة الصغرى الواقعة في دفة باب الزنزانة، فإذا بسجين عليه وقار يناديني، وقال لي إن «الشاب بنعبود السجين أخذوه إلى المقصلة لينفذ فيه حكم الإعدام، ولقد قضيت معه ليلة إعدامه أذاكره وأسليه، فإذا هو ثابت مستسلم لقضاء الله غير منزعج ولا خائف».

وأخبرني الشخص ذاته، أنه كلفه أن يخبرني بالمصير الذي ينتظره رحمه الله.

ولم أعرف مقصود بنعبود، بقوله «لا تخف علي»، إلا عند خروجي من السجن، الذي قضيت به عشرين شهرا، إذ حكى لي الصديق المرحوم الحاج أحمد بناني، أن الفرنسيين كانوا يتآمرون ضدي وبعض الإخوان الموجودين معي بالسجن، لتقديمنا للمحكمة العسكرية، بتهم القتل والتحريض في الغالب.

وأعتقد أنه أثناء استنطاق بنعبود وتعذيبه، كانوا يطلبون منه أن يصرح بأننا نحن الذين حرضناه على اغتيال الشرطي «دافيد»، الذي اتهم بقتله.

ولعل ذلك ما دفعه، وهو يعلم أنه مقبل على الموت، أن يناديني ليقول «لا تخف علي».

لقد أحدث إعدام الشهداء في ليلة عيد المولد النبوي، رجة في نفوسنا، ونحن داخل السجن، وشاهدت العديد من الإخوان الذين بكوا وتألموا.

وعلى العموم، اتهم بنعبود بقتل الشرطي يوم المظاهرة، ولست أستبعد أن يكون هو الذي قتله، لما رآه يصوب بندقيته اتجاه المتظاهرين الوطنيين، ولست متأكدا.

الانتقال من سجن إلى سجن :

ذات يوم استدعينا إلى المراقبة المدنية بمدينة سلا، حيث وضعنا في سجن (بِيهِي)، هذا السجن الصغير كان عبارة عن مكان يحبس فيه المعتقلون إلى حين الحسم في قضيتهم، إذ كان عبارة عن بيت لا يتوفر على فراش، ولا ماء، ولا على مرحاض، كان يكدس فيه السجناء تكديسا، وبه وقضينا ليلة واحدة قبل أن نحال على محكمة الجنايات بالرباط.

وأتذكر أن سجن مدينة الرباط، كان مكانا غير معد لاستقبال السجناء، باستثناء القسم الأوروبي منه، إذ كان على ما يظهر معدا لخزن وادخار بعض المعدات الحربية من بارود وغيره، وكان يشتمل على غرف كبرى مظلمة، وبه مرحاض واحد في كل غرفة.

بعد أن قضينا نحو 10 أشهر بالسجن المدني بالرباط دون محاكمة، نقلنا إلى سجن غبيلة بالدارالبيضاء، الذي كانت تختلف هندسته كل الاختلاف عن سجن الرباط، بسبب تخصيص بنايته لاستقبال السجناء.

وفيه كان الحراس يستقبلون الضيوف السجناء بمنتهى ما يكون من اعتبار، يأخذون كل ما في جيوبهم من دراهم، وأوراق، وأقلام، وينزعون من أياديهم

الساعات إن كانت بها، كما يأخذون منهم الكتب، ولا يتركون لهم سوى الملابس التي يرتدونها، في انتظار أن تنزع هي بدورها منهم في وقت لاحق.

وبعد أن قضينا ليلة كاملة بهذا السجن، قيدوا أيدينا بالسلاسل مع حلول الصباح، ورحلونا مرة أخرى إلى السجن الفلاحي (العاذر) الواقع بين مدينة أزمور والجديدة، حيث أعدم الكثير من المقاومين المغاربة.

فبمجرد وصولنا إلى السجن، أخذونا إلى غرفة كبيرة، وأمرونا بنزع ثيابنا كلها بما فيها التبان القصير، فبقينا عراة كما خلقنا ربنا.

ولأن الأوامر كانت نهائية ولا تقبل المناقشة، توجهنا صوب الحمام، فصبوا علينا الماء، ثم أعادونا إلى غرفة الملابس، ومنها وضعونا في الزنازن الكبرى المخصصة للمجرمين الكبار، وزيادة في الانتقام والكره، انتهجوا أسلوب التفرقة بيننا حتى لا نبقى مستأنسين ببعضنا.

كنا في هذا السجن مرغمين على الخدمة، إذ كنا نخرج، على سبيل المثال، في الصباح، نذهب صوب شاطئ قريب من مدينة أزمور مشيا على الأقدام، لنجمع الحصى ونضعه في الشاحنات، لاستعماله في البناء.

وأتذكر أنه كان من بين الحراس فرنسيون، يتحكمون في الأمر، وهم يمتطون الخيول المطهمة، فيما نحن مساقون أمامهم كأننا بهائم.

ولدى عودتنا إلى السجن من الخدمة، كنا نمر بجانب باب المطبخ، قبل وصولنا إلى زنازننا، حيث كانت به نافذة صغيرة يمدوننا منها بخبزة صغيرة، «من صنع محلي»، أي من صنع السجناء أنفسهم.

وتحت النافذة، وعلى طول جدار المطبخ، وضعت على الأرض أواني صغيرة من فخار، تكون مملوءة بماء متغير اللون.

فيمر من أمامها السجناء مرتبين واحدا وراء الآخر، فيأخذ كل سجين آنية واحدة منها، ثم ينحني على الأرض ليتناول عشاءه، وكل ذلك يسير

بنظام محكم، فلا تسمع ضجيجا ولا صخبا ولا تسابقا بين السجناء، خصوصا وأن الأكلة موحدة، وغير متفاوتة مع بعضها.

وفي سنة 1952 ألقي علي القبض، ومعي مجموعة أخرى من رجال الحركة الوطنية، بسبب أحداث الإضراب الاحتجاجي على اغتيال المناضل فرحات حشاد، والذي نتج عنه سقوط العديد من المناضلين تحت وابل رصاص الفرنسيين، ونفذت سلسلة من الاعتقالات.

فخلال هذه الفترة خضعت للاستنطاق لدى شرطة الدار البيضاء أو المحكمة العسكرية الفرنسية، وبعدها رحلت إلى أكادير، دون أن أعلم إلى أين كانوا يأخذونني. وبعد مرور 20 يوما أعدت إلى الدار البيضاء ليعاد استنطاقي، قبل إحالتي على السجن من جديد، ودام الاستنطاق أسبوعا كاملا صباح مساء.

حديث مستطرد
مع موقع إلكتروني

أجرى معي مندوبا موقع (إسلام أون لاين) الإلكتروني، حديثا صحافيا شاملا، تطرقت فيه إلى قضايا وموضوعات، وأمور تدخل ضمن مذكراتي في الحركة الوطنية، ولذلك قررت نشر هذا الحديث المستطرد في هذا الجزء السادس، نظرا لما يضمه من معلومات وإضافات تلقي المزيد من الضوء على مراحل من حياتي العملية الوطنية.

أبو بكر القادري..
الثورة بالتعليم والثقافة(*)

بعد وفاة المجدد العظيم الشيخ «عبد القادر الكيلاني»، وهجوم التتار على بغداد في القرنين السابع والثامن الهجريين، اضطر بعض أبناء الشيخ عبد القادر للهجرة إلى بلدان أخرى، فقصدت مجموعة منهم الأندلس، واستقرت بها، ومن هذه المجموعة تفرّعت الأسرة القادرية بالمغرب ؛ فبعد سقوط غرناطة، وتعرُّض أهلها للاضطهاد في محاكم التفتيش، اضطر أحد فروعها للفرار إلى المغرب.

ومن هذا الفرع وُلد أبو بكر القادري سنة 1914، بعد سنتين من وقوع المغرب في براثن الاستعمار، ونشأ في أسرة متدينة؛ كان والده ملجأ لسكان مدينة «سلا»، ومرجعا لهم في العديد من القضايا لحل مشاكلهم وخلافاتهم، وبلغ من كثرة توافد المظلومين عليه بحثا عن الإنصاف.. أن أصدر الملك مولاي حفيظ ظهيرا «بيانا» يتولى القادري الأب بموجبه العدالة في الرباط، لكنه رفض المنصب؛ لأنه لم يكن يحبّذ الاشتغال في وظيفة تابعة للسلطة.

تُوفي الوالد وعمر الصغير 8 سنوات، أثرت أيام اليتم المبكرة بشكل بالغ على حياته.. فأصبح ذلك الطفل المثابر المُجدّ الذي تحمل المسؤولية قبل الأوان، يعمل ويدرس في آن واحد، كما سنجده ذلك الطفل، مرهف الحس، الرافض لكل أشكال الظلم والاعتداء على الآخرين.

كفله أحد إخوته، وكان من الشباب العلماء؛ فرباه تربية دينية، حفظ القرآن على يده، ومازال أبو بكر يحفظه عن ظهر قلب؛ لأنه يخصص وقتا يوميا لمراجعته.

(*) 2002/05/23، موقع إسلام أون لاين، من إعداد : حنان أعميمي وبشرى مهيب، المغرب.

بدايات النضال.. الطرد من المدرسة الفرنسية :

قرر أبو بكر القادري دخول مدرسة فرنسية لتعلم اللغة الفرنسية، رغم أن سنه قد وصلت 16 سنة؛ وهو ما يعني أنه سيزامل مَن هو أصغر منه كثيرا، لكن ذلك لم يؤلمه؛ لإصراره على تحصيل العلم، وبعد ثلاثة أشهر، قررت الإدارة أن ينتقل إلى القسم التالي في التعليم لتفوقه على أقرانه، وبعد مدة وجيزة انتقل مرة أخرى إلى القسم الثالث، وفي هذه المرحلة سيتلقى المبادئ الأولى لمهنة التدريس؛ إذ سيكلفه أستاذه بتصحيح بعض دفاتر التلاميذ؛ لأنه كان متفوقا في اللغة العربية، وهكذا أصبح في نظر التلاميذ أستاذهم.

لكن المعلم الصغير يتم توقيفه من طرف الإدارة الفرنسية، والسبب كان بسيطا جدا؛ إذ دعته معلمة فرنسية إلى الوقوف في الساحة مع التلاميذ الصغار فرفض؛ لأنه ليس من سنهم؛ فاستدعاه مدير المؤسسة، وطلب منه أن يعتذر للمعلمة، لكن أبا بكر رفض؛ لأنه يرى أنه لم يقلل من شأن المعلمة، ولم يخطئ في حقها؛ فتم طرده من المدرسة.

وكان هذا الطرد بداية حركة طلابية ثائرة؛ حيث أضرب التلاميذ عن الدراسة؛ فطردت الإدارة بعضهم من المدرسة، ولما جاء بعض التلاميذ، وسألوه عن الخطوة التي يمكن اتخاذها أمام الإجراء الجائر الذي اتخذ في حقهم.. قرر أبو بكر القيام بحركة قرآنية، وهكذا بدءوا يجتمعون بعد صلاة المغرب لتلاوة القرآن ؛ فكانت الحركة القرآنية حركة مباركة، وضّحت معالم طريقه النضالية، المرتكزة أساسا على القرآن، والمبنية كذلك على تجميع القلوب وتربيتها على مبادئه.

ظهير بربري مشؤوم.. ومقاومة حضارية :

أصدرت الإدارة الفرنسية في مايو 1930 ظهيرا بربريا، حاولت من خلاله خلق نوع من الفصل بين المغاربة الذين يتكلمون العربية، والذين يتكلمون الأمازيغية؛ وذلك لجلب الأمازيغيين للفرنسيين، بدعوى أنهم يعيشون في المغرب منذ القدم، وليس لهم ارتباط بالذين يتكلمون العربية،

ويجب إحياء الأعراف القديمة لهم، مثل : ألا ترث المرأة ، ولا تخضع لأحكام القضاء، وألا يكتبوا باللغة العربية، ولا يتعلموها ولا يتكلموا بها... فعمدت السلطات الفرنسية إلى تأسيس مدارس بربرية، تدرّس فيها البربرية والفرنسية.

أمام هذه الغطرسة الاستعمارية تحرك شباب الحركة الوطنية في موجة احتجاجية سُميت بحركة «اللطيف»، وسميت بهذا الاسم لأنها اعتمدت في أساسها على اتخاذ المساجد كمنفذ أساسي لتوعية المغاربة بخطورة السياسة الفرنسية الرامية إلى إحداث التفرقة بين العرب والبربر، وطلب من المصلين ترديد هذا الدعاء : «اللهم يا لطيف نسألك اللطف فيما جرت به المقادير ولا تفرق بيننا وبين إخواننا البرابرة».

كان المجاهد أبو بكر من الشباب الفتيّ الذين انشغلوا بهذه الحركة والقضية الوطنية.. وكان يشعر بأن عليه واجبات ثلاثة :

أولا : تحقيق حلم الوالد بأن يكون فقيهاً كما كان يُلقِّبه دوماً.

ثانيا : المسؤولية تجاه أبناء الوطن، ومحاولة تحسين أوضاعهم.

ثالثا : إذكاء روح النضال ضد الاحتلال.

وضَع أبو بكر يده على الداء، واختار المقاومة في ميدان التعليم، واتجه بعزيمة الشباب، إلى تأسيس مدرسة حرة بزاوية «ابن عبود» أولا، ثم الانتقال إلى الزاوية القادرية ثانيا، وعُرفت هذه الزاوية بالمكتب الإسلامي الذي سيؤرق بال السلطات الفرنسية؛ لأنه بدأ ينافسها من جهة، ويقاومها من جهة أخرى، فقد كان لا يتوقف عن العمل إلا مدة 15 يوما لا غير في الصيف، وبدأت المدرسة تنشغل تماما بالتلاميذ الواردين إليها من المدارس الرسمية.

وكان نتيجة ذلك أن تعتقله فرنسا لكونه صعّد من وتيرة المقاومة التعليمية والثقافية التي اختارها، حيث قام بفتح فرع للمدرسة السابق ذكرها لمّا كثر الإقبال عليها؛ لأن المغاربة وجدوا ضالتهم في تعليم ينتمي إلى

هويتهم العربية والإسلامية، وفي ذلك التاريخ كانت هي المدرسة الحرة الوحيدة التابعة للحركة الوطنية.

مطالب الوطنيين ومظاهرات المسجد :

في سنة 1934 تقدم عشرة من الوطنيين المغاربة من بينهم علال الفاسي وعبد العزيز بن إدريس ومحمد غازي ومحمد اليزيدي والمكي الناصري ـ وكان منهم القادري وهو إذ ذاك أصغرهم سنا (20 عاماً) ـ بمذكرة تضم مطالب الشعب المغربي في ميدان الحريات العامة كحرية الصحافة، وإصلاح العدالة، والقضاء على الفساد، لكن السلطات الفرنسية ماطلت وسوَّفت إلى أن أعلنت رفضها بشكل قاطع سنة 1936، وعقدت المجموعة مؤتمرا مصغّرا لصياغة مطالب مستعجلة للشعب المغربي، في نفس الوقت الذي تقود فيه مجموعة من المظاهرات. وتم القبض على «أبو بكر القادري» مرة ثانية، ورغم الإفراج عنه فقد لجأ إلى الاحتجاج إلى المظاهرات : ابتداء من المسجد، فقد كانت الحركة الوطنية المغربية عقب كل صلاة تقود مظاهرات ضد الحماية الفرنسية، وألقى أبو بكر خطبة في المسجد، احتجّ فيها على إلقاء القبض على مجموعة من الوطنيين، ودعا إلى تنظيم مظاهرات تضامنية، فقاده خليفة الباشا من المسجد إلى السجن مرة أخرى.

السجن امتحان ومدرسة :

وأثناء استنطاقه في الدار البيضاء سنة 1953، خضع للتعذيب، وبعد اجتياز مرحلة التعذيب، أنزل إلى قبو أرضي وقضى مدة تقرب من 20 يوما لا يتناول فيها إلا الخبز والماء، فكانت تُسلَّم له كسرة خبز صغيرة يابسة مع كأس من الماء، وكان صدى صراخ الذين يتعرضون للتعذيب يصل إليه. ثم نُفي إلى «تافينغولت» وهي منطقة نائية تابعة لمنطقة «تارودانت» في بيت مغلق لا يُسمح له بالخروج إلا نصف ساعة في الصباح ونصف ساعة في المساء.

يروي أبو بكر عن فترة السجن : «السجن معيار للثبات والصدق وحسن المعاشرة، والإيثار، ولا تعرف أهمية هذه المواصفات إلا في

الامتحان، والسجن مدرسة من مدارس الحياة الحقيقية، المتخرج منها لابد أن يحصل على شهادة في معرفة الحياة...».

ويُتوج المجاهد القادري نضاله الوطني بالتوقيع على وثيقة المطالبة بالاستقلال وبتكوين مجموعة من الوطنيين الذين سيوقعون على هذه الوثيقة.

تعليم الفتيات... فرض ديني :

مما قاله أبو بكر القادري : «إننا عند الكلام عن حرية المرأة ومساواتها لابد أن نفرق بين التقاليد والعادات التي ما أنزل الله بها من سلطان، وبين ما أقره الإسلام للمرأة من حقوق وواجبات.. ودورها دور أساسي لا يمكن التقليل من أهميته، وينبغي العمل على إزالة العوائق..».

والكثيرون يعرّفون أبا بكر بأنه صاحب الفضل الأول بعد الله تعالى على الفتاة المغربية السلاوية وحصولها على فرصتها في التعليم، فقد أخذ على عاتقه ـ وهو رجل تعليم بامتياز ـ تعليم المرأة المغربية، في وقت كان فيه تعليمها محالا، فأوْلى مسألة تعليم الفتاة عناية كبيرة، وبذل في سبيل ذلك جهدا كبيرا، بتدشين مدرسة عربية للفتيات، وتمزقت بذلك خرافة التمييز بين الرجل والمرأة في التعليم، وتخرّق الصمت المطبق على الأمر.

وحتى ندرك التغيير الذي أحدثه الرجل بدعوته هذه، نذكر أنه حتى عام 1946 كان عدد مدارس البنات لا يتجاوز أصابع اليد في المغرب كله، وكان الاستعمار يقصر تعليمهن على الخياطة والتطريز والمبادئ البسيطة للكتابة، ومن الطريف أن الرجل بدأ أول قسم في مدرسة النهضة ببنتين فقط، هما ابنة صديق له وابنة شقيقه ؛ وذلك لأن الاستعمار كان يوهم الناس أن فكرة تعليم الفتيات لم يكن المجتمع المغربي يستوعبها تماماً، فبدأ القادري يعمل على «تطبيع» العلاقات بين الأسر المغربية، وبين قضية تعليم البنات، فبدأ يقيم الحفلات المدرسية، حيث تتولى فتاة إلقاء خطبة بحضور الأمهات اللواتي بدأن ينقلن الأمرللبيوت، فأخذ الآباء يقتنعون بضرورة تعليم بناتهم.

أسرته وحياته الخاصة :

ولعل هذا التحايل اللطيف، وروح الدعابة والمزاح البريء هو سمة مشتركة بين العظماء، فلا نجدهم – كما نتصورهم – وقد علا وجوههم العبوس والضيق طول الوقت... فأبو بكر القادري كانت زوجته له بمثابة السند والحضن الدافئ الذي يلجأ إليه، كلما اشتدت الأزمة مع المستعمر الفرنسي، فكانت خير رفيق، وخير طرف يتجاذب معه أطراف الحديث عن واقع الأمة المغربية وطموحها للنهوض بها.

وبما أن القادري كان يؤمن بفكرة تعليم الفتاة، فقد بدأ هذا المشوار بزوجته غير المتعلمة التي تمكنّت خلال سنوات من نفض غبار الأمية عنها، بل وشاركت في الدعوة إلى تعليم فتيات مدينة «سلا» وهي مجموعة من النساء اللواتي يُعتبرن الرعيل الأول لمدرسة أبو بكر القادري التي أُسست لخدمة المرأة المغربية.

للقادري ستة أولاد وأربع بنات، كان أبا راعيا صاحبا ناصحا لهم، شديدا أحيانا، ولينا أخرى، فلم يستعمل – كما يقول عن نفسه – يوما سوطا أو عصا لعقاب أبنائه، وإنما يكتفي بالتوجيه واللوم.

أثمر هذا النموذج التربوي تفوق الأبناء في تربيتهم، وحصولهم على شهادات عليا خوّلت لبعضهم تقلد مناصب عليا في المجتمع.

ويتذكر «أبو بكر» جلسات سمره مع أسرته التي لا يزال حريصا على عقدها نهاية كل أسبوع، حيث ينصتون فيها لسماع الأغاني التقليدية، ويختم بموشح من الموشحات الأندلسية أو غيرها من الأغاني.

وبالمقابل كان القادري لا يغفل الزاد الروحي، الذي يجب أن يتشبع به أبناؤه، حيث كانت الأسرة القادرية معتادة على القراءة الجماعية للقرآن.

استمرارية في العطاء :

ورغم حصول المغرب على استقلاله يظل المجاهد أبو بكر متواجدا على الساحتين السياسية والفكرية... إذ تولى مسؤولية الكتابة العامة لجمعية

الكفاح الفلسطيني لمدة عشرين سنة، ومسؤولية أمين عام مساعد للمؤتمر الأفريقي الإسلامي، وأيضا أميناً عاماً مساعداً للمؤتمر العالمي للإعلام، كما سيُشرَّف بالعضوية بمجلس الوصاية على العرش.

لم يفارق أبو بكر القلم والتأليف، فقد أثرى المكتبة الإسلامية بمجموعة من المؤلفات منها في الميدان الإسلامي :

في سبيل مجتمع إسلامي – في سبيل وعي إسلامي – التعليم.. المهمة الأولي في الإسلام – دفاعا عن المرأة المسلمة – في سبيل وحدة إسلامية.

وفي ميدان العمل القومي : المغرب والقضية الفلسطينية.

كما أن له كتابات في مسألة أدب الرحلات وغيرها.

شهـــادات :

إن المجاهد المغربي أبو بكر القادري سيبقى من الشخصيات التي ساهمت في صنع التاريخ المغربي، ومن المؤسسين الرواد للفكر الاستقلالي بالمغرب، ولا غرابة في أن يناديه أحد رجال الحركة الوطنية وهو عبد الرحيم بوعبيد «أستاذي في الوطنية».

ولا عجب أن يقول عنه عبد الكريم غلاب عضو الأكاديمية المغربية ومدير جريدة المعلم : «الأستاذ أبو بكر القادري بنشأته الأسرية، وبتعليمه وثقافته، وبعقيدته الدينية، وارتباطه بالمثل الإسلامية، وبرغبته في أن يناضل من أجل الإسلام في كل مكان، كما يناضل من أجل المغرب... استحق أن يكون من رواد الحركة الوطنية ومن مؤسسيها».

خطاب في مهرجان البيضاء

إخواني :

لقد نظم حزب الاستقلال بالبيضاء هذا المهرجان العظيم، تضامنا مع الشعب الجزائري الشقيق، واستنكارا لسياسة الدماج التي تريد فرنسا أن تفرضها على جزء من المغرب العربي النابض.

لقد نظم حزب الاستقلال بالبيضاء هذا المهرجان العظيم تضامنا مع الشعب الجزائري الشقيق واستنكارا لسياسة الادماج التي تريد حكومة فرنسا أن تفرضها على جزء من المغرب العربي النابض.

حكومة دوكول تتحدى إرادة الشعوب :

ففي الوقت الذي تخوض فيه الجزائر الأبية معركتها الفاصلة لنيل حريتها، واسترجاع كرامتها، وفرض وجودها وشخصيتها، وفي الوقت الذي صارت فيه الكلمة الأخيرة للشعوب لا لمستعبديها من الاستعماريين والاستغلاليين الجشعيين، وفي الوقت الذي حكم فيه التاريخ على كل أنواع الاستعمار، ومحقت عجلته ما بقى من آثاره بآسيا، وهي في طريق طحن كل ما تبقى منه بإفريقيا الشمالية وبالصحراء، في هذا الوقت بالذات تريد حكومة دوكول، وكأنها تتحدى إرادة الشعوب، وتستهزئ بالقيم المثلى ولا تعير وزنا لكفاح لوريس وآيت باعمران، أقول تريد فرنسا أن تجرى

استفتاءها في الجزائر والصحراء، ليجيبا بلا أو نعم في شأن دستور لا يهمها في قليل ولا كثير، وليقولا كلمتهما وكأنهما راضيان بالانضمام إلى فرنسا والاندماج فيها، ومضحيان بمغربيتهما وعروبتهما، وقاطعان كل صلة مع إخوانهما بالمغرب وتونس وباقي أجزاء العالم العربي الكبير.

لقد بدأت عملية الاستفتاء بالجزائر منذ يومين، ونحن نعلم مقدما كيف ستكون هذه النتيجة، ولكنا مع ذلك لا نعطي أية قيمة لهذه النتيجة المفروضة بالقوة، لأننا نعلم أن الفرد الذي يساق بالبنادق إلى صندوق الانتخابات، ويجبر على كتابة ما يريد منه الاستعماريون أن يكتب، ويحرم من حرية الاختيار ومن حرية التعبير عن رأيه الصريح، لا ينبغي أن يعتبر ما يكتبه من الناحية القانونية سواء قال نعم أو قال لا. على أننا مقتنعون تمام الاقتناع ومتأكدون غاية التأكيد، أن الشعب الجزائري لو كان له من الأمر شيء لقال : لا، لا في الاستفتاء الفرنسي، ولكن في بقائه تحت السيطرة الاستعمارية، وادماجه مرغما في أمة لا يقبل أن يرتبط بها.

إن فكرة الادماج التي ما يزال الاستعماريون الفرنسيون يحلمون بتطبيقها في النصف الثاني من القرن العشرين، فكرة حاولت بريطانيا قبلهم تطبيقها على إيرلاندا في القرن التاسع عشر، فلم تستطع ذلك رغم القمع الشديد التي استعملته، ورغم تخصصها في أساليب استعمار الشعوب، ورغم أن إيرلاندا لا توجد إلا على بعد بضع كيلومترات من عاصمتها.

فرنسا لم تتعظ :

فما لفرنسا لا تتعظ بالتجربة التي سبقتها بها استاذتها وما لها تحاول في النصف الثاني من القرن العشرين، تحقيق شيء عجزت بريطانيا عن تحقيقه أثناء صولة الاستعمار وسطوته في القرن الماضي ؟؟

إن الجزائر تكافح أيها الإخوان منذ أربع سنوات، كفاحا ادهش العالم بأسره، وزعزع إيمان الاستعماريين، وادخل في قلوبهم الرعب والفزع

معبرين بكفاحهم ونضالهم، على أنهم لا يرضون بغير الاستقلال بديلا، وبدون الحرية التامة مطلبا. وأي حجة لفرنسا تبيح لها إجراء هذا الاستفتاء وفرض هذا الادماج، رغم مقاومة الجزائريين له ؟ وأي دليل على رفض الشعب الجزائري للإدماج أقوى من هذا الكفاح الطويل المرير الذي يشنه الجزائريون بالجبال وبالمدن، وحتى في قلب فرنسا نفسها ؟

إن فرنسا التي تومن بالمنطق، وتومن بحقوق الإنسان، تناقض نفسها حينما تريد ادماج شعب جنسه ليس من جنسها، ولغته غير لغتها، ومصالحه غير مصلحتها، ثم إنه ليست له رغبة في هذا الإدماج، بل لا يرضى به ولا تستطيع فرنسا أن تفرضه عليه لا بالأساليب السياسية ولا بالأساليب العسكرية.

على أن الشعب الجزائري ليس في الكفاح وحده بل يسانده في كفاحه أخوان شقيقان، نسقا جهودهما، واعلنا عن تضامنهما معه، وعلما أن مصيرهما مرتبط بمصيره.

فمؤتمر المغرب العربي المنعقد بطنجة في 27 أبريل، والذي دعا إليه حزب الاستقلال، وشاركت فيه جبهة التحرير الجزائرية، والحزب الحر الدستور التونسي، قرر من جملة ما قرر، التضامن الوثيق مع الشعب الجزائري، ومساندة لكفاحه والعمل معه جنبا لجنب، حتى تزول السيطرة الاستعمارية المفروضة عليه، ويصفى ما بقى من آثار هذه السيطرة بباقي المغرب العربي الكبير.

بل إن الشعوب العربية والافريقية والآسيوية، تساند هذا الكفاح المقدس، وتستنكر ما تقوم به فرنسا من قمع وتشريد وتقتيل.

وإن فرنسا غير جاهلة موقف الرأي العام الدولي من سياستها وحربها في الجزائر، ولكنها مصرة على استفتاء شعب أراد الانطلاق والانعتاق، متجاهلة حقوق الإنسان وقرارات هيئة الأمم وإرادة الشعوب.

الرأي العام العالمي مع شعوب المغرب العربي :

إن الرأي العام الدولي كله اليوم مع الجزائر، وأن المغرب وتونس اللذين وضعا أسس المغرب العربي الكبير مع ممثل الشعب الجزائري، لم يدخرا وسعا في سبيل تقريب أجل الحل السلمي لقضية الجزائر، وما ذلك الحل إلا شيء واحد، الاستقلال أيها الإخوان.

ستستقل الجزائر لا محالة، وستحقق وحدة المغرب الكبير، وسيكون ذلك عن قريب إن شاء الله، وستصبح شمال إفريقيا حصنا حصينا للمبادئ المثلى، والقيم الصحيحة، والعقائد المتينة، وستقف سدا منيعا ضد كل الأفكار والعقائد التي لا تلائم دينها وتقاليدها وقوميتها وتاريخها، وستعزز أقطاره السلام العالمي، وتكون بلدانه أركانا قوية لحفظ التوازن في عالم اليوم، الذي تهدده الأخطار من كل جانب.

إننا لا نريد تحقيق اتحاد مصطنع، كما يريد قادة فرنسا، ولكننا نسعى نحو تحقيق رغبة مشتركة بين سكان المغرب الكبير، ونحو تجديد الاتحاد بيننا، كما كان الأمر في سالف العصور.

فعلى فرنسا أن تعرف أن تضامننا مع الشعب الجزائري، هو تضامن وثيق، وأن الذي نطلبه منها ونرجو أن تتفهمه، هو أنه لا يرضينا إلا ما يحقق مطامح الشعب الجزائري، وإنها كلما خطت خطوة نحو تفهم هذه المطامح، إلا وعملت على بناء علاقاتها معنا، على أسس راسخة قوية، وعلى فرنسا إلى جانب ذلك، أن تعلم حق العلم، أن الجزائر مثل المغرب وتونس، جزء من العالم العربي، وإنها إذا كانت ترغب حقا في كسب عطف هذا العالم الشاسع الأطراف، الذي تمتد أراضيه من الخليج العربي إلى المحيط الأطلسي، فعليها أن ترضخ للمنطق ولمطالب الشعب الجرائر الباسل.

تجمع تضامني مع الشعب الجزائري

التفاوض هو الحل الوحيد :

لقد طالما تدخل صاحب الجلالة بطل التحرير، وسيد المكافحين، سيدي محمد الخامس، لإيجاد حل لقضية الجزائر الشقيقة، على أساس التفاوض النزيه، والاعتراف للشعب الجزائري بحقه في الحرية والاستقلال، ولكن تدخله لم يلق الآذان الصاغية، والأفكار الواعية، ولقد عبر جلالته غير ما مرة وفي كل مناسبة، على أن قضية الجزائر هي قضية المغرب، وأن حل مشكلتها يجب أن يكون بطريق التفاوض، لأنه يعتقد وشعبه من ورائه يؤيده، أن التفاوض هو الحل الوحيد الذي يحافظ على صفاء الضمائر، وحسن العلاقات، ويضمن الاستقرار والاطمئنان، ويحافظ على المصالح المحقة للجميع.

لقد نادى حفظه الله لشعبه من أعلى منبر هيئة الأمم، إن تحقيق مطامح الشعب الجزائري، ضرورة لصيانة السلام والأمن بهذه الديار، وعرض نفسه لوساطة شريفة تضمن مصالح الجميع، وتحقق رغبات الشعوب، وكان يسعى وهو الملك العربي المخلص لاثبات هذا الأمر بهذا المغرب العربي، حتى يشمر عن ساعد الجد، ويعمل لبناء مسقبل مجيد، ترفع فيه معيشة السكان، ويقام تحت إشراف نظام ديموقراطي صحيح، يضمن مصالح الجميع ويسير بالبلاد نحو مستقبلها السعيد.

ورغما من أن هيئة الأمم استمعت لكلمات سيدنا، فاوصت فرنسا بسلوك سياسة رشيدة تخرجها من مأزقها، وتحقق للجزائر ما تصبو إليه، فإن فرنسا لم تستجب لهذه الرغبات الصادقة، وهذه الوساطة النزيهة.

فعلى فرنسا أن لا تبقى متجحرة في موقفها، وعليها أن تمد يدها لمن يود أن يخاطبها ويفاوضها.

لقد انبثقت عن جبهة التحرير الممثلة الحقيقة للشعب الجزائري حكومة موقتة، صرح رئيسها بعد عقد أول اجتماع لها أنها مستعدة للتفاوض، وحقن الدماء، ونسيان الماضي، فهل ستستجيب فرنسا هذه المرة ؟

الشعب الجزائري ليس وحده في الميدان :

إن الشعب الجزائري لم يعد في الميدان وحده، وأن حكومته تلقى تأييدا متزايدا من الشعوب العربية وغيرها، واعترافا من لدن حكوماتها ولقد اعربت دول أخرى لها وزنها الثقيل في الحقل الدولي، عن استعدادها للاعتراف بهذه الحكومة التي انبثقت عن إرادة الشعب، ولها كامل الصلاحية للتفاوض باسمه. فعسى ألا تنتهي هذه السنة حتى نرى الحكمة غلبت التهور والمفاوضة حلت محل الحرب والحقوق رجعت إلى نصابها والسيوف اخفيت في أغمادها.

أيها الأخوان

إن الجزائر ستستقل حتما، وإن كفاح أبطالها سوف لا يذهب هباء منثورا، وأن أرواح شهداء الحرية، ستنعم عند ربها راضية بما قدمت من تضحية مطمئنة بما لاقته من نعيم، فعلينا أيها الإخوان أن نتذكر في هذه اللحظات تلك الأرواح الطاهرة، ونترحم عليها. وعلينا أن لا ننسى المبادئ التي ضحت من أجلها، وعلينا أن نتيقن أنها تنظر إلينا من عالمها الخالد، ناشدة منا أن نحافظ على وحدتنا وكياننا وشرفنا، ونقوي صفوفنا لبناء مستقبل مغرب عربي كبير، ترعاه عناية الله، وتذوذ عنه شعوب أبية باسلة، تحت قيادة أبطال مخلصين، أوفياء على رأسهم وفي مقدمتهم ملك مجاهد عظيم، هو جلالة محمد الخامس.

عاش المغرب العربي الكبير، عاشت الجزائر المكافحة.

أبو بكر القادري

فهـــرس

المقدمة 5

لمحات من حياتي الوطنية في رسائل إلى سعيد حجي 9

خطب في مواضيع إسلامية تلقي الضوء على مراحل من حياتي 129

بعد أحداث الظهير البربري : 1932-1933 153

استدراكات واستطرادات تاريخية في أحاديث صحافية 161

حدث مستطرد مع موقع إلكتروني 207